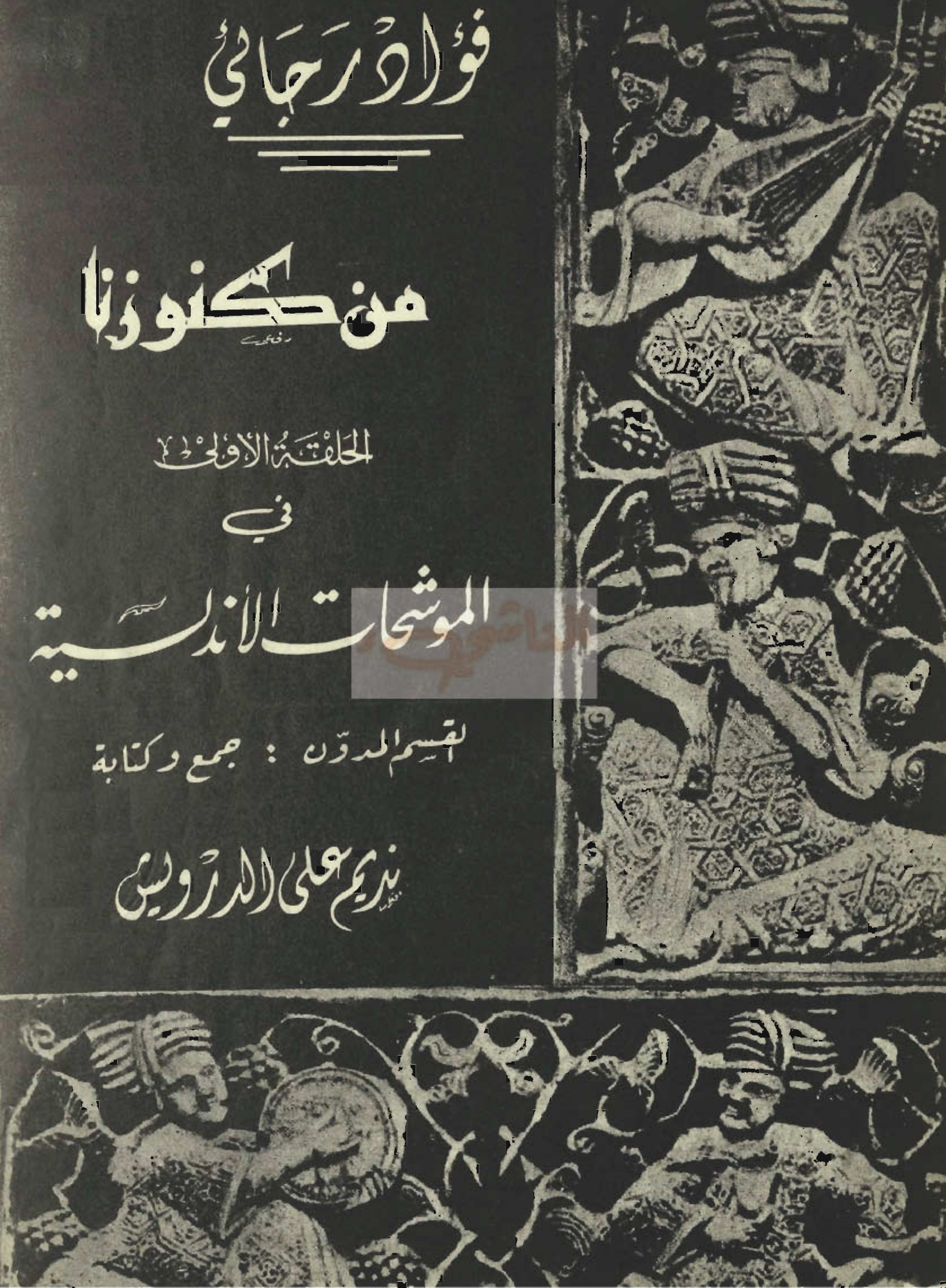

فؤاد رجائي
من كنوزنا
الحلقة الأولى
في
الموشحات الأندلسية
القسم المدون : جمع وكتابة
نديم علي الدرويش




فؤاد رجائي
من كنوزنا
الحلقة الأولى
في
الموشحات الأندلسية
للقسم المدوّن : جمع وكتابة
نديم علي الدرويش


الناشيء

المراجع والمصادر التاريخية والادبية

	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	نفح الطيب في تاريخ الاندلس الرطيب	المقري
٢	المعجب في تلخيص اخبار المغرب	المراكشي
٣	الاحاطة في اخبار غرناطة	ابن الخطيب
٤	الرسالة البدرية	〃
٥	وفيات الاعيان	ابن خلكان
٦	فوات الوفيات	ابن شاكر
٧	الكامل	ابن الاثير
٨	الكامل	المبرد
٩	المختصر في تاريخ البشر	ابو الفداء
١٠	الاستقصا في اخبار دول المغرب الاق[صى]	السلاوي
١١	تاريخ دول الاسلام	رزق الله منقريوس
١٢	تاريخ التمدن الاسلامي	جرجي زيدان
١٣	الدولة الاموية في قرطبة	النصولي
١٤	تاريخ العرب في اسبانيا	عبدالله عنان
١٥	تاريخ الاندلس	المراكشي
١٦	محاضرات التاريخ الاسلامي	الخضري
١٧	تاريخ ابن أياس	ابن اياس المصري
١٨	العرب في اسبانيا	محمد دياب
١٩	تاريخ ابن خلدون	ابن خلدون
٢٠	تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر	» »
٢١	قلائد العقيان	الفتح بن خاقان
٢٢	الذخيرة	ابن بسام
٢٣	مروج الذهب	المسعودي
٢٤	يتيمة الدهر	الثعالبي
٢٥	العمدة	ابن رشيق
٢٦	الشعر والشعراء	ابن قتيبة
٢٧	الاغاني	الاصفهاني
٢٨	العقد الفريد	ابن عبد ربه
٢٩	ميزان الذهب	الهاشمي
٣٠	الحاشية	البغدادي
٣١	المستطرف	الابشيهي
٣٢	تاج العروس	الزبيدي
٣٣	الجلال	الاسيوطي
٣٤	سفينة الملك	محمد شهاب الدين
٣٥	آداب اللغة	جرجي زيدان
٣٦	ادباء العرب في الاعصر العباسية	البستاني
٣٧	مقدمة الالياذة	〃
٣٨	نظرات في تاريخ الادب الاندلسي	الكيلاني
٣٩	الاعلام	الزركلي
٤٠	الرائد	الحمصي والهنداوي
٤١	الطرب عند العرب	عبدالكريم العلاف
٤٢	الموشحات	جميل سلطان
٤٣	العلوم الدخيلة	مكتبة صادر
٤٤	الشعر في العصر الايوبي (فرنسي)	الركابي
٤٥	دار الطراز (نشر الركابي)	ابن سناء الملك
٤٦	الحضارة الاسلامية في القرن الربع الهجري	آدم متز
٤٧	ملوك الطوائف (تعريب الكيلاني)	دوزي
٤٨	حديث في راديو الشرق	روجه شامبار
٤٩	حدائق السحر في دقائق الشعر تعريب الشواربي	الوطواط
٥٠	الشعر الاندلسي	نيكل

(تابع) المراجع والمصادر التاريخية والادبية

	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٥١	تاريخ العرب في اسبانيا	كوندى
٥٢	مجلة المقتبس الدمشقية	
٥٣	مجلة المشرق البيروتية	
٥٤	مجلة المجمع الملكى المصري	
٥٥	مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق	
٥٦	الموسوعة الاسلامية	

المراجع والمصادر الموسيقية

	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	الموسيقى الكبير (خطي في مكتبة الشيخ علي الدرويش)	الفارابي
٢	الرسالة الشرفية (المجلة الاسيوية ١٨٩١)	صفي الدين عبد المؤمن
٣	الرسالة الموسيقية	اخوان الصفا
٤	الرسالة الموسيقية	ابن سينا
٥	الرسالة الفتحية (خطية في مكتبة الاوقاف بحلب)	اللاذقي
٦	كتاب النغم	ابن المنجم
٧	اساتيذ الحان (تركي)	رؤوف يكتا
٨	مفتاح السعادة	طاش كوبري زاده
٩	الدليل الموسيقي العام	توفيق الصباغ
١٠	فلسفة الموسيقى الشرقية	الله ويردي
١١	الموسوعة الموسيقية (تعريب شلفون)	جول روانيت
١٢	كتاب المؤتمر للموسيقى العربية	



مقدمة

بقلم نائب حلب
معالي الدكتور عبدالوهاب حومد
وزير المعارف السابق

الدكتور فؤاد رجائي فنان بطبعه ، يتعشق الادب ويهوى الموسيقا .

وقد وقف جانباً من حياته على هوايته هذه فأنشأ في حلب نواة معهد موسيقي ، مالبثت ان نمت وازدهرت وزاحت تؤتي أكلها يانعاً شهياً ... ويقيني ان تاريخ الموسيقا العربية الحديثة سيذكره بخير عميم حين يقدر لهذا التاريخ ان يسطر ... ولا غرو ، فهو من الحلبيين المعروفين ،تنشق هواء هذه المدينة الخالدة التي تتضوع الحاناً وانغاماً ، وتذوق الفن في مجالس كبار اعلامه المحدثين ، كالمرحوم الشيخ علي الدرويش والمرحوم الشيخ عمر البطش واضرابهما ، فأصبح لطول دربته وتمرسه ، مرجعاً يعتد برأيه في هذا المضمار.

وقد اراد ان يتوج جهوده الفنية بمجهود ادبي موسيقي ، نحن في مسيس الحاجة الى مثله ، فأخرج لنا سفراً قيماً عن الموشحات الاندلسية، مهد له بمدخل تاريخي عن الفتح العربي واردفه ببحث قيم عن تطور الشعر الاندلسي ، الذي يعتبر المعين السلسل الذي نبعت منه تلك الآيات الخالدات ابد الدهر ، وخصص كتاباً كاملا للموشحات الاندلسية ، اشفعه بمجموعة ضخمة من الموشحات المدونة ، اشرف على جمعها و كتابتها السيد نديم الدرويش نجل المرحوم الشيخ علي الدرويش المعتبر بحق أبا الموسيقا العربية الحديثة .

وهذا المضمار لج خضم ، لايفتح الله مغاليقه الا لذوي الذوق السليم ، والحس المرهف ،والطبع المصقول.

وقد خص الله الدكتور رجائي بقسط وافر من هذه جميعاً .

فلا عجب اذا جاء كتابه ، تحفة ادبية موسيقية رائعة ، يسعدني ان اقدمها الى الادباء الفنانين وهواة الموسيقا ، آملا ان يجد الكتاب لدى القراء مايستحقه مؤلفه من تقدير وتشجيع ، لانه جاء يسد به فراغاً رهيباً في المكتبة العربية التي تشكو اكثر ماتشكو الفقر وعدم التعمق .

عبدالوهاب حومد

تقديم

بقلم الدكتور جودة الركابي

استاذ الادب الاندلسي في الجامعة السورية

تكاد الدراسات الاندلسية تتفتح لها ابصار العرب وتهفو لها قلوبهم ، اذ انها تصوّر لنا المجد الذي تألق والفكر الذي شع في فردوسٍ مفقود عرف فيه العرب اصالة فكرهم ورقة ادبهم ونُبل تسامحهم .

والكتاب الذي اقدم له في هذه الاسطر ، دفقة من دفقات ذلك الادب الممتع الذي نما في بلاد الاندلس فكان صورة مخلصة لتلك العبقريات العربية التي عاشت في تلك الديار ، ولقد وجد الشعر الرقيق فيها ميدانه الخصب ، واستطاعت الاندلس ان تطبعه بطابعها وتحرره من قيوده القديمة ، واذا لهو الأندلس وغناؤه يشدان ازر هذا الشعر فينشأ « الموشح » في تلك الطبيعة الاندلسية كأنشودة مغردة في سماء الادب العربي .

لا مرية في ان لانتشار الغناء اثراً كبيراً في ظهور « الموشح » ، وهو الذي حدد له وزنه وحرره من قيود الشعر العربي التقليدي ، والى هذا يشير المستشرق ماسينيون عندما يقول :

« ان العرب لم يكونوا عاجزين عن وضع عروض للموشح ولكن الحرية التي ارادوها لهذا الفن هي التي جعلتهم يعرضون عن هذه المهمة ، اذ ليس من وزن للموشح سوى اللحن والموسيقا » .

ونرى ان هذا القول ينبثق عما يراه ابن سناء الملك في الموشح عندما درس اوزانه في كتابه «دارالطراز» الذي قمنا بنشره .

وليس القصد هنا ان اعدد خصائص هذا الفن الشعري ، وقد اتى على ذكر اهمها مؤلف هذا الكتاب الدكتور فؤاد رجائي في كثير من الحذق ، ولكنني ارغب في ان ابين ان الدكتور رجائي قد قام بعمل مفيد عندما اقدم على تأليف كتابه هذا في الموشحات الاندلسية ، وجاء جهده ينم عن فهم ودراية .

وكان لابد للمؤلف من ان يبدأ بحثه بعرض لتاريخ الاندلس توخى فيه الصدق الى جانب الايجاز ، ثم انتقل الى الحديث عن تطور الشعر في المجتمع الاندلسي فأتى على وجوهه في مختلف العصور ، وقدم نماذج متنوعة دلت على سعة الاطلاع وحسن الاختيار والعرض .

ثم يصل بنا المؤلف الى ما يبتغيه من هذه الدراسة وهو فن التوشيح وعلاقته بالموسيقا ، وقد استطاع

المؤلف الدكتور رجائي ان يحدد لنا ، بما وصل الى يده من مصادر ، قواعد الموشح وطرق نظمه .

وقد احسن كل الاحسان عندما تعرض لذكر العلاقة الوثيقة التي تربط الموشح بالغنـــاء ، واجاد كل الاجادة في بيان أثر المغني « زرياب » في فن التوشيح ، وشرح شرحاً موفقاً طريقته في تطبيق الايقاع الشعري ، والغناء على اصول النوبة الغنائية ، مما جعل ضبط وزن الموشح يعود اول مايعود الى التلحين والغناء.

واني ارى ان ميزة الكتاب ، تبدو ، اكثر ما تبدو ، في ايضاح هذه الناحية الموسيقية التي فطن اليها المؤلف وشرحها في كثير من الاصالة والجدة .

وانه ليسرني جداً ان اقدم هذا الكتاب القيم للادباء والموسيقيين على السواء ، فهو دراسة رصينة تحف بها المؤلف الكريم المكتبة الاندلسية ، وما من شك في ان جهرة الادباء والموسيقيين ستقبل على دراسته في كثير من المتعة والفائدة وسيكون ذخيرة شيقة للوشاحين من هواة الموسيقا .

جودة الركابي



تصدير

بقلم المؤلف

بين يدى هذه السلسلة

من كنوزنا

صديقي القاريء !

لاشك في انك لاحظت، كما لاحظت انا، افتقار مكتبتنا الحديثة الى مؤلفات تبحث بتعمق في فنون ادبنا الموسيقي .

ولا شك في انك اطلعت، على شذرات من هذه الفنون مبعثرة هنا وهناك، في اغوار مكتبتنا القديمة، وعلى عبارات ساذجة في زوايا مؤلفاتنا الحديثة، لم تكف بمجموعها، لاشباع نهمك العلمي وشغفك الفني، فرحت تتطلع الى ابحاث اعمق ومعلومات اوسع ... فأعياك التطلع، واسأمك البحث بدون جدوى ... فاعتقدت بأن هذه الفنون، اصبحت كنوزاً دفينة، لن تفتح مغاليقها لاحد، بعد اصحابها الغابرين، الذين اخفوها عن الابصار بطلاسم لايحل رموزها الا الراسخون في العلم من ذوي الاختصاص ... ورأيت ان هؤلاء وان وجدوا، فانهم لم يجدوا حتى الآن الجرأة، لولوج باب الطباعة والنشر، حذر الصعوبات المادية التي يعانيها المؤلفون، اذا هم اقدموا على نشر ابحاثهم فرادى، فعرفت لماذا بقيت مكتبتنا تشكو الفقر الكافر .

* * *

ولا شك في انك رأيت شبابنا ومثقفينا، بسبب قلة الاطلاع وعدم المعرفة، ينزلقون رويداً رويداً في حمأة الامية، امية الادب وامية الموسيقا، منقادين الى توجيه المستعمر الذي حبب اليهم التوغل في ادبه وموسيقاه، موحياً اليهم ان من اقوى دعائم المدنية التي يحملها اليهم، ان يسيروا في ركب ادب عالمي وموسيقا عالمية .. ورأيتهم يتسابقون في هذا المضمار ليدلوا على مبلغ تعشقهم للمدنية الحديثة، وشهدتهم يتغالون ... حتى اتهموا بالرجعية كل من يحاول الرجوع الى الكتب التي نعتوها « بالصفراء » فغدا الناس خوف هذه التهمة، وبسبب الجهل، لايحسنون مشاركة الآباء في عواطفهم ولا يتحسسون بمشاعرهم واحاسيسهم، بل رأيتهم يهملون فنوناً منحها الآباء من خفقات قلوبهم ورعشات وجدانهم ماجعلهم يبلغون بها اوج عصورهم الذهبية .

اجل لقد رأيت كل ذلك وشهدته فجعلت تقول في نفسك :

« اذا نحن لم نفهم الاباء ولم نشاركهم عواطفهم ومشاعرهم واحاسيسهم فهل يفهمنا ابناؤنا ، وهل سيشاركوننا عواطفنا ومشاعرنا واحاسيسنا ؟ واذا نحن لم نفهم الاباء ولم يفهمنا الابناء ، فهل نحن امة حقاً ؟ أليست الامة مجموعة عواطف ومشاعر واحاسيس متوارثة جيلا بعد جيل ؟ »

ورحت تتساءل : « اذا دامت حالنا على هذا المنوال ، افلا يؤول امرنا الى الضياع ؟ » .

لقد تساءلت وناقشت وقررت بأن مكتبتنا ، اذا بقيت تشكو الفقر المدقع والجوع الملح ، فلن يبقى لنا بين الامم ما نعتز به من علم وعرفان ، او ما يشير الى مكاننا الرفيع . واننا اذا اهملنا دررنا وجواهر كنوزنا ، فلن يجدينا ان نتحلى بحلى الغير ... الزائفة .

ونظرت الى المستقبل فراعك ديجوره ، وخفت ان تضيع بين طياته ثروتنا الفنية وثقافتنا الاصيلة ، بل ذهبت الى ابعد من ذلك وتصورت بعين الخيال ضياع كياننا كأمة تعتز بماضيها المجيد .

وانك لم تكن مغالياً يا صديقي في تصوراتك ، فانا ايضاً رأيت ما رأيت وشعرت بما شعرت فتشاءمت وتخوفت ، ورأيت فرضاً علي ، وخاصة في هذا العهد الاستقلالي ، ان اقتحم شتى الصعوبات لاقدم اليك والى امثالك الذين يشعرون بشعورنا ، مؤلفي هذا - جهد المقل - وفيه ما توصلت اليه من بحث ، هو في الحقيقة مجموعة جواهر من كنوزنا .

ولا شك في انك ستقدر هذا العمل الفردي - على ضآلته لانه سيحقق قسماً من رغباتك ، وسيفتح امامك باب البحث والتنقيب للوصول الى معلومات اوسع .

ويكفيني فخراً ، اذا استطعت ان انبه افكار الذين كانوا يظنون بموسيقانا الظنون ، وان ارشدهم الى ان موسيقانا وهي الفنية بمشاعرها واحاسيسها ، القوية بقواعدها واساليبها ، القديرة على التعبير عن اسمى العواطف الانسانية ، لاتقل روعة وفخامة عن الموسيقا الكلاسيكية ، وان تراثنا الفني له المكانة المرموقة بين فنون العالم ، وقد شهد بذلك علماء العالم والمستشرقون .

وانك يا صديقي لن تراني مغالياً ، اذا غصت معي الى اعماق كنوزنا ورأيت فيها ما يبهر بصرك ويزيد في عجبك .

. . . . . .

وبعد فمؤلفي هذا ، سلسلة متعددة الحلقات ، خصصت كل حلقة منها لكنز من كنوزنا الادبية الموسيقية ، امسح فيها عن هذا الكنز ما علق عليه من غبار خلفته خطا السنين واظهره للعالم بجماله الطبيعي الأخاذ .

وقد تقصدت ان يكون هذا المؤلف، سهل العبارة لين المنهج مبسط الاسلوب ، تفهمه العامة ولا تنكره الخاصة . اوثق فيه عرى الصلة بين الامس واليوم، مهيباً باخواني الادباء والموسيقيين وابنائي طلاب المعاهد الموسيقية ، ان يعودوا الى امسهم القشيب ليتحلوا بجواهره الفريدة ودرره النفيسة وان يعملوا على ايجاد نهضة ادبية موسيقية جبارة تتناسب مع تاريخنا المجيد، وعزة الاستقلال، وامل المستقبل .

وقد اطلقت على هذه السلسلة اسم :

من كنوزنا

لتدل على الهدف الذي قصدت ، والمبدأ الذي اتبعت ، آملا ان اكون قد وفيت الفرض وقمت بالفرض المقدس ، والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق .

فؤاد رجائي



بين يدي هذه الحلقة
الموشحات الأندلسية

بقلم المؤلف

صديقي القارئ !

لاشك في انك قرأت او سمعت ، ان غناء الموشحات يعتبر بحق عماد الغناء العربي الاصيل .

ولا شك في انك تتساءل عما اذا كان هذا القول صحيحاً ...

اجل يا صديقي انه صحيح ولست مغالياً اذا اعتقدت بان الموشحات ، وهي كنزنا الموسيقي الخالد ، والمرجع الاول للاقتباس والمماثلة ، وأنها في الحقيقة ، النبراس الوهاج يهدي موسيقيينا اليوم سواء السبيل . ولذلك ، ولكل هذه الاعتبارات ، فقد جعلت من هذا الكتاب وهو الحلقة الاولى من سلسلة « من كنوزنا » ، مجالا رحباً ، اجلو فيه ما غمض من اقوال المؤلفين ، مفسراً نظرياتهم ، شارحاً قواعدهم لتكون الفائدة من سماع غناء الموشحات، اعم واشمل .

وقد رأيت ان لا بد لي ، وانا اخوض هذا البحر الخضم ، من ان اقدم اليك جزيرة الاندلس وشعبها العربي ، وان اوضح لك مدى تفكير هذا الشعب، وكيف تطور وتطور تفكيره ، لأعرفك على المحيط الذي انتج هذا اللون من الشعر الغنائي « الموشحات » ولأتيح لك ان تمتع بصرك بجمال الروض البهيج بنظرة اجمالية شاملة قبل ان تجول فيه ؛ لتتعرف على وروده وازهاره ... ، فان للمنظر العام سحراً لايقل عن سحر دقائقه ، اذا لم نقل انه يضاهيه .

فتعال معي يا صديقي نمتع الطرف بالمنظر العام اولاً ...

ها هي الاندلس ، فردوسنا المفقود ، وهذه خارطتها ...

لقد رسم هذه الخارطة بريشته، نابغة الجغرافيين واول استاذ لفن تخطيط البلدان ، الشريف الادريسي المتوفي عام ٥٧٥ للهجرة . وبرأي كوندي أنه توفي عام ٥٦٠ هـ . وفي الصفحة التالية خارطة ثانية للاندلس ، وهي احدث ما رسمه الجغرافيون ..

انظر .. انك لن ترى الا فارقاً يسيراً بين الخارطتين .. فهل عرفت الآن مبلغ ما وصل اليه العرب من علم وفن ....؟

والآن اسمع ... فسأسرد عليك تاريخ العرب في الاندلس منذ الفتح العربي حتى سقوط غرناطة ،

آخر معاقل الاسلام في الاندلس بيد فرديناند وايزابيلا . واعتقد انني ما تركت شاردة ولا واردة ، كان لها أثر فعال في تطور الاندلس ، الا سردتها عليك ، ولو بشكل موجز .

دقق في هذا الثبت الذي نظمته لك ، انه ثبت دول ملوك الطوائف ، بينت لك فيه اسم كل دولة منها واسم عاصمتها ، وتاريخ نشوئها واسم مؤسسها وموافقة تاريخ تأسيسها لعهد اي خليفة من الخلفاء الامويين في الاندلس ، واسم آخر ملوكها الذي انقرضت هذه الدولة في عهده وعرفتك على سبب انقراضها ... انها معلومات دقيقة لم يتسع لها صدر مؤلف واحد حتى الآن ...

والآن .. وقد تعرفت على تاريخ الاندلس السياسي فتعال ننظر في تاريخها الادبي ، تعال نبحث في تطور الشعر الاندلسي حسب تطور المجتمع وحسب تسلسل العصور السياسية . ان القرون الثمانية التي عاشها العرب في الاندلس ، لم تكن طبعاً ، تسير على وتيرة واحدة. لقد ابتدأت بعصر بطولة وفتح، وانثنت الى عصر تأسيس دولة قوية ، فعصر اثراء وترف ، فعصر انقسام وتفرقة ، فعصر انخذال واضمحلال وفناء .
انه تطور يشبه الى حد كبير تطور الدول .. ولكنه في الاندلس لم يكن تطور دولة بل كان تطور امة..

ففي خلال هذا التطور ، كيف تطور الفكر العربي ؟ والى اي حد بلغ الابداع عندهم وفي اي عصر بدأ الاسفاف والتقهقر و كيف صار امرهم الى العدم ؟... كل هذا ستجده موضحاً ومستشهداً عليه بأمثلة من الشعر ، والشعر اصدق مرآة للمجتمع .

وخلال ذلك ، انظر الى هذا اللون من الشعر ، الذي ظهر في عصور التفرقة والانخذال .. انه شعر المراثي والصريخ .. فهل رأيت ما يشبهه في آداب بقية اللغات الحية ؟ .. انه شعر امة نبيلة كانت غنية قوية تتيه على الزمن ، فاوصلها تفرقها وانقسامها الى آخر درجات الذل والهوان ... فراحت تستصرخ بعضها للنصر على بعض ، وتستجدي احياناً ، العون من بعضها ، ضد عدوها الذي يتعاون معه بعضها الآخر .. كل هذا بدلاً من اتحادها وتضامنها امام هذا العدو المشترك ، الذي ابتلعها فيما بعد ، لقماً سائغة ، قسماً بعد قسم .. ودولة بعد دولة ..

والآن يا صديقي ، وقد سرحت طرفك في معالم الجزيرة الاندلسية ، ورأيت ما مر عليها في ايام سعدها ونحسها ورأيت اثر ذلك منعكساً في مرآة شعرها فتعرفت على مراحل تطور تفكيرها .. فتعال معي الآن ننظر في تراثها الفني الخالد .. تعال نمتع وجداننا في هذا اللون من الشعر الذي نبت في الاندلس ، ونما وازدهر بين رياضها الباسمة ودوحها الذي يحنو على جلاسه (حنو المرضعات على الفطيم) .. وأشرق واينع بين سمائها الصافية ومائها الذي :

تروع حصاه حالية العذارى		فتلمس جانب العقد النظيم

هل عرفت هذا اللون من الشعر ؟ .. انه الموشح .. انه الشعر الذي وضع للغناء ، والغناء سبّب ظهوره . فمن الذي غرس غرسته الاولى ...؟.. سترى انه زرياب.. زرياب الذي قدم الى الاندلس في عهد عبدالرحمن الاوسط هاربا من بغداد ... زرياب الانوف الشجاع، الذي مر في طريقه الى الاندلس بمدينة القيروان وذهب الى بني الاغلب ودخل على زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب فاحتقره وعاب عليه لونه الاسود فغناه بأبيات عنترة الفوارس:

فان تك امي غرابية	من ابناء حام بها عبتني
فاني لطيف ببيض الظبا	وسمر العوالي اذا جئتني
ولولا فرارك يوم الوغى	لقدتك في الحرب اوقدتني

فغضب زيادة الله وأمر بصفع قفاه واخراجه قائلا له إن وجدتك في شيء من بلدي بعد ثلاثة ايام ضربت عنقك ، فجاز البحر الى الاندلس ..

زرياب ... الذي حسده عالم الاندلس عبد الملك بن حبيب السلمي فأنشد هذه الابيات :

قد طاح امري والذي ابتغي	هين على الرحمن في قدرته
ألف من الحمر واقلِلْ بها	لعالم أربى على بغيته
زرياب قد اعطيها جملة	وحرفتي اشرف من حرفته

اجل انه زرياب .. الذي جاء الى الاندلس واسس فيها اول معهد موسيقي ، درّس فيه قواعد واساليب الموسيقا العربية واوضح بشكل خاص أثر تطابق الايقاعين الشعرى والغنائي ، وعمم طريقة الغناء على اصول النوبة ، فكانت السبب في اختراع الموشحات ..

ولا شك فى انك ياصديقي ، بعد اطلاعك على كل ذلك ستنادي معي بتخليد زرياب الموسيقار الفنان ..

واخيراً تعال ننظر في هذه المجموعة الضخمة من الموشحات المدونة .. انها مكونة من اثنتين وعشرين وصلة كاملة ، متسلسلة حسب تسلسل السلم الموسيقي العربي ، انها جمع وكتابة الاستاذ نديم الدرويش ، الذي يكفي ان يقال عنه انه نجل فقيد الموسيقا العربية وبطل نهضتها الحديثة، الاستاذ الكبير الشيخ علي الدرويش .

تبدأ كل وصلة من هذه المجموعة بمقدمة موسيقية من نوع السماعي ثم تأتي الموشحات حسب تسلسل اوزانها الغنائية فتأتي الاوزان الثقيلة اولا ثم الخفيفة فالاخف ، على قاعدة زرياب ، فما اشبه الوصلة بالنوبة الغنائية ، وقد اصطلحنا على تسميتها « وصلة » كما سماها الحلبيون الاوائل .

وانك ستجد اكثر هذه الموشحات وخاصة القديمة منها ، من الشعر القريض ؛ الملحن على طريقة غناء الموشحات ، وستجد الملحنين ، لاجل اتمام دورة الايقاع الغنائي ، ومطابقتها على

تقطيع الايقاع الشعري ، قد ادخلوا على الشعر الفاظاً سموهـا « الترنم » مثل « يا لا ... يا للي ... الخ ... » تماماً كما فعل ابن بقي في موشحه :

من طالب ثار قتلي ظبيات الحدوج فتـانات الحجيج

وسترى تفصيل ذلك في الصفحة ١٣٢ من كتابنا هذا .

واعتقد يا صديقي ان سبب تغلب الشعر القريض في موشحاتنا القديمة الملحنة على طريقة غناء الموشحات الاندلسية ، هو ان الموشح حين انتقل من الاندلس الى المشرق وخاصة الى حلب ، اعجب الحلبيون بطريقـة غنائه ولم يعجبوا بطريقة نظمه بسبب انتشار الزجل فيه .

واذا كان ابن خلدون يصف في مقدمته ، انتشار الزجل في الاندلس (١)

واذا كان ابن سعيد يقول في مدار حديثـه عن ابن قزمان « ورايت ازجاله مروية في بغداد اكثر ممـا رأيتها بحواضر الغرب » (٢)،

واذا كان ابن سناء الملك المصري ، حين تـكلم عن الموشح في مقدمة مجموعته (دار الطراز) ، قد جعل الخرجة اهم اقسام الموشح وقال ان (الشرط فيها ان تكون من الفاظ العامة) (٣) ،

واذا كانت هذه الاقوال جميعاً تدل على انتشار الزجل في الاندلس وبغداد ومصر فلا شك ان حلب ، التي اصبحت فيما بعد ، العاصمة الثانية لغناء الموشحات بعد غرناطة ، حلب ، مدينة سيف الدولة والمتنبي وابي فراس والبحتري والمعري ... ابت ان تساير الزجل في انتشاره ، فاخذت طريقة غناء الموشحات وطبقتها على الشعر القريض ولما اعوزها تطابق الايقاعين ادخلت على الشعر الفاظ الترنم (٤) واورثتنا هذه الطريقة الخالدة.

وكم كنت ارغب في تسمية هذه المجموعة المدونة « غناء الموشحات » او ان اطلق عليها اسم «الموشحات الحلبية » ، ولكنني فضلت اخيراً ان اضمها الى هذه الحلقة ـ الموشحات الاندلسية ـ لاشير الى فضل زرياب في وضع هذه القاعدة الغنائية ولاساير المثل القائل « ان الخطأ المشهور خير من الصواب المهجور » ، فجاءت هذه المجموعة كركن اساسي لهذه الحلقة .

والان يا صديقي فاني ارى سؤالا يحار على لسانك وتتردد في نطقه، واعتقد ان سؤالك هو هذا :

---

(١) صفحة ١٣٥ من هذا الكتاب .

(٢) نفح الطيب .

(٣) صفحة ١٠١ من هذا الكتاب .

(٤) سنفرد لموضوع دخول الترنم على الموشحات ، فصلا خاصاً في حلقة اخرى من هذه السلسلة فالى ذلك نلفت الانظار .

لماذا ندون الحاننا العربية بالنوتة الفرنجية ؟ ألم يكن للعرب رموز يدونون بها الحانهم ؟ واذا كان ذلك كذلك فلماذا اهملنا تدوين الحاننا بهذه الرموز ؟ ... فاليك يا صديقي جوابي وارجو ان يكون وافياً بالغرض :

لا شك في ان العرب الذين دونوا مختلف علومهم وفنونهم وصنفوها في كتبهم ليستفيد العالم من بنات افكارهم، وخوفاً عليها من الضياع، لم يفتهم ان يوجدوا رموزاً يدونون بها الحانهم الفنانية التي كان لها ولاصحابها المكانة العليا في بلاط الخلفاء والامراء والوزراء . ولكن الضربتين القاضيتين اللتين منيت بهما المكتبة العربية : الاولى في المشرق على يد هولاكو، والثانية في غرناطة على يد فرديناند، قد اضاعتا علينا كثيراً مما خلف العرب من علوم ومعارف ، ومنها الكتب الموسيقية ومجموعات الالحان . ولكن مع ذلك فقد بقيت كتب مخطوطة موزعة في شتى المكتبات والمتاحف الاجنبية . فسعيت وراءها واستجلبت بعض صورها الفوتوغرافية، ومن دراستها جميعاً اعتقد اني قد توصلت الى سر هذه الرموز وساقدمها اليك يا صديقي في حلقة ثانية من هذه السلسلة ، معتقداً انها اضبط ما نشر عن سر تلك الرموز العربية .

اما السبب في انا قدمنا اليك في حلقتنا هذه ، موشحاتنا ، مدونة بالنوتة الفرنجية فرد ذلك يرجع الى سببين :

اولاً ـ ان موسيقيينا المعاصرين وطلاب المعاهد الموسيقية قد تعلموا النوتة الفرنجية فاصبحت قراءتها سهلة عليهم ، ولا نريد ان نثقل عليهم بدراسة الرموز العربية الآن، وهدفنا في هذه الحلقة هو نشر هذه الموشحات وايضاح كل ما يتعلق بها من معلومات ، فاردنا ان نسهل الطريق الموصلة الى هذا الهدف .

ثانياً ـ اردنا ان يشترك معنا الموسيقيون الغربيون والمستشرقون في الاستمتاع بهذا الفناء العربي الاصيل، ومن الواضح ان هذه الغاية لا يمكن تحقيقها الا اذا دونا موشحاتنا بالنوتة الفرنجية .

* * *

والان يا صديقي القارىء ، وقد عرفتك على هذه الحلقة من سلسلة :

من كنوزنا

وكشفت لك عن محتوياتها ، فاني ارجو ان ترى فيها ايضاحاً كافياً ، وحافظاً لهذا الكنز ـ الموشحات ـ من الضياع ، كما اني ارجو ان تعيرها ما تستحق من عناية ورعاية وتقدير ولك الشكر اولا وآخراً . . .

فؤاد رجائي

ثبت تصحيح أهم الاخطاء المطبعية

الصفحة	السطر	الخطأ	صوابه
٣	١٣	انة	ابنة
٧	١٣	المتنبي	المثنى
٢٥	١٦	الرقم ١٢	١٤
٢٧	٢٠ و ٢٤	مرزال	برزال
٢٨	١	الرقم ١٩	٢١
"	٥	" ٢٠	٢٢
"	١٢	" ٢١	٢٣
٢٩	٣	" ٢٢	٢٤
٣٠	١٢	" ٢٣	٢٥
٣٢	١٣	" ٢٤	٢٦
٣٧	٥ من الحاشية	لقيب	لقيت
٣٧	١١ " "	عضني	غضي
٣٨	٦ " "	هيفساء	هيفاء
٣٨	١١ " "	انخن	انحن
٤٣	١٩	جماجاً	جماجما
٤٤	٤	حباً	صباً
٤٥	٦	وأمتّ	وأمت
٩٠	٣	أمــى	أسى
٩٧	٢ من الحاشية	اطول	اطلال
١٢٤	٩	عسا	عساه

نبغ العرب في كثير من العلوم والفنون نبوغاً عظيماً ومن علومهم (الجغرافيا) و(فن تخطيط البلدان)، فوضعوا المعاجم الجغرافية المتقنة التي اشتهر منها بالاخص ، معجم الشريف الادريسي المتوفى عام ٥٧٥ هـ .

ويقول الادريسي عن نفسه ، بانه اولع بالاسفار منذ نعومة اظفاره فجاب بلاد الروم واليونان ومصر ومراكش والاندلس وفرنسا وانكلترا ليرى بعينه ما سمع عنها .

وذاع ذكر الادريسي في الآفاق وسمع به روجار الثاني ملك صقلية فدعاه اليه واقترح عليه ان يدوّن معارفه الجغرافية في سفر موسع يحفظها من الضياع ففعل ، ووضع كتاباً اسماه : « نزهة المشتاق في اختراق الافاق »، ترجم مؤخراً الى اللغة الفرنسية وأثبتت فيه خارطاته ورسومه . وهو كتاب مستوعب لاطراف علم الجغرافية ، اضاف فيه الادريسي الى معلوماته الخاصة ، معلومات مما دونه اسلافه جغرافيو العرب في مؤلفاتهم فاستعان :

١ — بكتاب الفه سليمان التاجر عن الهند والصين . وهو اول كتاب جغرافي نشر عن الصين وترجم الى اللغة الفرنسيه عام ١٨١١ م.

٢ — بكتاب لابي زيد حسن .

وكلا المؤلفين من ابناء القرن الثالث للهجرة .

٣ — بكتاب « المسالك والممالك والمفاوز والمهالك » ، لابن حوقل المتوفى عام ٣٨٠ للهجرة .

ومما يجدر ذكره ان الادريسي اصطنع للملك روجار ، كرة من الفضة زنتها ما يقارب (١٨٠) كيلو غرام من اوزاننا اليوم ، رسم عليها جميع اجزاء الارض المعروفة في عهده وحدد مواقع بلدانها وانهارها وجبالها وبحورها ، برسم دقيق شرحه شرحاً وافياً ، واشار الى وجوب وجود قارة مكان قارة اميركا، حفظاً للتوازن في الكرة الارضية .

وخارطة الاندلس التي تراها ، منقولة عن خارطة مفصلة للعالم القديم رسمها النابغة الشريف الادريسي وقام بنشرها ، مؤخراً المجمع العلمي العراقي . وبمقارنتها مع الخارطة المنشورة على الصفحة السابقة. وهي آخر خارطة رسمت لعهدنا ، ترى الفارق بينهما لا يكاد يذكر .

الاندلس وشمالي افريقيا

كما رسمها الشريف الادريسي المتوفى سنة ٥٦٠

الاصطلاحات

• المدن

الجبال

الانهار

فاذا عرفت ان بين رسم الخارطتين مايقارب (٨٥٠) عاماً . ظهر لك اثر من النبوغ العربي ، في وقت لم يكن لديهم شيء يساعدهم على رسم الخرائط، من طائرات واجهزة للتصوير الفوتوغرافي وادوات فن المساحة وغيرها .

بل لظهرت لك سعة معارف العرب في علم الجغرافيا وفن تخطيط البلدان وتفوقهم على جميع معاصريهم من الامم .

اما عن استكشاف العرب لمجاهل المحيط فقد ذكر كوندي نقلا عن الشريف الادريسي ان ثمانية عشر رجلا من العرب غادروا شاطيء اسبانيا الغربي في بدء القرن الحادي عشر الميلادي ، في مركب شراعي بقصد الاستكشاف في المحيط الاطلانطي،فساروا غرباً ثم جنوباً ورسوا بجزيرة، ثم استمروا جنوبا فاستكشفوا جزيرة اخرى (ربما كانت من جزر الكناري) وهنالك شاهدوا رجالا عمالقة حمر اللون طوال الشعور، ونساء فاتنات في الحسن ، وقد اخذوا لمقابلة ملك تلك الجزيرة واخبروه بأنهم خرجوا ليكتشفوا مجاهل المحيط الى نهايته ، فأقنعهم باستحالة مشروعهم فعادوا شرقاً وساروا ستين يوماً حتى عادوا الى ميناء لشبونه. (العرب في اسبانيا لعنان)

ويقول العلامة ملطبرون : انه خرج من لشبونة بلاد الاندلس قبل كريستوف كولومب بزمن طويل ، جماعة من العرب يقال لهم - المغرورون - فركبوا البحر يبحثون عن اراض جديدة في الاطلانطيك، ولكن الحظ لم يساعدهم كما ساعد كولومب من بعدهم .

فهذه الرحلات العظيمة التي قام بها العرب الاندلسيون ، يضاف اليها معارفهم الفلكية ، سارت بعلم الجغرافيا وفن تخطيط البلدان شوطاً بعيداً مكنهم من تصحيح اغلاط بطليموس وقياس البلاد قياساً دقيقاً وساعدهم على معرفة مواقع المدن فيها ، وابقوا اسم هذا العلم على اصله اليوناني « جغرافيا » . « حضارة العرب لداغر »

ويقول عنان : ان هنالك مايحمل على الاعتقاد بأن العرب الاندلسيين استكشفوا جزر آزور والكناري .

الأندلس وشمالي إفريقيا
كما رسمها بولس عواد عام ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م

الاندلس في التاريخ

توطئة

يطلق العرب اسم الاندلس على شبه جزيرة ايبريا التي تضم الآن دولتي اسبانيا والبرتغال .

ورغم تعدد المذاهب في سبب التسمية فانا نميل الى الاخذ برأي الاستاذ « دانفيل » في كتابه « ممالك اوربا » من ان لفظة أندلس مشتقة من كلمة « فاندالوسيا » اي بلد الفاندال .

والفاندال قبائل هبطت افريقيا واستولت على شبه الجزيرة بعد ان تغلبت القبائل الجرمانية على روما .

* * *

كانت افريقيا منذ زوال دولة قرطاجة القديمة في اوائل القرن الثاني قبل الميلاد الى اواسط القرن الخامس بعده ـ ولاية رومانية ، وكانت شبه جزيرة ايبريا تابعة لها . ولما استولى عليها الفاندال في اواسط القرن الخامس بعد الميلاد خرجت من سلطة الدولة الرومانية الشرقية حتى استعادها يوستنيان امبراطور الدولة الشرقية على يد قائده الشهير بليزاريوس في اوائل القرن السادس بعد الميلاد .

فبقيت تحت ظل الدولة الرومانية الشرقية حتى افتتحها العرب .

الكتاب الاول

الفتح العربي

الباب الاول

العرب في افريقيا

١ ـ في العام ١٨ للهجرة الموافق للعام ٦٣٩ للميلاد افتتح العرب مصر في عهد ثاني الخلفاء الراشدين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه . على يد القائد العربي الشهير عمرو بن العاص .

٢ ـ في العام ٢١ هـ افتتح عمرو بن العاص « برقه » و « طرابلس »

٣ ـ في العام ٢٦ هـ ـ في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ـ توغل المسلمون في قفار افريقيا بقيادة عبد الله بن سعد ـ الذي خلف عمرواً في ولاية مصر ـ وعقبة بن نافع قائد العرب في « برقة »، وافتتحوا « سبيطلة » و « زويله » .

٤ ـ توقف الفتح العربي نحواً من عشرين سنة (من العام ٢٦ الى العام ٤٥ هجري) بسبب الفتنة التي استعرت بعد مقتل عثمان وامتد اوارها الى مصر نفسها ، واستعاد الروم قسماً من الارض المفتوحة .

وتمالى الروم في السلب والاغتصاب في الاراضي المستعادة بدلا من ان يعملوا على تخفيف ويلات الفتح عن رعاياهم . فلم يطق الافريقيون ـ الذين ذاقوا عدل العرب ـ صبراً على مظالم الرومانيين فاستنجدوا بالعرب لانقاذهم ثانية من قبضة الروم .

وكانت الحرب الاهلية بين العرب قد انتهت وحسم النزاع الداخلي بفوز معاوية .

٥ ـ في العام ٤٥ هـ اصغى معاوية الى دعوة الافريقيين وأوفد معاويةَ بن حُدَيْج في عشرة آلاف مقاتل فهزم الروم عند حصن « الأجم » وارسل عبد الله بن الزبير الى (سوسة) ففتحها وافتتح عبد الملك بن مروان حصن « جالولاء »

٦ ـ في العام ٥٠ هـ ولى معاوية عقبة بن نافع الفهري على افريقيا فاخترق صحارى « ليبيا » و « برقة » ودخل المغرب الاقصى حتى وصل الى سواحل المحيط الاطلنطي وبنى قلعة القيروان ليستعين بها على صد غارات الروم والبربر .

٧ ـ في العام ٩٨ هـ الموافق لعام ٧١٠ م عين الوليد بن عبد الملك ـ الذي تولى الخلافة بعد ابيه عبد الملك بن مروان ـ موسى بن نصير والياً على افريقيا . فاستهان به البربر وعمدوا الى الثورة . فزق موسى بن نصير جموعهم وافتتح ميناء طنجة الحصين وولى عليه احد ضباط جيشه طارق بن زياد الليثي .

واستمال موسى بن نصير اليه وجوه القبائل وعين للبربر من يعلمهم احكام الاسلام فلم يمض قليل حتى اعتنقت الأمة البربرية بأسرها الدين الاسلامي . وعلى ذلك يطلق المستشرقون على موسى بن نصير لقب الداعية **Propagandiste** .

وافتتح موسى جزر (ميورقه) و (مينورقه) و (ايفيقية) و (سردانيه) و (صقلية) . فامتد حكم العرب في عهده الى سواحل المحيط ماعدا سبتة « سوته » التي كان يحكمها الكونت يوليان القوطي من قبل ملك اسبانيا . وكانت تشمل جزائر البحر الابيض الغربية .

٨ ـ في العام ٩١ هـ بينما كان موسى بن نصير يمني نفسه بالاستيلاء على سبتة (سوته) جاءته رسالة من يوليان نفسه يعرض فيها حصنه ونفسه وسيفه في سبيل نصر المسلمين ويدعوه لفتح اسبانيا .
واذا سألت عن سبب ذلك الغدر الذي اقدم عليه الكونت يوليان في خيانة قومه ، اعاد الاسبان عليك قصة « فلورندا » ابنة يوليان .

وهي قصة فتاة ارسلها ابوها الكونت على عادة الامراء والاشراف في ذلك العهد ـ الى بلاط الملك في طليطلة لتتلقى فيه ما يليق بها من التربية بين كريمات العقائل . وكان في بلاط الملك امير يدعى «رودريك» اغتصب « فلورندا » وانتهك عفافها ، فأتت اباها تخبره فأقسم ابوها على الانتقام .

وصادف ان اغتصب رودريك هذا ، العرش بعد وفاة الملك « وتيزا » ملك القوط.

فاسقط في يدي يوليان ، فاستنجد بالعرب وعرض على موسى بن نصير نفسه وسيفه في سبيل نصرهم على ملك القوط وافتتاح اسبانيا .

فتريث موسى حتى يستأذن الخليفة الوليد بن عبد الملك .

وبانتظار ذلك ارسل موسى جيشاً مؤلفاً من خمسمائة مقاتل بقيادة طريف بن مالك لجس النبض خوف الخديعة؛ فسار طريف ونزل الجزيرة التي سميت باسمه فرأى من اكرام المسيحيين ومن خيرات الجزيرة وسلامة العودة ماحمل موسى على الاستبشار بالظفر وبلوغ الآمال .

الباب الثاني

العرب في الاندلس

١ - في شهر رجب من عام ٩٢ هـ الموافق نيسان ٧١١ م جاء جواب الخليفة الى موسى يأمره فيه ان يفتتح ممالك الغرب الواقعة في شمال افريقيا وأن يضمها للخلافة .

فجهز موسى بن نصير سبعة آلاف مقاتل من العرب والبربر وعهد بقيادتهم الى طارق بن زياد الليثي الذي كان والياً على ميناء « طنجه » فعبر طارق البحر « المضيق » على سفن يوليان ونزل بالبقعة التي سميت حتى الآن باسمه «جبل طارق» ثم سار الى ولاية الجزيرة التي كان يحكمها (تدمير القوطي) فاستولى عليها .

وسمع رودريك ملك القوط بالخبر فجمع الجموع فاجتمع له مايزيد على مأة الف مقاتل .

وأمد موسى طارقاً بخمسة آلاف اخرى من المقاتلين فبلغ عدد الجيش الاسلامي اثني عشر الفاً مقابل مأة الف من المقاتلين المدافعين عن ملكهم .

وعلى قيد فرسخين من « قادس » ولليلتين بقيتا من رمضان عام ٩٢ هـ التقى الجمعان على ضفتي نهر وادي لكه (الجواديليت) وفرق النهر بين الجيشين وشعر المسلمون رغم شجاعتهم الخارقة بثقل وطأة العدو وراعتهم كثرته فألقى طارق فيهم خطبته الشهيرة :

(ايها الناس اين المفر ، البحر من ورائكم ، والعدو امامكم ، وليس لكم والله الا الصدق والصبر ...)

وكانت معركة حاسمة تجلى فيها النصر للمسلمين ودامت اسبوعاً كاملا - حتي اليوم الخامس من شوال ٩٢ هـ - وقتل فيها رودريك .

وزحف طارق الى مدينة شذونه (مدينا سدونيا) فاستولى عليها واستولى على «قرمونه» وفرض الجزية على اشبيلية حتى انتهى الى مدينة استجة وطليطلة عاصمة القوط وقرطبه وغرناطه والبيره وتدمير ومالقه وقسطيلة « قشتالة » وليون واستولى عليها جميعاً حتى اشرف على ميناء كيجون الواقع على خليج غسقونيا .

ووصلته اوامر موسى بالعودة الى طليطلة وانتظاره فيها . فكان في ذلك ختام فتوحاته لعام واحد من اقتحامه المضيق .

٢ - وفي رمضان من العام ٩٣ هـ زحف موسى بن نصير وعبر البحر - المضيق - في عشرة آلاف من العرب وثمانية آلاف من البربر على سفن عربية انشأها موسى خلال ذلك .

واستقبله طارق بالقرب من طليطلة وزحف الاثنان على ولاية(اراجون)واستوليا على سرقسطه وتراغونه وبرشلونه وعبر طارق جبال البيرنه وغزا ولاية «لانجدوك» واستولى على قرقشونه(كاركاسون)واربونه (نربون).

وفي اثناء ذلك كان عبدالعزيز بن موسى بن نصير قد افتتح ساحل البحر الواقع بين مالقة وبلنسية .

ولنا في معاهدته مع تدمير ـ صاحب المدينة المسماة باسمه وهي ولاية الجزيرة ـ خير شاهد على اعتدال السياسة العربية ولينها فقد كان اديمها العدل وبطانتها الرحمة مصداق قول غوستاف لوبون (لم يعرف التاريخ فاتحاً ارحم من العرب) .

٣ ـ وتوالى على الاندلس ـ بعد عزل موسى وطارق ومقتل عبد العزيز بن موسى ـ ولاة ساهموا في الفتح العربي حتى استولوا على قسم عظيم من فرنسا ووصلوا الى (تور) و (بواتيه)

٤ ـ وفي سهول هاتين المدينتين «تور وبواتيه» فقد العرب عظمتهم في المركة التي جرت بين عبدالرحمن بن عبدالله الغافقي و (شارل مارتل)

وكان سبب الاندحار هو الخلاف الذي مزق صفوف العرب .فتوقف تيار الفتح وقصرت اشعة الاسلام عن تناول الممالك الشمالية في العام ١١٥ هـ الموافق لعام ٧٣٥ ميلادي .

٥ ـ وعم الاضطراب بلاد الاندلس ونشبت فيها الحروب الداخلية وتنازع سيادتها الاحزاب المختلفة من عرب وبربر واسبان ،يثب فيها امير على امير دون اكتراث للخلافة في دمشق او عمالها في افريقيا .

٦ ـ وفي العام ١٣٢ هـ الموافق لعام ٧٥٠ م لم يكن الحال في بلد الخلافة بأحسن منه في الاندلس فقد تزعزع عرش دمشق وتحول مركز الخلافة الى بغداد وتسنمه خلفاء بني العباس .

الكتاب الثاني

الاندلس دولة مستقلة

في العام ١٣٢ هـ الموافق للعام ٧٥٠ م كانت المملكة الاسلامية كشعلة من نار بسبب الثورات التي شبت في كل اطرافها .

وكان الخليفة الاموي - مروان بن محمد بن مروان بن الحكم رابع عشر خلفاء بني امية - لايكاد يطفيء ثورة حتى تشب ثورة ادهى وأمر .

وكان اعظم هذه الثورات وأخطرها ثورة بني العباس التي كان من نتاجها هرب الخليفة مروان الى مصر ومقتله فيها فتلاشت بمقتله الدولة الاموية في المشرق لتنهض وتزدهر من جديد في الاندلس ، على يد شاب من امراء الامويين نجا من قبضة السفاح اول الخلفاء العباسيين .

وهذا الامير الشاب هو عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان .

فقد تمكن عبد الرحمن من الهرب باعجوبة وكانت وجهته افريقيا بعد ان ايقن ان بني امية لن تقوم لهم قائمة بالمشرق .

ولكنه بعد ان تجول في افريقيا ست سنوات رأى ان الاستقلال بها امر مستحيل فحول انظاره الى الاندلس .

الباب الاول

الامويون في الاندلس

١ ـ في العام ١٣٨ هـ الموافق للعام ٧٥٥ م عبر الامير عبد الرحمن البحر الى الجزيرة فبايعه بعض اهالي اشبيليه وريه وشدونه . ثم ذهب الى قرطبة عام ١٤٠ هـ فبايعته القبائل اليمنية ولقب بالداخل (١)

وفي ربيع عام ١٤٦ هـ انتصر عبد الرحمن على الجيش العباسي الذي ارسل بقيادة بن مغيث اليحصبي وارسل رأس بن مغيث ورؤوس قواده الى القيروان ومكة . فانكمش عنه العباسيون وأهملوا شأنه . فخلا له الجو وأخضع العصاة ووحد القلوب وثبت دعائم ملك بني امية في المغرب خلال اثنتين وثلاثين سنة امتدت فيها ولايته منذ ان استولى على قرطبة حتى توفي عام ١٧٢ هـ .

ولقبه الخليفة العباسي المنصور بصقر قريش كما اطلق عليه رودريك الطليطلي لقب العادل .

٢ ـ وخلف عبد الرحمن ابنه هشام بعهد منه اليه وكان حازماً حكيما فقمع الفتن وأتم بناء الجامع الكبير الذي اسسه ابوه . وزين قرطبة بالمباني الفخمة وجدد قنطرتها . وكان كثير الاحترام لمذهب مالك فانتشر هذا المذهب بتشويقه في المغرب . وكانوا قبل ذلك يأخذون بمذهب الاوزاعي .

وكان هشام تقياً ورعاً وكانوا يشبهونه بعمر بن عبد العزيز .

وفي عهده تأسست دولة الادارسة في مراكش عام ١٧٢ هـ الموافق لعام ٧٨٨ م ومؤسسها هو ادريس بن عبدالله بن الحسن المثنى بن السبط بن علي بن ابي طالب .

٣ ـ وفي صفر ١٨٠ هـ الموافق لعام ٧٩٦ م توفي هشام بن عبد الرحمن فخلفه بعهد منه ابنه الحكم الملقب بالمنتصر وكان ميالاً الى اللهو يؤثر مجالس الشعراء والمغنين على مجالس الفقهاء والعلماء . وهو اول من استكثر من المماليك بالاندلس وارتبط الخيل ببابه وتشبه بالجبابرة .

وتأسست في عهده الدولة الاغلبية بتونس عام ١٨٤ هـ الموافق لعام ٨٠٠ م ومؤسسها علي بن الاغلب .

وفي عهده ترك زرياب بغداد متوجهاً الى الاندلس فوصلها يوم وفاة الحكم .

---

(١) يقول جرجي زيدان في تاريخه « التمدن الاسلامي » ان عبد الرحمن « جاز البحر ودخل الاندلس وكان عليها امير اسمه عبدالرحمن بن يوسف الفهري فامتلكها منه وخطب فيها للسفاح زمناً قصيراً . ثم عزله العباسيون فقطع الدعوة عنهم ودعا لنفسه سنة ١٣٨ » ولم نجد هذه الرواية في غير ذلك من المؤلفات . اقتضى التنويه .

زرياب

هو ابو الحسن علي بن نافع مولى المهدي العباسي. وزرياب لقب غلب عليه في بلده لسواد لونه مع فصاحة لسانه وحلاوة شمائله ، شبه بطائر اسود غرد عندهم وكان شاعراً مطبوعاً ونابغة الموسيقا في عصره . اجتمعت فيه صفات الندماء مع حسن الصوت .

نشأ في بغداد وكان تلميذاً سرياً لاسحق الموصلي . تلقى عنه فن الغناء واسحق لايشعر به الى ان جرى للرشيد مع اسحق خبره المشهور في ألاقتراح عليه بغن غريب مجيد للصنعة فذكر له اسحق تلميذه هذا فطلبه الرشيد ونادمه فأعجب به ، ولما سأله الرشيد عن معرفته بالغناء قال له : (احسن ما يحسنه الناس ، وأكثر ما احسنه لايحسنونه ، مما لا يحسن الا عندك ولا يدخر الا لك فان اذنت غنيت ما لم تسمعه اذن قبلك .)

فلما اذن له غناه :

يا ايها الملك الميمون طائره　　　هارون راح اليك الناس وابتكروا

وأتم النوبة . فطار الرشيد طرباً وطلب الى اسحق ان يعني به . ولكن اسحق كان قد داخله الحسد فهدد زرياب إن بقي في بغداد ان يعمل على اغتياله باذلا في ذلك بدنه وماله .

فخرج زرياب لوقته متوجهاً الى الاندلس . وكتب وهو في الطريق الى الامير الحكم يعلمه بمكانه من صناعة الغناء ويستأذنه في الوصول اليه فأجابه الحكم وأظهر له رغبته الشديدة في القدوم عليه .

فلما وصل زرياب الجزيرة الخضراء وافاه نعي الحكم فهم بالرجوع فثناه عن ذلك منصور اليهودي المغني رسول الحكم الذي كان يرافقه ، ورغبه في ان يقصد عبد الرحمن الثاني خلف الحكم . فكتب الى عبد الرحمن فأحسن الرد عليه ورحب به .

ولما وصل زرياب الى بلاط عبد الرحمن واستمع اليه شغف به وقدمه على كل المغنين والندماء . فأقام بقرطبة الى ان مات عام ٢٣٠ هـ الموافق ٨٤٥ م وقد ادخل زرياب في الموسيقا العربية تحسينات عديدة أهمها:

١ ـ ادخل في الموسيقا مقامات عديدة لم تكن معروفة قبله .

٢ ـ جعل اوتار العود خمسة وقد كانت قبل ذلك اربعة اوتار .

٣ ـ جعل مضراب العود من قوادم النسر بدلا من الخشب .

٤ ـ وضع قاعدة للغناء ، فكان كل من افتتح الغناء عليه ان يبدأ بالنشيد اول شدوه بدون اي نقر كان ويأتي اثره بالبسيط ويختم بالمحركات والاهزاج تبعاً لمراسم زرياب (١)

٥ ـ وعلى العموم فقد كان لزرياب الاثر الكبير في تحسين الموسيقا العربية كما كانت طريقته في الغناء سبباً قوياً في اختراع الموشحات والنوبات الاندلسية .

---

٤ ـ في العام ٢٠٦ هـ الموافق ٨٢١ م توفي الحكم فخلفه بعهد منه ابنه عبد الرحمن الاوسط ويلقب بالمطرف . وفي اول حكمه وفد عليه زرياب فاستقبله عبدالرحمن استقبالا فخما .

وسنرى في مستقبل بحثنا اثر زرياب في النهضة الموسيقية الاندلسية .

وفي عهد عبدالرحمن الاوسط ساد الامن في الولايات الاندلسية وكان ميالا للادب والفنون .

وفدت عليه سنة ٢٥٥ هـ الموافق ٨٣٩ م رسل «بتوفاس» امبراطور القسطنطينية يطلب مواصلته ويرغبه في ملك اجداده بالشرق حقداً منه على المأمون والمعتصم اللذين عاثا في املاكه الاسيوية .

فكافأه عبدالرحمن على هديته وبعث اليه يحي بن الغزال فأحكم الصلة بينهما وقوى أواصر التحالف .

٥ ـ وفي العام ٢٣٨ هـ الموافق للعام ٨٥٢ م توفي عبدالرحمن الاوسط فخلفه بعهد منه ابنه محمد فسار على سنة ابيه في العناية بالاصلاح .

ولكن في عهده انفجر بركان الثورة في المقاطعات ودامت هذه الثورات حتى توفي سنة ٢٧٣ هـ .

وفي عهده دخل المذهب الحنبلي الى الاندلس على يد الفقيه بقي بن مخلد .

وفي عهده تأسست الدولة الطولونية في مصر عام ٢٥٤ هـ ومؤسسها احمد بن طولون.

٦ ـ وفي سنة ٢٧٣ هـ تولى الحكم المنذر بن محمد ولم يطل حكمه سوى سنتين ينقصها شهر واحد وقد توفي محاصراً ابن حفصون الثائر سنة ٢٧٥ هـ .

٧ ـ بعد وفاة المنذر بن محمد تولى الحكم اخوه عبدالله والخلاف يمزق اوصال المملكة .

وكان وزيره ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد (٢) . وقد دام حكم عبدالله بن محمد هذا

(١) نفح الطيب الجزء الثاني ص ١١٢ .

(٢) ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم الاديب الامام صاحب العقد الفريد . من اهل قرطبة . كان جده الاعلى مولى لهشام بن عبد الرحمن الداخل . وكان ابن عبد ربه شاعراً مذكوراً فغلب عليه الاشتغال في اخبار الادباء وجمعها . له شعر كثير وموشحات اخذ طريقتها عن مقدم بن معافر الفريري شاعر الامير عبدالله بن محمد

ستاً وعشرين عاماً قضاها في محاربة الثوار . واستنفد جهاده موارد المملكة ونشاط الجيش وتوفي سنة ٣٠٠ هـ الموافقة لعام ٩١٢ م .

وفي عهده اخترع الموشحات شاعره مقدم بن معافر الفريري وأخذها عنه ابن عبد ربه ولكن طريقتها لم تنجح حتى جاء من بعثها في مستقبل الايام كما سنرى ذلك في حينه .

وفي عهده تأسست الدولة الفاطمية في مصر وافريقيا عام٢٩٧ هـ الموافق ٩٠٩ م ومؤسسهاعبيدالله المهدي.

٨ ـ وفي عام ٣٠٠ هـ تولى الحكم بعد وفاة عبدالله بن محمد حفيده عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بعهد من جده ولقب بالناصر وظفرت في عهده دولة بني امية بسلطان وسعة لم تظفر بهامنذعهدعبدالرحمن الداخل. واتخذ الناصر لنفسه سمة الخلافة .

وكان عبد الرحمن الداخل قد امر بعدم الدعاء لبني العباس على المنابر ، غير انه لم يتخذ سمة الخلافة . ولم يكن لخلفائه من الجرأة او الرغبة مايحملهم على منافسة بني العباس في شعار كان يعتبر ميراثاً خالصاً لهم كأبناء آل البيت ولأنهم كانوا يشرفون على الحرمين الشريفين .

ولكن تغير الاحوال الى عهد عبد الرحمن الناصر ودخول دولة بني العباس في دور الانحلال واستبداد موالي الترك والديلم بالأمر واشتداد ساعد العلويين في افريقيا ومقتل الخليفة المقتدر بالله العباسي بيد مولاه مؤنس المظفر سنة ٣١٧ هـ ، كل ذلك جعل عبد الرحمن الناصر يبيح لنفسه ان يتخذ سمة الخلافة .

وتسمى بأمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر لدين الله . فكان اول امير من بني امية اتخذ ذلك المنصب كما انه كان اول امير تلقب ،وكان لقبه الناصر لدين الله . وفي عهده ظهر ابن هانئ (١) في اشبيليه .

وفي عهد الناصر اتخذت الوزارة منزعاً جديداً فتولاها كتاب وشعراء مجيدون بينما كانت في عهد اسلافه مخصصة للقواد الحربيين .

ولعل في حادثة المنذر بن سعيد البلوطي ـ وارتجاله الخطبة الغراء والقصيدة العصماء في حضرة الناصر حينما وفدت عليه رسل قسطنطين السابع امبراطور القسطنطينية عام ٣٣٦ هـ الموافق ٩٥٠ م ـ اكبر شاهد على كيفية تعيين الاشخاص للمناصب العالية فقد ولاه الناصر يومئذ القضاء مكافأة له على انقاذه للموقف .

---

(١) ابو القاسم محمد بن هانئ الازدي الاندلسي اشعر المغاربة على الاطلاق وكان عندهم كما كان المتنبي في الشرق . ولد في اشبيلية ونبغ فاتصل خبره بصاحبها فحظي عنده. واتهمه اهل اشبيلية بمذهب الفلاسفة واساؤا القول فيه وفي صاحبه صاحب اشبيلية فأشار عليه بالرحيل الى مكان آخر ريثما ينسى امره فرحل الى المغرب الاقصى ومدح جوهر القائد واستقدمه المعز العبيدي حين انتهى خبره اليه ولما انتقل المعز الى مصر تجهز ابن هانئ للحاق به فلما وصل برقة مات فيها عام ٣٦٣ هـ و ٩٧٤ م اي في السنة التي ولد فيها ابو العلاء المعري . ولابن هانئ ديوان شعر مطبوع .

وقد ذكر الحادثة بالتفصيل كل من ابن خلدون في جزئه الرابع وصاحب نفح الطيب في جزئه الاول فليرجع اليهما من اراد .

والذي لاشك فيه هو ان العلوم والفنون والآداب قد ازدهرت لما تولى الامر هؤلاء الكتاب والشعراء ولكنه الى جانب ذلك حدثت ثورة فكرية واجتماعية ، ضد كل ماهو قديم، بل على كل ماهو عربي وتمخضت هذه الثورة الفكرية والاجتماعية عن افراد اولي اطماع وبأس تغلبوا فيما بعد على المقاطعات والمدائن المختلفة ليؤسسوا على انقاض الدولة المضمحلة دولاً جديدة هي دول ملوك الطوائف ـ كما سنرى فيما بعد ـ فقد كان امراء بني امية يجمعون في اشخاصهم صفتي الامارة والحكم ، فهم الامراء وهم الدولة . فلما تعاظم نفوذ هؤلاء الوزراء غشى نفوذ الامراء الذين لم يبق لهم سوى اسم الامارة .

وعهد الناصر بالمناصب الى رجال وضيعي المنبت من المعتوقين والارقاء والاجانب الذين كانوا يدعون الصقالبة وهم الذين بدأ نفوذهم في عهده .

والصقالبة اسم كان يطلق في الاصل على الاسرى الذين كان يأتي بهم الالمان من الامم السلاوية ويبيعونهم الى عرب اسبانيا . ولكن هذا الاسم بمضي الزمن صار يطلق على جميع الاجانب الذين يخدمون في القصر والجيش مهما كانت جنسيتهم .

وذكر ابن حوقل وقد زار الأندلس في القرن العاشر انه كان بين الصقالبة الذين يخدمون في بلاط الخليفة : المان ، وفرنسيون ، وجليقيون ، ولومبارد ، وروس .

وكان من هؤلاء الصقالبة قسم يأتي بهم اليهود اطفالا ويبيعونهم .

وكان الصقالبة يعتنقون الاسلام ويتعلمون اللغة العربية بسهولة ويربون تربية راقية حتى لقد نبغ منهم كثير في النثر والنظم . ويضيف ابن حوقل ان عددهم قد فاق في عهد الناصر اي عهد آخر . فبلغ على قول المقري ١٣٧٥٠ .

وكان لهم نفوذ كبير وأملاك شاسعة وكان يعهد اليهم بأهم الوظائف في الجيش والحكومة .

وكان الناصر يرغم اشراف العرب ورؤساء القبائل ذوي النفوذ والعصبية على الخضوع لهؤلاء الصقالبة، الامر الذي اثار سخط العرب والقبائل فنتج عن ذلك انحلال الجيش في اواخر حكم عبد الرحمن الناصر .

وكان هذا الانحلال سبباً في اضمحلال دولة بني امية في الاندلس فيما بعد .

وفي الحقيقة ان عبد الرحمن الناصر قد وقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه العباسيون منذ عهد المأمون بتقريبهم الاتراك والاعجام وتقوية نفوذهم على العرب فكانوا في مستقبل الايام السبب المباشر في اضمحلال

الدولة العباسية في المشرق . كما كان البربر ـ الذين قوي نفوذهم في عهد الناصر ـ السبب المباشر في اضمحلال الدولة الاموية في المغرب .

وفي عهد الناصر تأسست الدولة المكناسية في مراكش عام ٣١١هـ الموافق ٩٢٣ م ومؤسسها ابن ابي العافية.

وكذلك تأسست في عهده الدولة الاخشيدية في مصر عام ٣٢٣ هـ الموافق لعام ٩٣٤ م ومؤسسها محمد بن طفح الاخشيدي .

وكذلك الدولة الادريسية الثانية بمراكش عام ٣٢٣ هـ ومؤسسها القاسم كنون بن محمد .

والدولة الكلبية في صقلية عام ٣٣٦ هـ الموافق لعام ٩٤٧ م ومؤسسها الحسن بن علي الكلبي .

وتوفي الناصر لدين الله في شهر رمضان عام ٣٥٠ هـ الموافق ايلول ٩٦١ م وكان في السبعين من عمره ودام حكمه خمسين سنة .

٩ ـ وخلف الناصر ابنه الحكم ولقب بالمستنصر بدين الله ، وكان شغوفاً بالآداب وتشييد الابنية .

انشأ المكاتب العامة في قرطبة وغيرها وكان اهتمامه شديداً باقتناء الكتب فكان يبعث في طلبها من بغداد والقاهرة ودمشق مهاد الآداب والعلوم العربية في المشرق، حتى اجتمع لديه منها ما لم يجتمع لغيره من الخلفاء وأمراء المسلمين .

ومما يؤثر عنه انه دفع في نسخة من كتاب الاغاني الى مؤلفه ابي الفرج الاصفهاني الف دينار من الذهب. ووفد عليه ابو علي القالي من بغداد فأكرم وفادته وحسنت منزلته عنده، وألف كتبه في قرطبة وأورث اهل الاندلس علمه (١) وظهر في عهده الشاعر ابو بكر الزبيدي (٢) .

وتوفي الحكم المستنصر بدين الله في قصره في قرطبه ثاني صفر عام ٣٦٦ هـ الموافق ٩٧٦ م وكانت خلافته ستة عشر عاماً تقريباً .

١٠ ـ ترك الحكم العرش لهشام ولده الوحيد وهو طفل لم يجاوز التاسعة من عمره وبويع بالخلافة بعد

---

(١) ابن خلدون الجزء الرابع

(٢) ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي الاندلسي عالم باللغة والادب من اهل اشبيلية . له شعر رقيق .اورد «صاحب بغية الملتمس» نموذجاً منه وله كتاب «الواضح في اللغة العربية» و«طبقات النحويين» و«لحن العامة» وكان ممن صحب ابا علي القالي وأخذ عنه . ولد في اشبيلية وانتقل الى قرطبة فاتصل بالحكم المستنصر بدين الله فأدب له ولده وولي قضاء قرطبة وتوفي في اشبيلية عام ٣٧٩ هـ و ٩٨٩ م .

ثلاثة ايام من وفاة ابيه ولقب « بالمؤيد بالله » ومنحت الوصاية عليه لأمه « صبح » . ورأس احتفال البيعة ، الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي (١) .

ويعتبر عهد المؤيد اول عهد ملوك الطوائف (٢) . فقد تنازع الحكم في عهده رجلان هما الحاجب جعفر المصحفي والوزير محمد بن عبدالله بن ابي عامر (٣) الذي كان موضع ثقة الاميرة صبح الوصية على العرش . فقد اثر عليها ابن ابي عامر حتى حجبت ولدها عن رجال الحكومة والشعب واستبد هو بالحكم فلم يبق من سلطة هشام المؤيد او الخلافة الاموية سوى الاسم فقط .



(١) الحاجب وظيفة يحجب صاحبها الخليفة عن وزرائه فيبلغهم اوامره، بل هي وظيفة تشبه الى حد بعيد وظيفة (المستشار) في الحكومة الالمانية اليوم.

(٢) هذا رأينا على الرغم من ان جمهرة المؤرخين يعتبرون عهد الظافر المستمين بالله بدءاً لملوك الطوائف وحجتنا في ذلك هي وضع البلاد في عهد هشام المؤيد واستبداد الوزراء والحجاب بالرأي دون الخليفة وتوارث ابناء الوزراء هذه المناصب . كما سنرى تفصيل ذلك فيما بعد .

(٣) ينتهي نسب ابن ابي عامر الى عبدالملك بن عامر المعافري الذي وفد على الاندلس مع طارق بن زياد. وأصله من الجزيرة الخضراء.

حكم ابن ابي عامر

في عهد هشام المؤيد

A ـ نعتبر عهد هشام المؤيد بدء ملوك الطوائف لأن هذا العهد هو بدء اضمحلال الدولة الاموية في الاندلس . فقد حجب ابن ابي عامر الخليفة عن وزرائه وشعبه واتخذ سمة الملك وتسمى بالحاجب المنصور وامر بالدعاء له على المنابر ونقش اسمه على السكة . وابتنى مدينته المعروفة (بالزاهرة) في ضاحية قرطبة على شاطىء نهر الوادي الكبير ونقل اليها خزائنه ودوائره واتخذ حاشيته من البربر والصقالبة .

وقد بدأ عهده بالجرائم فقتل الحاجب المصحفي كما قتل المغيرة اخا الحكم وأمر بحرق كتب الفلسفة في مكتبة الحكم المستنصر بدين الله تقرباً الى الفقهاء والعامة .

وفي عهده قوي نفوذ الفقهاء .

ودام حكمه ٢٧ سنة ومات عام ٣٩٣ هـ وشاعره يدعى ابا دراج (١)

وفي عهده تأسست الدولة الصنهاجية في تونس عام ٣٧٠ هـ و ٩٨٠م ومؤسسها (بلكين بن زيري) بتقليد من المعز لدين الله الفاطمي .

كما تأسست في عهده الدولة المغراوية في مراكش عام ٣٨١هـ و ٩٩١ م ومؤسسها زيري بن عطية المغراوي.

واستبد باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري الصنهاجي في افريقيا عام ٣٨٥ هـ ونشبت الحرب بينه وبين زيري بن عطية المغراوي فأمد ابن ابي عامر باديس بجيوش جرارة . ثم جاء عم باديس ويدعي زاوي بن زيري الى ابن ابي عامر فاصطنعه ابن ابي عامر لنفسه واتخذه وقومه بطانة لدولته وسنرى كيف يؤسس زاوي بن زيري هذا « الدولة الزيرية » في غرناطه عام ٤٠٣ هـ .

B ـ في عام ٣٩٣ هـ الموافق ١٠٠٢ م مات الحاجب المنصور فخلفه في منصب الحجابة ابنه عبد الملك . فحكم الدولة وتلقب بالمظفر وجرى على سنن ابيه فاستأثر بالسلطة واستمر على حجب هشام المؤيد والحجز عليه

---

(١) ابو عمر احمد بن محمد بن الداصي ويكنى « ابو دراج » شاعر كاتب من اهل قسطلة توفي عام ٤٢١هـ و ١٠٣٠ م .
ومن شعره قوله :

الم تعلمى ان الثواء هو الثوى — وان بيوت العاجزين قبور
وان خطيرات المهالك ضمن — لراكبها ان الجزاء خطير

وكان المؤيد قد ناهز الخامسة والثلاثين غير انه بقي خاملا لايعنى بالسياسة او ادارة شؤون المملكة .

وقد اشتد في عهد المظفر نفوذ البربر حتى تجرؤا بعد قليل على الوثوب على الحكومة والاستيلاء على السلطة.

وتوفي المظفر شاباً بعد ان حكم البلاد ستة اعوام ويقال ان موته كان بالسم بيد اخيه عبد الرحمن في اوائل عام ٣٩٩ هـ .

د- خلف عبدُ الرحمن بن الحاجب المنصور اخاه المظفر في منصب الحجابة وتلقب «بالناصر لدين الله». وقد جرى عبد الرحمن على سنة ابيه واخيه في الحجر على هشام المؤيد والاستقلال بالملك .

ولم يكتف عبد الرحمن بذلك بل تجرأ واغتصب ولاية العهد من هشام المؤيد واستكتبه عهداً بذلك .

وكان لاغتصاب ولاية العهد اثر عظيم في قرطبة والاقاليم . فان الشعب الذي ظل خمسة وثلاثين عاماً محكوماً بوسائل الارهاب في ظل الدولة العامرية، اثاره ذلك الاغتصاب لولاية العهد ووجد الفرصة سانحة لثورته بخروج عبد الرحمن لمحاربة الملك الفونسو ملك ليون ،فثار بقيادة امير من بني امية يدعى محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ونادوا بخلع هشام المؤيد وتولية محمد بن هشام الاموي.

وقتل عبد الرحمن على ابواب قرطبة وحمل رأسه الى محمد بن هشام في شعبان عام ٣٩٩ هـ الموافق لعام ١٠٠٨ م وبمقتله انقرضت دولة العامريين في قرطبة .



١١ ـ في ١٨ جمادى الثانية من عام ٣٩٩ هـ الموافق ١٠٠٨ م بايع الناس محمد بن هشام الاموي وتلقب (بالمهدي بالله.)

وكان اول عمل قام به ان اضطهد البربر الذين كان نفوذهم قد عظم ايام المنصور بن عامر فأمر المهدي ان لا يركبوا وان لا يتسلحوا واقصاهم عن البلاط وصادر املاكهم وكان ذلك قبل ان يتوطد ملكه بعد . فأتمر زعماء البربر وثاروا في شوال ٣٩٩ هـ وبايعوا هشاماً بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر . ولكن المهدي تغلب عليهم واسر هشام بن سليمان واخاه ابا بكر وغيرهما من الزعماء وقتلهم جميعاً .

١٢ ـ ولكن هذه الهزيمة لم تثن من عزيمة البربر فجمعوا فلولهم وبايعوا سليمان بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر وهو ابن عم هشام المقتول ولقب (بالمستعين بالله).وساروا الى قرطبة.ودخل المستعين المدينة ظافراً.

ولكن المهدي تحصن بالقصر واظهر المؤيد (الخليفة المخلوع) دفعاً لدعوى سليمان ومحاولة لاقصائه عن العرش باعادة تولية المؤيد ثانية . ولكن اصحابه لم يؤيدوه فاضطر الى الفرار .

ودخل المستعين القصر وبايعه الناس في شوال من عام ٤٠٠ هـ الموافق لعام ١٠٠٩ م .

وعاد محمد المهدي فجمع جموعه وسار الى قرطبة فخرج اليه المستعين واقتتل الفريقان فهزم المستعين ودخل المهدي قرطبة وجدد البيعة لنفسه . ولكن الصقالبة تآمروا عليه وقتلوه واخرجوا المؤيد وبايعوه في ذي الحجة لعام ٤٠٠ هـ .

وكانت ولاية المهدي منذ ان قام الى ان قتل عشرة اشهر .

ولكن المستعين لم يهدأ فجمع جموعه من البربر وغيرهم وزحف ثانية الى قرطبة ، وكانت جموع المؤيد قد تفرقت ، فاقتحموا المدينة وقبض المستعين على المؤيد وقتله خفية وجلس على العرش وبايعه الناس في شوال عام ٤٠٣ هـ وتلقب (بالظافر) اضافة الى المستعين واستتب له الامر .

وفي عهد المهدي تأسست دولة المرابطين في مراكش وتسمى ايضاً دولة « الملثمين » عام ٤٠٠ هـ الموافق لعام ١٠٠٩ م ومؤسسها محمد بن تيفاوت . وسنرى في مستقبل بحثنا اثر هذه الدولة في الاندلس.

وفي ايام المستعين الظافر (١) كانت الفوضى قد عمت انحاء المملكة وتفككت عرى الدولة وقصر نفوذ

---

(١) كان المستعين الظافر اديباً شاعراً ومن شعره :

عجباً يهاب الليث حد سناني	واهاب لحظ فواتر الاجفان
واقارع الاهوال لا متهيباً	منها سوى الاعراض والهجران
لا تعذلوا ملكاً تذلل للهوى	ذل الهوى عز وملك ثان
ما ضر اني عبدهن صبابة	وبنو الزمان وهن من عبداني
ان لم اطع فيهن سلطان الهوى	كلفاً بهن فلست من مروان
واذا الكريم احب أمن الفه	خطب القلى وحوادث السلوان
واذا تجارى في الهوى اهل الهوى	عاش الهوى في غبطة وأمان

الحكومة الا عن قرطبة وما جاورها وقبض زعماء البربر الذين استعادوا العرش لسليمان المستعين الظافر على ازمة الحكم في النواحي والمدن . فنعتهم المؤرخون بملوك الطوائف .

وكان بين قواد الخليفة الاموي المستعين الظافر رجلان من اعقاب الادارسة يرجع نسبهما الى الحسن ابن علي بن ابي طالب وهما :علي بن حمود بن ميمون واخوه القاسم . فلما تربع المستعين الظافر على العرش ولي علياً « سبته وطنجه » وولى القاسم « الجزيرة الخضراء » فلما نشبت الفتنة استقل علي بن حمود في « سبتة وطنجة » واسس « الدولة الحمودية » عام ٤٠٦هـ الموافق ١٠١٥ م .وسنرى تفصيل ذلك .

و كتب علي بن حمود الى «خيران العامري» في مرسية يقول له: ان هشاماً المؤيد قد ولاه عهده، ودعاه للثورة. فاجابه « خيران » الى رغبته وانضم اليهما عامر بن فتوح الفائض مولى الحكم المستنصر لدين الله ، وزير ابنه المؤيد ، وزحفوا جميعاً الى قرطبة . وبويع علي بن حمود على طاعة المؤيد ودخل ابن حمود قرطبة في المحرم من عام ٤٠٧ هـ وقتل بيده سليمان المستعين الظافر كما قتل اباه واخاه . وبذلك انقطع حكم بني امية في الاندلس فترة من الزمن .



ثبت دول ملوك الطوائف حسب تاريخ تأسيسها

الرقم المتسلسل	اسم الدولة	عاصمتها	تاريخ نشوئها: هجري	تاريخ نشوئها: ميلادي	مؤسسها	موافقة تاريخ نشوئها لعهد الخليفة الاموي	آخر ملوكها	تاريخ انقراضها: هجري	تاريخ انقراضها: ميلادي	سبب الانقراض
١	الزيرية	غرناطة	٤٠٣	١٠١٢	زاوي بن زيري	المستعين الظافر	ابو محمد عبدالله المظفر	٤٨٤	١٠٩١	استيلاء المرابطين
٢	الايوبية	ولبة	٤٠٣	١٠١٢	ابو زيد محمد بن ايوب	〃 〃	ابو المصعب عبدالعزيز	٤٤٣	١٠٥١	〃 العباديين
٣	الرزينية	السهلة	٤٠٣	١٠١٢	ابو محمد هزيل بن رزين	〃 〃	حسام الدولة يحيى	٤٩٧	١١٠٣	〃 الاسبان
٤	العامرية	مرسية	٤٠٤	١٠١٣	خيران العامري	〃 〃	ابو القاسم زهير العامري	٤٢٩	١٠٣٧	〃 المنصور بن ابي عامر
		المرية					〃 〃 〃	٤٣٠	١٠٣٨	〃 〃 〃 〃
٥	النوحية	مورور	٤٠٤	١٠١٣	نوح	〃	ابو مناد محمد بن نوح	٤٤٥	١٠٥٣	〃 العباديين
٦	الخزرونية	اركش	٤٠٤	١٠١٣	ابن خزرون	〃 〃	ابن خزرون	٤٤٥	١٠٥٣	〃 〃
٧	ابن ابي قرة	رندة	٤٠٥	١٠١٤	ابو نور محمد بن ابي قرة	〃 〃	ابو النصر بن ابي نور	٤٤٥	١٠٥٣	〃 〃
٨	الحمودية	مالقه	٤٠٦	١٠١٥	علي بن حمود	〃	محمد الثاني بن ادريس	٤٤٩	١٠٥٧	〃 الزيريين
		الجزيرة					القاسم بن محمد	٤٥٠	١٠٥٨	〃 العباديين
٩	ابن هارون	شنتمرية	٤٠٧	١٠١٦	ابو عثمان سعيد بن هارون	〃 〃	محمد بن سعيد	٤٤٤	١٠٥٢	〃 〃
١٠	بنو ذي النون	طليطلة	٤٠٩	١٠١٨	الظافر اسماعيل بن ذي النون	فترة لم يكن فيها خليفة	القادر بالله يحيى بن اسماعيل	٤٨١	١٠٩٢	〃 الاسبان
١١	بنو هود	سرقسطه	٤١٠	١٠١٩	سليمان بن محمد بن هود	〃 〃 〃 〃	سيف الدولة احمد بن عبدالملك	٥٣٦	١١٤١	〃 〃
١٢	العامرية	بلنسيه	٤١١	١٠٢٠	المنصور عبدالعزيز بن ابي عامر	〃 〃 〃 〃	المظفر عبدالملك بن المنصور	٤٥٨	١٠٦٥	〃 بني ذي النون
		المرية					المنصور عبد العزيز بن ابي عامر	٤٣٢	١٠٤١	〃 بني صمادح

١٣	العامريه	دانية	٤١٢	١٠٢١	ابو الجيش مجاهد العامري	فترة لم يكن فيها خليفة	٤٧٨	١٠٨٥	سراج الدولة ابو عامر بن علي	استيلاء بني هود
١٤	بنو عباد	اشبيلية	٤١٤	١٠٢٣	القاضي ابو القاسم محمد بن عباد	المستظهر	٤٨٤	١٠٩١	ابو القاسم محمد بن عباد بن القاضي	〃 المرابطين
١٥	بنو اليعقوبي	نبلة	٤١٤	١٠٢٣	ابو العباس احمد بن يحيى اليعقوبي	المستكفي	٤٤٣	١٠٥١	الفتح بن خلف بن يحيى	〃 العباديين
١٦	بنو مزين	شلب	٤١٩	١٠٢٨	ابو بكر بن سعيد بن مزين	المعتمد	٤٤٣	١٠٥١	ابو الاصباغ عيسى	〃 〃
١٧	ابن الافطس	بطليوس	٤٢١	١٠٣٠	ابن الافطس ابو محمد عبدالله	〃	٤٨٩	١٠٩٥	ابو حفص عمر بن محمد	〃 المرابطين
١٨	بنو قاسم	الفنت	٤٢١	١٠٣٠	نظام الدولة عبدالله الفهري	〃	٤٨٦	١٠٩٢	جناح الدولة عبدالله	〃 〃
١٩	بنو جهور	قرطبة	٤٢٢	١٠٣١	ابو الحزم جهور بن محمد	خلع المعتمد وانقراض بني امية	٤٦١	١٠٦٨	عبد الملك بن محمد	〃 العباديين
٢٠	بنو برزال	قرمونه	٤٢٢	١٠٣١	ابو عبدالله اسحق	〃 〃 〃 〃	٤٦٠	١٠٦٧	العزيز المستظهر	〃 〃
٢١	ابن طيفور	مرتلة	٤٢٢	١٠٣١	ابن طيفور	〃 〃 〃 〃	٤٣٥	١٠٤٢	ابن طيفور	〃 〃
٢٢	بنو صمادح	المرية	٤٣٢	١٠٤١	ابو الاحوص		٤٨٤	١٠٩١	عز الدولة	〃 المرابطين
٢٣	جمهورية بلنسية	بلنسية	٤٨٥	١٠٩٢	ابن جحاف		٤٨٧	١٠٩٤	ابن جحاف	〃 المرابطين
٢٤	المرابطون	الصحراء الافريقية	٤٨٤	١٠٩١	يوسف بن تاشفين	هذا تاريخ استيلاء الدولتين على الاندلس	٥٤١	١١٤٦	اسحق بن علي بن يوسف	〃 الموحدين
٢٥	الموحدون	مراكش	٥٣٩	١١٤٤	عبد المؤمن بن علي		٦٢٥	١٢٢٧	اسحق بن ابراهيم تاشفين	〃 محمد بن يوسف بن هود
٢٦	ابن هود	مرسيه	٦٢٥	١٢٢٧	الثائر محمد بن يوسف بن هود		٦٤٣	١٢١٥	الثائر محمد بن يوسف بن هود	〃 محمد بن يوسف بن الاحمر
٢٧	النصرية الاحمرية	غرناطه	٦٢٩	١٢٣١	ابن الاحمر محمد بن يوسف		٨٩٧	١٤٩٢	ابو عبدالله الصغير	〃 الاسبان

الكتاب الثالث

الاندلس في عهد ملوك الطوائف

١ - الدولة الزيرية في غرناطة

A - رأينا في عهد هشام المؤيد كيف ان زاوي بن زيري بن مناد نزل وقومه على الحاجب المنصور بن ابي عامر فاتخذم هذا بطانة لدولته .

فلما انقضى امر الدولة العامرية عام ٣٩٩ هـ الموافق لعام ١٠٠٨ م ونشبت الفتنة بالاندلس عمد(زاوي بن زيري)الى (البيرة) ونزل غرناطة واستولى عليها واتخذها داراً لملكه ، وأسس فيها الدولة الزيرية عام ٤٠٣ هـ الموافق لعام ١٠١٢ م وبقي فيها حتى عام ٤٢٠ هـ فارتحل الى القيروان واستخلف على غرناطة ابنه(وانابن زاوي).

B - تولى الامر في غرناطة (وانا بن زاوي) واساء التصرف في رعيته فشكوه الى ابن عمه (حبوس بن ماكسن بن زيري) وكان مقيما في احد الحصون فسار حبوس الى غرناطة واستولى عليها .

C - استولى حبوس بن ماكسن على غرناطة عام ٤٢١ هـ الموافق ١٠٣٠ م وبقي فيها الى ان توفي عام ٤٢٩هـ

D - تولى الامر بعد حبوس ، ابنه (باديس بن حبوس بن ماكسن) وكانت بينه وبين ذي النون وابن عباد وزهير العامري حروب ، وبقي الى ان توفي عام ٤٦٧هـ الموافق ١٠٧٤ م .

E - تولى الامر بعد باديس ، حفيده (المظفر ابو محمد عبدالله بن بلكين بن باديس) . وولى اخاه تميماً على (مالقه) بعهد من جده . وبقيا الى عام ٤٨٤ هـ الموافق ١٠٩١ م حين خلعهما المرابطون . فانقرضت بخلعهما الدولة الزيرية في غرناطة .

٢ - دولة بني ايوب

A - ابو زيد محمد بن ايوب : استقل بعد الفتنة في مدينة (ولبة) عام ٤٠٣ هـ الموافق لعام ١٠١٢ م واسس فيها دولته .

B - ابو المصعب عبد العزيز : تولى الامر بعد ابي زيد محمد بن ايوب وبقي الى ان استولى على ملكه العباديون عام ٤٤٣ هـ الموافق لعام ١٠٥١ م وبذلك انقرضت هذه الدولة .

٣ - دولة بني رزين

A - ابو محمد هذيل الاول بن خلف بن رزين :استقل عام الفتنة ٤٠٣ هـ الموافق ١٠١٢م في مدينة السهلة واسس فيها دولة بني رزين .

B - ابو مروان عبد الملك الاول بن خلف شقيق هذيل : تولى الامر بعد اخيه .

C - لما توفي عبد الملك الاول خلفه ابنه ابو محمد هذيل الثاني عز الدولة .

D - ولما توفي ابو محمد هذيل الثاني خلفه ابو مروان عبد الملك الثاني حسام الدولة وبقي الى عام ٤٩٧ هـ الموافق ١١٠٣ م لما هزم امام الاسبان واستولوا على ملكه .

٤ - الدولة العامرية في مرسية

١٢ - الدولة العامرية في بلنسية

١٣ - الدولة العامرية في دانية

A - خيران العامري : استقل بعد الفتنة بمرسية عام ٤٠٤ هـ الموافق لعام ١٠١٣ م ثم استولى على (حيان) عام ٤٠٧ هـ ثم المرية عام ٤٠٩ هـ واقام الى ان توفي عام ٤١٩ هـ فقام بعده ابو القاسم زهير العامري الملقب بعميد الدولة . وفي عام ٤٢٩ زحف عميد الدولة الى غرناطة للاستيلاء عليها فبرز اليه صاحبها باديس بن حبوس فهزمه وقتل عميد الدولة زهير بظاهر غرناطة .

واستولى المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن ابي عامر على مملكة بلنسية وقضى على استقلالها .

B - مجاهد العامري : استولى على دانية واستقل بها عام ٤١٢ هـ الموافق ١٠٢١ م وكان بين مجاهد وبين خيران صاحب مرسيه وبن ابي عامر صاحب بلنسيه حروب ووقائع الى ان توفي مجاهد عام ٤٣٦ هـ . فتولي الامر بعده علي بن مجاهد وتلقب اقبال الدولة،وصاهر المقتدر بن هود وحالفه ولكن في عام ٤٦٨ زحف بن هود الي دانية واخرج علي بن مجاهد منها ونقله الى (سَرَ ُقسْطة) معتقلاً وبقي حتى مات عام ٤٧٤ هـ.

وبموته لحق ابنه ابو عامر بن علي بالفرنجة واستمدهم على بن هود فأمدوه على شروط ،ونصروه،فتلقب سراج الدولة . وفي عام ٤٧٨ هـ زحف اليه المؤتمن بن هود واستولى على ما كان بيده وانقرض ملكهم .

C - المنصور عبدالعزيز بن عبد الرحمن بن ابي عامر بويع عام ٤١١ هـ الموافق ١٠٢٠ وتلقب بالمنصور واطاعه الموالي العامريون ومنهم خيران العامري ثم خالف عليه .

فلما قتل زهير العامري بظاهر غرناطه ارسل المنصور ابنه محمد الى مرسية فامتلكها.

ثم امتلكَ المرية . ولما توفي المنصور تولى بعده ابنه محمد بن عبد العزيز . فطمع فيه صهره المأمون بن اسماعيل بن ذي النون وزحف اليه في ذي الحجة عام ٤٥٧ هـ الموافق لعام ١٠٦٤ م واستولى على بلنسية وبذلك انقرضت دولة العامريين .

٥ – دولة بني نوح

A ـ نوح ـ استبدفي(مورو)عام ٤٠٤ هـ الموافق ١٠١٣ م وبقي الى ان توفي عام ٤٣٢ هـ .

B ـ فخلفه ابنه ابو مناد محمد وبقي الى عام ٤٤٥ هـ الموافق ١٠٥٣ م حين استولى على ملكه العباديون فانقرضت دولة بني نوح .

٦ – دولة ابن خزرون

A ـ استبد ابن خزرون في مدينة(اركش)عام ٤٠٤ هـ وبقي اربعين عاماً ثم استولى على ملكه يوم وفاته العباديون عام ٤٤٥ هـ الموافق ١٠٥٣ م وانقرضت دولته .

٧ – دولة ابن ابي قرة

A ـ ابو نور بن ابي قرة : استولى على مدينة(رُندة)عام ٤٠٥هـ الموافق ١٠١٤م وبقي حتى توفي عام ٤٤٥ هـ.

B ـ بعد وفاة ابو نور تولى الامور ابنه ابو النصر ولم يدم ملكه اكثر من شهرين استولى بعده العباديون على ملكه وانقرضت دولة ابن ابي قرة .

٨ – الدولة الحمودية

وخلالها فترة عاد فيها الامر لبني امية

A ـ في عام ٤٠٦ هـ الموافق لعام ١٠١٥ م استقل علي بن حمود بن ميمون في (سبتة وطنجة) كما استقل اخوه القاسم في (الجزيرة الخضراء) واسسا الدولة الحمودية . ولما علم اهل قرطبة بوفاة المؤيد في محرم عام ٤٠٧ هـ بايعو علي بن حمود وتلقب « بالمتوكل على الله » .

ولما قبض «علي بن حمود» على ازمة الحكم لجأ الى الارهاب والشدة فخافه خيران العامري وترك قرطبة واعاد الدعوة لبني امية في شخص عبد الرحمن بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر . وبايعه خيران وتلقب « بالمرتضى » .

وسار المرتضى الى غرناطه وحاكمها يومئذٍ «زاوي بن زيري » مؤسس الدولة الزيرية فاقتتل الفريقان وهزم المرتضى وقتل وتفرق جنده .

اما «المتوكل علي بن حمود» فقد استمر في سياسة الارهاب حتى اشتدت النقمة عليه وقتله صقالبة بني امية في الحمام في ذي القعدة عام ٤٠٨ هـ الموافق لعام ١٠١٧ م .

B ـ خلف علياً المتوكل اخوه القاسم بن حمود وتلقب «بالمأمون» . وفي ربيع الاول ٤١٢ هـ ثار «يحيى

بن علي بن حمود »على عمه . فارتاع القاسم المأمون وترك قرطبة بلا قتال ورحل الى اشبيلية التي كان فيها واليا في عهد اخيه المتوكل .

ودخل يحيى بجنده مدينة قرطبة دون معارضة وتسمى بالخلافة وتلقب « بالمعتلي » .

وفي ذي القعدة عام ٤١٣ انتهز القاسم المأمون فرصة زحف ابن اخيه المعتلي على مالقه فسار الى قرطبة ودخلها ولكن اهل قرطبة ثاروا عليه في جمادى الثانية عام ٤١٤ هـ ففر الى اشبيلية ولكن اهلها اساءوا معاملته فتحول عنها الى « شريش » فسار اليه يحيى المعتلي واسره وحبسه وبقي في السجن حتى قتله ابن اخيه ادريس اخو المعتلي .

C ـ كان اهل قرطبة بعد ان هزموا القاسم المأمون قد عولوا على رد الامر لبني امية وبايعوا عبد الرحمن ابن هشام ولقب « بالمستظهر » في رمضان ٤١٤ هـ ١٠٢٣ م . وفي اواخر ذي القعدة ٤١٤ هـ اي بعد ثلاثة اشهر من ولاية المستظهر، ثار حفيد للناصر ويدعى محمد بن عبد الرحمن ،فقتل المستظهر وجلس على العرش وتلقب «بالمستكفي بالله» . وهو والد «ولادة» الشاعرة الاندلسية الشهيرة وكان عاجزاً فلم تمض عدة شهور على ولايته حتى ثار عليه اهل قرطبة واقصوه عنها وقتله احد ضباطه وعاد القرطبيون الى طاعة يحيى المعتلي .

D ـ وفي عام ٤١٧ هـ الموافق ١٠٢٦ م ثار القرطبيون ثانية على يحيى المعتلي واستقر رأيهم على رد الامر لبني امية واتفقوا على مبايعة هشام بن محمد اخي المرتضى . وكان زعيمهم في ذلك الوزير « ابو الحزم جهور بن محمد بن جهور » . فاستقدموا هشاماً وبايعوه وتلقب « بالمعتمد بالله »

E ـ وفي عام ٤٢٢ هـ الموافق ١٠٣١ م ثار الجند على المعتمد ففر الى « لاردة » مع انصاره ولحق بصاحبها ابن هود .

ووثب ابو الحزم جهور على قرطبة واستولى عليها وأسس « الدولة الجهورية عام ٤٢٢ هـ .

واقام المعتمد عند ابن هود حتى توفي عام ٤٢٧ هـ بلا عقب . والمعتمد هو آخر ملوك بني امية بالاندلس وبخلعه انقطعت الدعوة لهم في جميع اقطار الاندلس والمغرب الاقصى .

F ـ اما يحيى المعتلي فلم يرق له استقلال ابن عباد في اشبيلية فسار اليه وحاصر اشبيلية وفي أثناء الحصار هاجمه كمين من جند ابن عباد وقتله غيلة في المحرم من عام ٤٢٧ هـ . فاستدعى انصاره اخاه « ادريساً » ـ وكان حاكماً على سبته ـ وبايعوه بالخلافة وتلقب « بالمتأيد بالله » . وكان القاضي ابن عباد بعد مقتل منافسه المعتلي قد خلا له الجو فاراد الاستيلاء على ما يجاور اشبيلية من المدائن والمقاطعات فنشبت حروب شديدة هزم فيها ابن عباد وقتل عام ٤٣١ هـ الموافق ١٠٣٩ م .

G ـ وبعد يومين من مقتل ابن عباد قتل المتأيد ايضاً فبويع ابنه « يحيى ». ولكن لم يتم له الامر لان (الصاحب نجا) بادر الى سبته ودعا « للحسين بن يحيى المعتلي » فبايعه البربر ولقب « بالمستنصر » .

H ـ وفي عام ٤٠٣ هـ الموافق ١٠١٢ بويع ادريس بن يحيى المعتلي ولقب « بالعالي » (١)

١٠ – دولة بني ذي النون

A ـ رأس هذه الدولة هو الظافر اسماعيل بن عبد الرحمن بن سليمان بن ذي النون استولى بعد الفتنة على (حصن افلتين) عام ٤٠٩ هـ الموافق ١٠١٨ م .

كانت طليطلة في عهده تحت سيطرة يعيش بن محمد بن يعيش . فلما توفي يعيش هذا عام ٤٢٧هـ استدعى جند طليطلة اسماعيل الظافر ومضى اليها فامتلكها وأسس فيها دولة (بني ذي النون) وبقي الى ان توفي عام ٤٢٩ هـ .

B ـ لما توفي الظافر اسماعيل تولى الامر بعده ابنه يحيى بن اسماعيل ولقب (بالمأمون) وعظم امره وكانت بينه وبين (الفونس الطاغية) حروب مشهورة .

وفي عام ٤٣٥ استولى على (بلنسية) من يد صاحبها المظفر من ولد المنصور بن عامر ثم استولى على قرطبة من يد ابن اعباء وقتل ابنه اباعمر .

C ـ وتوفي المأمون عام ٤٦٧ هـ فتولى الامر بعده حفيده يحيى بن اسماعيل ولقب (بالقادر بالله) .
وضايقه الفونس وحاصره مراراً ثم تصالحا على ان يتنازل عن طليطلة (٢) الى الفونس مقابل مظاهرته على اخذ بلنسية وكانت لابن ابي عامر فخلع اهل بلنسية العامل عليهم خوفاً من القادر ان يمكن منهم الفونس فدخلها القادر واقام بها سنتين وقتل عام ٤٨١ هـ الموافق ١٠٩٢ م وانقرضت دولة بني ذي النون .

---

(١) انه المدوح بالقصيدة المشهورة التي نظمها الفنداقي الاشبوني ومطلعها :

البرق لائح من اندرين ... ذرفت عيناك بالماء المعين

(٢) وفي اخذ طليطلة يقول عبدالله بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسال :

يا اهل اندلس حثوا مطيكم ... فما المقام بها الا من الغلط
الثوب ينسل من اطرافه وارى ... ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط
ونحن بين عدو لا يفارقنا ... كيف الحياة مع الحيات في سفط

١١ - الدولة الهودية

A - رأس هذه الدولة هو ابو ايوب سليمان بن محمد بن هود الجذامي .

استبد بمدينة تطيلة عام ٤١٠ ﻫ الموافق ١٠١٩ م وتلقب « بالمستعين بالله » . وكان في عهده المنذر بن مطرف بن يحيى التجيبي مستولياً على سرقسطه وكان يلقب بالمنصور فلما توفي المنصور عام ٤١٤ وتولى الامر بعده ابنه المظفر طمع فيه سليمان المستعين بالله فسار اليه وحاربه وقتل المظفر واستولى المستعين بالله على سرقسطه وتوفي عام ٤٣٥ ﻫ .

B - وتولى الامر بعد المستعين بالله سليمان بن احمد وتلقب «بالمقتدر» وبقي الى ان توفي عام ٤٧٤ ﻫ .

C - تولى الامر بعد المقتدر ابنه يوسف وتلقب « بالمؤتمن » وكان عالماً بالعلوم الرياضية وله فيها تآليف مثل (الاستهلال والمناظر) وتوفي عام ٤٧٨ ﻫ .

D - تولى الامر بعد المؤتمن ابنه احمد وتلقب « بالمستعين بالله » مثل جده وتوفي عام ٥٠٣ شهيداً بظاهر سرقسطه حين زحف الفونس الطاغية اليها.

E - فتولى الامر بعد المستعين بالله ابنه عبد الملك وتلقب « بعماد الدولة » وفي عام ٥١٢ زحف الفونس الى سرقسطه واخذها منه فلحق عماد الدولة بروطة من حصونها واقام فيها الى ان توفي عام ٥١٣ ﻫ .

F - تولى الامر بعد عماد الدولة ابنه احمد وتلقب « بسيف الدولة والمستنصر » وسلم روطة الى الفونس وانتقل معه الى طليطلة واقام فيها الى ان توفي عام ٥٣٦ الموافق ١١٤١ فانقرضت الدولة الهودية .

١٢ - الدولة العبادية

A - رأس هذه الدولة هو القاضي ابو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد اللخمي كان قاضياً في اشبيلية ثم ملكها عام ٤١٤ ﻫ الموافق ١٠٢٣ م . وفي ايامه ثار القرطبيون على بني حمود وبايعوا المستظهر الاموي . ثم ظهر امر المؤيد هشام بن الحكم وكان قد اختفي والتفصيلات مرت معنا في دولة بني حمود الى ان انقرضت دولة بني امية في عهده . وقد تمكن القاضي بحكمته ونفوذه من اغلب ملوك الطوائف . وتوفي عام ٤٣٣ ﻫ .

B - تولى الحكم بعد القاضي ابي القاسم ابنه عباد بن محمد ولقب « بالمعتضد بالله » . وبقي حتى توفي عام ٤٦١ ﻫ وشاعره « ابن الأبّار » (١)

(١) ابو جعفر احمد بن محمد الخولاني الاندلسي . كان فاضلا عارفاً بالادب وله ديوان شعر . ولد في اشبيلية وتوفي فيها عام ٤٣٤ ﻫ و ١٠٤٢ م .

C ـ تولى الحكم بعد عباد المعتضد، ابنه ابو القاسم محمد وتلقب بالمعتمد على الله واتسع ملكه وملك قرطبة وولى عليها ابنه (الظافر بالله) فحسده يحيى بن ذي النون وسير اليها جيشاً فملكها وقتل الظافر بالله . ثم استردها المعتمد وولى عليها ولده المأمون .

وكان المعتمد يستمد قوته من الفونس الطاغية ملك اراغون. كما كان يستنجد بالفونس كثير من ملوك الطوائف. فانفتح لالفونس باب للتدخل بأمور المسلمين في الاندلس، فصار يضرب بعضهم ببعض وخضع الجميع لسلطانه فضرب عليهم جزية سنوية كانوا يؤدونها وهم صاغرون . حتى ظهر ملك المرابطين (يوسف بن تاشفين) فاستنجدوا به ضد الفونس، فأنجدهم ابن تاشفين وانتصر على الفونس . ولكنه عاد فطمع في ملك الاندلس فاستولى ملك المرابطين يوسف بن تاشفين على اشبيلية من يد المعتمد ابن عباد عام ٤٨٤ هـ الموافق ١٠٩١ م وبذلك انقرضت دولة بني عباد .

١٥ ـ دولة بني اليعقوبي

A ـ ابو العباس احمد بن يحيى اليعقوبي. استبد في مدينة « نبلة » واسس فيها دولته عام ٤١٤ هـ الموافق لعام ١٠٢٣ م وبقي الى ان مات عام ٤٣٢ هـ .

B ـ فخلفه شقيقه « محمد » وبقي الى ان توفي عام ٤٤٣ هـ .

C ـ فخلفه ابن شقيقه الثاني « فتح بن خلف بن يحيى » ولم تدم دولته كثيراً فقد استولى عليها العباديون عام ٤٤٣ هـ الموافق ١٠٥١ م وانقرضت دولة بني اليعقوبي .

١٦ ـ دولة بني مزين

A ـ ابو بكر بن سعيد بن مزين . استبد في مدينة (شلب) وأسس فيها دولته عام ٤١٩ هـ الموافق ١٠٢٨ م وبقي الى ان توفي عام ٤٤٢ هـ .

B ـ فخلفه اخوه « ابو الاصباغ عيسى » ودام ملكه سنة واحدة واستولى عليه العباديون عام ٤٤٣ هـ الموافق ١٠٥١ م وانقرضت دولة بني مزين .

١٧ ـ دولة بن الافطس

A ـ رأس هذه الدولة هو ابو محمد عبدالله بن مسلمة التجيبي المعروف (بابن الافطس) استولى بعد الفتنة على (بطليوس) وأسس فيها الدولة الافطسية عام ٤٢١ الموافق لعام ١٠٣٠ م واستمر فيها الى ان توفي.

B ـ تولى الامر بعد عبدالله بن مسلمة ابنه ابو بكر محمد بن عبدالله وتلقب (بالمظفر) وكان من اعاظم

ملوك الطوائف وكانت بينه وبين ابن ذي النون حروب كثيرة ، و كذلك مع ابن عباد . وبقي المظفر الى ان توفي عام ٤٦٠ .

C - تولى الامر بعد المظفر ابنه ابو جعفر عمر بن محمد المعروف بـ(ساجة). ولم يزل سلطاناً الى ان قتله امير المرابطين يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٩ هـ الموافق ١٠٩٥ م فانقرضت بوفاته الدولة الافطسية (١)

١٨ -- دولة بني قاسم

A - عبدالله الاول بن قاسم الفهري (نظام الدولة)استبد في مدينة الفُنت في ايام الخليفة الاموي المعتمد عام ٤٢١هـ الموافق ١٠٣٠ م .

B - وخلفه ابنه (محمد يمن الدولة)

C - ولما توفي محمد خلفه ابنه احمد (عضد الدولة) وبقي الى عام ٤٤٠هـ .

D - فخلفه اخوه عبدالله الثاني (جناح الدولة) وبقي الى ان استولى على ملكه المرابطون عام ٤٨٦ هـ الموافق ١٠٩٢ م .

١٩ - الدولة الجهورية

A - رأس هذه الدولة هو ابو الحزم جهور بن محمد بن جهور.اسس الدولة الجهورية بعد ان خلع الجند آخر خلفاء بني امية عام ٤٢٢ هـ الموافق عام ١٠٣١ م في قرطبة . لم ينتقل الى مرتبة الامارة ظاهراً ولم يتحول عن داره . بل رتب امور الدولة بشكل لم يسبق له مثيل وبقي كذلك الى ان توفي عام ٤٣٥ هـ .

B - تولي الامر بعد ابي الحزم ابنه ابو الوليد (محمد بن جهور) .

C - تولي الامر بعد ابي الوليد ابنه (عبد الملك بن محمد)فأساء السيرة وتكره الى الناس. وحاصره ابن ذي النون في قرطبة فاستغاث بمحمد بن عباد فأمده بجيش ووصى جنده فتفاوضوا مع اهل قرطبة وخلعوه عام ٤٦١ هـ الموافق ١٠٧٢ م واخرجوه عن قرطبة وانقرضت بذلك الدولة الجهورية .

٢٠-دولة بني مرزال

A - رأس هذه الدولة محمد بن عبدالله استولي على قرمونه في العهد الذي كان فيه هشام الثالث المعتمد متولياً على قرطبة اي في عام ٤٢٠ هـ الموافق ١٠٢٩ م وبقي حتى سنة ٤٣٢ هـ .

B - وخلفه ابنه (العزيز المستظهر) وحكم حتى سنة ٤٦٠ هـ الموافق ١٠٦٧ م حين استولي على ملكه العباديون وانقرضت دولة بني مرزال .

---

(١) ورثاه بن عبدون بقصيدته المشهورة التي عدد فيها اهل النكبات ومن عثر به الزمان وهذا مطلعها :

الدهر يفجع بعد العين بالأثر ... فما البكاء على الاشباح والصور

١٩ ـ دولة ابن طيفور

A ـ حكم ابن طيفور مدينة « مرتلة » عام ٤٢٢ هـ الموافق ١٠٣١ م اي في نفس السنة التي خلع فيها المعتمد .وبقي ابن طيفور الى عام ٤٣٥ هـ الموافق لعام ١٠٤٤ م فاستولى على ملكه العباديون وانقرضت دولة ابن طيفور .

٢٠ ـ دولة بني صمادح

A ـ معن بن صمادح التجيبي اصله من القحطانية ملك ألمرية عام ٤٣٢ هـ الموافق لعام ١٠٤١ م واغتصبها من يد عبد العزيز المنصور بن ابي عامر وبقي الى عام ٤٤٣ هـ .

B ـ خلفه ابنه محمد المعتصم بالله الواثق بفضل الله (١) وكان ممدوح السيرة عالماً بالادب ،وللشعراء فيه اماديح استمر في ملكه اربعين عاماً ومات في ألمرية وكانت في حصار جيش يوسف بن تاشفين .

C ـ فخلفه ابنه عز الدولة ولم يطل حكمه الا اياماً استولى على ملكه بعدها امير المرابطين يوسف بن تاشفين عام ٤٨٤هـ الموافق ١٠٩١ م .

٢١ ـ جمهورية بلنسية

في عام ٤٨٥ استقلت مدينة بلنسية عن دولة بني ذي النون والفت جمهورية رأسها ابن جحاف ولكن لم يدم ذلك الاستقلال وتلك الجمهورية غير سنتين استولى عليها بعدها المرابطون عام ٤٨٧ هـ الموافق ١٠٩٤ م .



---

(١) من شعرائه محمد بن عبادة القزاز . ومن شعره :

بابي . ظبي حمى . تكنفه . اسد غيـل
مذهبي . رشف لمى . قرقفه . سلسبيل
بستي . قلبي بما . يعطفه . اذ يميل

الباب الرابع

الدول المغربية التي حكمت الاندلس

٢٢ - المرابطون

ويقال لهم ايضاً « الملثمون » وهم من قبيلة صنهاجة التي كان منها الدولة الزيرية في غرناطة كما تقدم. وكان موطن المرابطين ارض الصحراء فيما بين بلاد البربر والسودان. وسموا مرابطين لاعتزالهم قومهم وابتنائهم مدينة « رابطة ». وسموا ملثمين لأن رجالهم كانوا يتلثمون دون النساء. كان دينهم المجوسية ثم اسلموا بعد الفتح.

رأس دولتهم محمد بن تيفاوت المعروف بتاسرت اللمتوني عام ٤٠٠ هـ و ١٠٠٩ م وخلفه (يحيى بن ابراهيم الـكدالى » عام ٤٠٣هـ. وبعد وفاته تولى الامر « يحيى بن عمر اللمتوني » عام ٤٣٤ هـ فلما توفي تولى الامر اخوه « ابو بكر بن عمر » عام ٤٤٧ هـ وفي عهد هذا الامير ظهر ابن عمه « يوسف بن تاشفين » كقائدمدرب عظيم فدوخ الصحراء واستولى على كثير من بلاد المغرب. وابتنى مدينة « مراكش ».

وفي عام ٤٧٥ هـ الموافق ١٠٨٢ م ورد كتاب من المعتمد بن عباد الى الامير يوسف بن تاشفين يعلمه فيه بحال الاندلس وما آل اليه امرها من تغلب الافرنج على اكثر ثغورها ويسأله النصر والاعانه. وكان الفونس السادس (الطاغية) قد تحرك في هذه السنة في جيوش لاتحصى واستولى على اغلب بلاد الاندلس.

فاجاب يوسف بن تاشفين المعتمد بن عباد بكتاب يقول فيه «اذا فتح الله عليّ «سبتة» اتصلت بكم وبذلت جهدي في جهاد العدو». فلما افتتح سبته عام ٤٧٧ هـ وكانت قد تواترت كتب الاندلسيين ورسلهم الى يوسف ابن تاشفين يستصرخونه. فركب البحر فوصل الى الجزيرة الخضراء في منتصف ربيع الاول عام ٤٧٩ هـ.

والتقى الجيش الاسلامي بجيش الفونس بالقرب من بطليوس وكانت معركة شديدة الهول هزم فيها الفونس هزيمة شنعاء واصابته طعنة في احدى ركبتيه بقي يخمع بها بقية عمره. وعظم شأن يوسف بن تاشفين بهذا الانتصار المبين فتلقب في ذلك اليوم « بأمير المسلمين » وأتاه تقليد الخليفة العباسي « المقتدي بأمر الله » ولقبه ناصر الدين. ثم رجع يوسف بن تاشفين الى المغرب ظافراً منصوراً.

وفي عام ٤٨٤هـ طمع امير المسلمين يوسف بن تاشفين في الاستيلاء على بلاد الاندلس لما تحقق من ضعف اهلها وعدم مقدرتهم على الصمود امام هجمات الاسبان. فارسل جيوشه واستولى على جميع بلاد الاندلس، على الرغم من استنجاد بعض ملوكها بالاسبان وانجادهم لهم. ولم يبق من ملوك الطوائف غير المستعين بن هود صاحب سرقسطة وكان هذا قد اعتصم بالاسبان. وتوفي امير المسلمين يوسف بن تاشفين عام ٥٠٠ هـ.

فتولى الامر بعده ابنه علي بن يوسف وفي عهده اتحد الفونس وابن رودمير عام ٥١٢ هـ فافتتحا سرقسطه عام ٥١٢ كما افتتحا كثير من المدن والحصون فزحف اليهما امير المسلمين علي بن يوسف وقاتلهما وانتصر عليهما في عدة مواقع .

وتوفي امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين عام ٥٣٧ هـ وكان من شعرائه الحفيد بن زهر (١) . وفي اواخر ايامه ظهر محمد بن تومرت المعروف بالمهدي فكان ظهوره الضربة القاضية على دولة المرابطين وسبباً لتأسيس دولة الموحدين .

تولى الامر بعد وفاة علي بن يوسف ابنه المعز تاشفين بن علي. وفي عهده استفحل امر عبد المؤمن بن علي خليفة محمد بن تومرت المهدي الذي رغب في الاستيلاء على المغرب الاقصى من يد الدولة المرابطيةوانتصر عليهم وقتل تاشفين في رمضان عام ٥٣٩ هـ فتولى الامر بعده اخوه اسحق بن علي ولكن لم يلبث طويلا حتى داهمته جنود الموحدين واستولوا منه على مراكش عام ٥٤١ هـ الموافق ١١٤٦ م وقتلوه كما قتلوا عامة الملثمين وبذلك انقرضت دولة المرابطين .

٢٣ – الموحدون

رأس هذه الدولة هو محمد بن تومرت الملقب بالمهدي . اسس دولته وبناها على اساس ديني عام ٥١٤ هـ الموافق ١١١٩ م .

وتوفي المهدي عام ٥٢٤ هـ الموافق ١١٢٩ م واختلف اصحابه على من يكون خليفته . ثم اتفقوا على بيعة عبدالمؤمن بن علي الكومي عام ٥٢٨ وتلقب امير المؤمنين . وفي عهده انقرضت دولة المرابطين بوفاة رئيسها تاشفين بن علي عام ٥٣٩ هـ واستيلاء الموحدين على ممتلكاتها . كما انقرضت الدولة الهودية بمقتل محمد بن هود بحربه مع الموحدين واستيلاء الموحدين على ممتلكاتهم .

واتته وفود الاندلس ليرسل اليها الجيوش ويستولي عليها من يد عمال المرابطين فأرسل الجيوش واستولى على جميع بلاد المسلمين في الاندلس . كما افتتح قسماً كبيراً من بلاد غرب الاندلس (بلاد البرتغال) (٢)

---

(١) هو محمد بن عبد الملك بن زهر الايادي ابو بكر . من نوابغ الطب والادب في الاندلس . ولد في اشبيليه وعاش حتى خدم دولة الموحدين وتوفي في نفس العام الذي توفي فيه المنصور يعقوب بن يوسف عام ٥٩٥ هـ الموافق ١١٩٩ م ولم يكن في زمنه اعلم منه بصناعة الطب اخذ عن ابيه . له شعر رقيق وموشحات انفرد بها في عصره . وكانت وفاته في مراكش .

(٢) قالوا ان الفقيه ابا عبدالله محمد بن ابي العباس لما انشده من قصيدة :

ما هز عطفيه بين البيض والاسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

اشار اليه ان يقتصر على هذا البيت وامر له بألف دينار .

وتوفي في جمادى الثانية من عام ٥٥٨ هـ فخلفه ابنه يوسف بن عبد المؤمن . وفي عهده عام ٥٦٠ هـ كانت وقعة الجلاب بالاندلس مع جيوش الفرنجة وكتب للمسلمين فيها نصر عظيم . واصابته جراح في غزوته مدينة شنترين من بلاد غرب الأندلس عام ٥٨٠ هـ ومات اثناء انهزامه منها في الطريق في شهر ربيع الثاني ٥٨٠ هـ .

فبويع ابنه ابو يوسف يعقوب بن يوسف وتلقب بالمنصور . وأهم ما حدث في عهده ثورة بني غانية اصحاب جزيرة ميورقه واعمالها . وفي عام ٥٨٥ هـ غزا غرب الاندلس وافتتح لشبونه ثم انصرف الى العدوة ودخل « فاساً » في آخر رجب ٥٨٥ هـ وفي عام ٥٩١ هـ غزا غزوة حصن الارك وانتصر فيها على الفونس فطلب الفونس هدنة خمس سنوات فاجابه الى ذلك (١) وتوفي يعقوب المنصور بن يوسف عام ٥٩٥ هـ .

وتولى الامر بعده ابنه محمد بن يعقوب ولقب الناصر لدين الله . وفي ايامه عاد بن غانية الى ثورته واستولى على طرابلس والمهديه وتونس عام ٥٩٩ وخطب فيها للخليفة العباسي فحاربه الناصر محمد بن يعقوب عام ٦٠٠ هـ وقتله وفي عام ٦٠٣هـ استخلف على تونس الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن ابي حفص الهنتاني جد الدولة الحفصية في تونس وهذا بداية امر هذه الدولة وسيأتي ذكره .

وفي عهد الناصر محمد بن يعقوب ظهر عبد الرحيم بن عبد الرحيم بن فرس وانتحل الامامة وادعى انه القحطاني المراد بقول الحديث « لاتقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه يملأها عدلاً كما ملئت جوراً » فبعث اليه الناصر بن يعقوب الجيوش فهزموه وقتلوه . وفي عهد الناصر جرت غزوة العقاب وكانت نتيجتها اكبر هزيمة مني بها الاسلام وكانت في صفر عام ٦٠٩ وعلى اثرها مات الناصر في شعبان ٦١٠ هـ بعد ان اثرت فيه هذه الهزيمة .

فبويع بعده ابنه يوسف بن محمد وعمره ١٦ سنة ولقب بالمنتصر بالله . وعاش منصرفاً عن تدبير امر الملك الى الموبقات فطمع الفرنج بالمسلمين واستولوا على كثير من مدنهم وظهر في عهده بنو مرين عام ٦١٣هـ وألفوا الدولة المرينية التي استولت على المغرب الاقصى وسببوا انقراض دولة الموحدين . وتوفي المنتصر عام ٦٢٠ هـ . فتولى الامر بعده ابو محمد عبد الواحد بن يوسف وهو اخو المنصور فشذ عن بيعته ابن اخيه ابو محمد عبد الله ابن المنصور الملقب بالعادل وحصل بينهما مواقع . ودخل انصار العادل على عبد الواحد وتهددوه بالقتل ان لم يخلع نفسه فأشهد على نفسه بالخلع وبايع العادل في شعبان ٦٢١ هـ ثم بعد ايام دخلوا عليه وقتلوه واستولوا على

---

(١) وفي ذلك يقول احد شعراء عصره :

اهل بأن يسعى اليه ويرتجي	ويزار من اقصى البلاد على الرجا
من قد غدا بالمكرمات مقلداً	وموشحاً ومختماً ومتوجا
عمرت مقامات الملوك بذكره	وتعطرت منه الرياح تأرجا

امواله . اما العادل عبدالله بن المنور فقد اضطربت عليه الاحوال. وزاد الامر بلاء قيام ابي العلاء ادريس بن يعقوب المنصور وهو اخو العادل وكان في الاندلس . ودعا ابو العلاء لنفسه فبايعه انصاره عام ٦٢٤ هـ ولقب بالمأمون. ثم دخل قوم على العادل وطالبوه ان يخلع نفسه فأبى فقتلوه .

وظن المأمون ان الامر قد صفا له ولكن لم يلبث ان بايع القوم يحيى بن الناصر وكان شابا في السادسة من عمره . وكثرت الثورات في عهد المأمون وانتقض عليه امراء الاندلس واستولى كل منهم على ما بيده واستظهر كل منهم على امره بملوك الافرنج وكان اقواهم محمد بن يوسف بن هود صاحب سرقسطة فقد استولى بمساعدة الاسبان على قسم كبير من الاندلس عام ٦٢٨ هـ ولم يبق للموحدين في الاندلس سلطان (١) .

وفي عهده ثار الامير زكريا بن الشيخ ابي محمد بن ابي حفص بافريقية واسس الدولة الحفصية عام ٦٢٧هـ .

وفي عهده ثار في الاندلس محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر وكانت ثورته على ابن هود .

وتوفي المأمون في آخر يوم من عام ٦٢٩ هـ فتولى الامر بعده ابنه عبد الواحد بن المأمون ثم السعيد علي بن المأمون ثم عمر المرتضى بن ابي ابراهيم ثم ابو العلاء ادريس الواثق بالله المعروف بـ«ابى دبوس» ثم اسحق بن ابراهيم الذي قتله يعقوب بن عبد الحق المريني وبمقتله انقرضت دولة بني عبد المؤمن « الموحدين »

٢٤ ـ الثائر ابن هود

الثائر محمد بن يوسف بن هود (٢) من الجذاميين ملوك الطوائف بسرقسطه . انتقض على المأمون ملك الموحدين عام ٦٢٥ هـ الموافق ١٢٢٧ م فسار اليه ابو العباس صاحب مرسيه فهزمه بن هود واستولى على مرسية وخطب فيها للخليفة المستنصر العباسي . واستفحل امر بن هود وتلقب بالمتوكل على الله وتنازع مع ابن الاحمر رئاسة الاندلس حتى استقر الامر في الاخير الى ابن الاحمر باتفاقه مع الاسبان ضد ابن هود عام ٦٤٣ هـ الموافق عام ١٢٤٥ وبذلك انقرضت دولة ابن هود .



(١) كان المأمون اذا فكر في حال الثوار وما آل اليه حال الدولة معهم وما دهاها من كثرتهم ينشد متمثلاً :

تكاثرت الظباء على خداش ... فما يدري خداش ما يصيد

(٢) هو محمد بن يوسف بن محمد بن عبد العظيم بن احمد بن سليمان المستعين بن محمد بن هود .

الباب الخامس

آخر دولة من ملوك الطوائف في الاندلس

٢٧-دولة بني الاحمر

A ـ لما ضعف امر الموحدين بالمغرب استولى محمد بن هود على الاندلس ، واخرج بمساعدة الاسبان ، الموحدين منها، ولكن لم تطل مدته فيها لأن محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر ثار عليه ونازعه السلطة واستمد الاسبان عليه .

وامد الاسبان محمد بن يوسف بجيوش جرارة بعد ان اشترطوا عليه ان يتنازل لهم عن جميع بسائط الاندلس . وعلى هذا حاربوا معه الى ان انتهى حكم بن هود واستتب الامر لابن الاحمر في غرناطة وتنازل لهم عن جميع بلاد الاندلس . وكان ذلك عام ٦٣٥ ﻫ الموافق ١٢٣٧ م وابتنى فيها قصر الحمراء . وكانت ايامه حروب مع ابن هود، والاسبان، وبني مرين . وبقي الى ان توفي عام ٦٧١ ﻫ .

B ـ فتولى الامر بعده ابنه محمد المعروف «بالفقيه» وكانت ايامه ايام حروب مع الاسبان وقد امده المرينيون عدة مرات بجيوش جرارة وكانت تحميه وتدفع عنه اذى الاسبان . ولكن ابن نصر ، تخوف امر المرينيين ان يستضعفوه ويستولوا على ملكه . فاتفق مع الاسبان ضد المرينيين فاستولى الاسبان على (طريف) ولم ينزلوا عنها لمحمد الفقيه حسب الاتفاق . فندم محمد الفقيه وتصافي مع يوسف بن يعقوب المريني فاقطعه المريني الجزيرة ورنده والغربية وعشرين حصناً من ثغور الاندلس . وفي عام ٧٠١ ﻫ توفي محمد الفقيه بن الشيخ محمد بن يوسف .

C ـ فتولى الامر بعده ابنه محمد المعروف بالمخلوع . وفسد الحال بينه وبين يوسف المريني وعاد ابن الاحمر لسنة سلفه من موالاة الاسبان وممالاتهم على المسلمين اهل المغرب. ثم ثار بنو الاحمر على سلطانهم محمد المخلوع .

D ـ وبايعوا اخاه نصر بن محمد الملقب بابي الجيوش عام ٧٠٨ ﻫ الموافق عام ١٣٠٨ م ثم خلعوه عام ٧١٧ﻫ

E ـ وبايعوا ابن عمه ابا الوليد اسماعيل بن ابي سعيد الرئيس .

وكان ملك اسبانيا في ذلك العهد، بطرس الأول ابن الفونس الحادي عشر، فلما رأى الفتنة قائمة بين مسلمي غرناطة طمع في الاستيلاء عليها وحاصرها، واستغاث اهلها فأغاثهم عثمان بن ابي العلاء المريني شيخ الغزاة بالاندلس، ويلقب بطل الاسلام، وقهر الاسبان واجلاهم عن المدينة وهزمهم حتى طلبوا عقد هدنة مع المسلمين. وعظم امر ابي الوليد، الى ان غدر به بعض قرابته من بني نصر وطعنه غدراً فتوفي لوقته عام ٧٢٧ ﻫ .

F ـ فتولى بعده ابنه محمد وكان صغيراً فاستبد به وزيره ابن المحروق. ولكن السلطان قتل وزيره عام ٧٢٩ﻫ

واستبد بالملك وبقي الى عام ٧٣٣هـ حين قتله ابناء عثمان بن ابي العلاء .

G ـ وبايعوا اخاه ابا الحجاج يوسف . فانتقم من ابناء عثمان وشردهم . وكانت هزيمته امام الاسبان عام ٧٤١ هـ هزيمة شنيعة استولى الاسبان على اثرها على الجزيرة الخضراء عام ٧٤٣ هـ . وتوفي ابو الحجاج مقتولا بطعنة خنجر اثناء سجوده في صلاة العيد عام ٧٥٥ هـ.

H ـ فتولى الامر بعده ابنه محمد وتلقب بالغني بالله. واستوزر لسان الدين بن الخطيب (١) وكان الوزير مستبداً. وكان للغني بالله اخ اسمه اسماعيل فحبسه في بعض قصور غرناطة الى عام ٧٦٠ هـ حين نهض بعض انصار اسماعيل واخرجوه من محبسه واعلنوا الدعوة له وخلع الغني بالله. وحبسوا الوزير ابن الخطيب .فاستشفع السلطان ابي سالم المريني بامر الغني بالله ووزيره بن الخطيب، وطلب ارسالهما اليه. فقبل اسماعيل ذلك وارسلهما الى ابي سالم المريني . اما اسماعيل هذا فقد قتله الذين ناصروه في باديء الامر، وعلى رأسهم ابو يحيى محمد بن عبد الله بن اسماعيل بن محمد بن الرئيس ابي سعيد فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر من بني الاحمر . وكان غدره بصهره اسماعيل بن ابي الحجاج لسعاية بينهما عام ٧٦١ هـ فاستبد الرئيس ابو يحيى محمد بن عبد الله هذا بالامر ونبذ العقود التي كان عقدها اسلافه مع الاسبان ومنع ما كانوا يعطونه من الجزية فاستعد الاسبان لمحاربته . وفي اثناء ذلك ارسل ملك المغرب الى الاسبان في شأن السلطان محمد الغني بالله المخلوع ورده الى ملكه فاجابوه الى مساعدته واقتحموا على الرئيس محمد غرناطه فهرب الى بلاد الافرنج ودخل الغني بالله غرناطة وتولى امرها ثانية عام ٧٦٣ م .

وصفا الامر للغني بالله وعظم شأنه وصادف ذلك الفتنة التي وقعت بين الاسبان يضاف الى ذلك ضعف الدولة المرينية فتملأ الغني بالله اريكة ملكه متمتعاً بالترف والعزة على الاسبان وعلى ملوك المغرب . وكانت له صحيفة بيضاء لم يسودها الا سماعه الوشاية في وزيره لسان الدين بن الخطيب ونكبته اياه. وتوفي الغني بالله عام ٧٩٣ هـ.

I ـ فتولى الامر بعده ابنه ابو الحجاج يوسف بن محمد وكان شكاكاً فقتل اخوته ووزيره خالد وطبيبه يحيى ابن الصائغ وتوفي عام ٧٩٤ هـ ومدة ولايته اقل من سنتين .

J ـ فتولى الامر بعده ابنه محمد بن يوسف وبقي الى ان توفي .

وتولى الامر بعده غيره من بني الاحمر .

K ـ الى ان تولى السلطان ابو الحسن علي بن السلطان سعد بن الامير علي بن السلطان يوسف بن الغني بالله فنازعه اخوه ابو عبدالله محمد بن سعد المدعو بالزغل ثم اصطلحا . وصفا الجو لأبي الحسن علي بن سعد. وكان له زوجة

(١) هو محمد بن عبدالله بن سعيد اللوشي الاصل الغرناطي الاندلسي الشهير بلسان الدين بن الخطيب . ولد بغرناطة واستوزره سلطانها ابو الحجاج يوسف عام ٧٣٣ ومن بعده ابنه السلطان محمد الغني بالله . ونسبه بعض حاسديه الى سلوك مذهب الفلاسفة ورموه بالزندقة واوغروا عليه صدر السلطان الغني بالله . فاعتقله بفاس فطرقوا عليه السجن ليلا فخنقوه وذلك عام ٧٧٦ هـ الموافق ١٣٧٤ م . وكان يلقب بذي العمرين لكثرة ارقه واشتغاله بالتصنيف في ليله وتدبير المملكة في نهاره . وله موشحات بديعة رقيقة عارضه فيها كثيرون .

(غير زوجته الشرعية السيدة زريدة وهي ابنة عمه) هي حظية رومية وكان له منها اولاد.وكان شغفاً بهذه الرومية ،حتى قدم احد اولادها لولاية العهد من بعده وجار على ابنة عمه جوراً عنيفاً فهربت من القصر هي واولادها . فثار الشعب منتصراً لزريدة وخلعوا ابا الحسن .

L ـ واقاموا مكانه ابنه ابا عبدالله من زوجته زريدة .ولما استتب الامر للسلطان ابي عبدالله بن ابي الحسن خرج غازيا للاسبان واسر اثناءها السلطان ابو عبدالله فأعاد كبراء غرناطة الامر الى السلطان ابي الحسن وبايعوه بغرناطة.

M ـ ولكن السلطان ابي الحسن كان قد ذهب بصره فتنازل لولده ابي عبدالله الملقب بالصغير .

وكان ابو عبدالله الصغير هذا شجاعاً حارب الاسبان وانتصر عليهم فلجأوا الى الحيلة لاثارة الفتن بين المسلمين .فأظهروا السلطان ابا عبدالله الزغل ،الاسير عندهم، وأمدوه بالجيوش لطلب الملك لنفسه وطالت الفتنة بين العم وابن الاخ حتى استولى ابن الاخ على غرناطة .

وبعد ذلك ضعف امر المسلمين بالاندلس بسبب الفتن وكانت اسبانيا بتقدم مستمر وخاصة بعد زواج فرديناند ملك اراغون من الملكة ايزابيلا ملكة كستيلا (قشتاله) عام ٨٩٦ هـ الموافق لعام ١٤٩١ م فاتحدت بهذا الزواج اسبانيا واصبحت مملكة واحدة ، عملت على طرد المسلمين من غرناطة آخر معاقل الاسلام في الاندلس. وكان هجوم ،وكان حصار ،ودام الحصار على غرناطة سبعة اشهر .

ولما يئس ابو عبدالله الصغير من النجاح ،خابر فرديناند بالتسليم على شروط منها : ان يترك للمسلمين حريتهم الدينية ،وأن لايحول الجوامع الى كنائس ،وان يسمح لمن اراد الهجرة منهم الى بلاد المغرب بأخذ امواله، فأعطى فرديناند العهود والمواثيق على ذلك .

ولما دخل الاسبان غرناطة خرج ابو عبدالله الصغير بحالة تنفطر لها القلوب من الحزن، باكياً يندب سوء حظه وحظ امته وبلاده، نادماً على استماتته بأعداء اجداده، تاركا مدينة غرناطة مهد المدنية ومهبط العلم وعروس الحضارة ثاكلة نادبة دخولها في يد حلفاء الهمجية واعداء المدنية وذلك في عام ٨٩٧ هـ ١٤٩٢ م.فذهب الى مراكش واقام بمدينة فاس لاجئاً عند السلطان محمد الشيخ لوطاسي واقام الى ان توفي عام ٩٤٠ هـ .

ولما خلا الجو لفرديناند نقض العهد واستباح المدن الاسلامية وعمل فيها سلباً ونهباً وتعذيباً وقتلا ونفى المسلمين الذين لم يقبلوا بالتنصر ثم اخذ يطفيء نور العلم والمدنية بما اوتيه من قوة ،فجمع مافي خزائن الكتب من نفائس في ساحات غرناطة واعمل فيها النار (الا قليلا منها) لاعتقاده واعتقاد رجال دينه انها مملوءة بكفر المسلمين .فضاع بجهلهم، كثير من المؤلفات العربية ولم تصلنا الا اسماؤها. وهكذا مثل فرديناند دور هولاكو في بغداد فضربت المدنية العربية ضربتين قاضيتين في الشرق وفي الغرب .

القسم الثاني

تطور الشعر في المجتمع الاندلسي

الاندلس ...! وأي امرئ يذكر الاندلس ، ولا يتمثل في خاطره صوراً رائعة للجمال الخالد وفردوس الدنيا ، ولا يرى بعيني خياله الرياض والخمائل والورود والرياحين ، فراديس وجنات تجري من تحتها الانهار ؟

بل اي امرئ يقرأ طرفاً من الشعر الاندلسي ، ولا يتخيل نفسه سارحاً بين تلك الظلال الوارفة والثمار اليانعة والقطوف الدانية ؟

فاذا استيقظ من احلامه اتراه يملك نفسه عن ان يغبط اولئك القوم الذين عاشوا في تلك العهود الغابرة في ذلك الفردوس المفقود ؟!!

ولكن مهما شط الخيال وجاز المدى ومهما صور لعيني صاحبه ، فهل يشعر ذلك الخيالي بشعور من عاشوا تلك الحياة حقيقية ؟ .. انهم عاشوها بكل جارحة من جوارحهم وذاقوا نعيمها واستنشقوا عبيرها ورأوا رائعها فتأثروا بسحره وذابوا في عشقه . وما اصدق القائل :

يابن الكرام الا تدنو فتبصر ما قد حدثوك فما راءٍ كمن سمعا

نعم ان مانسمعه ليس كما نراه ، ولكننا ، على الاقل ، نستطيع بسهولة ان نتلمس من خلال الشعر عاطفة اولئك القوم الشعراء الذين لم تر بلادهم الرائعة انساناً لايقول الشعر (١) او على الاقل ، لا يتذوقه تذوق الشعراء .

ان عاطفة اولئك القوم الشعراء لم تكن عاطفة احساس بالجمال فحسب .. بل كان يرن فيها وتر الحب على ايقاع الاعزاز لهذه البقعة الغالية التي حضنتهم وكانت لهم وطناً جديداً انساهم اشراق الوطن الام في بلاد المشرق .

يا اهل اندلس لله دركم ماء وحسن وانهار واشجار

لاتختشوا بعدها ان تدخلوا سقراً فليس تدخل بعد الجنه النار

وما ادل على مقدار حب الاندلسي لجنته ـ التي اظلته واذاقته النعيم صوراً ـ من تشبيهه حبيبه بها . وما

---

(١) روى القزويني « وكان من مدنهم مثل شلب ، قل ان ترى من اهلها من لايقول شعراً ولا يعاني الادب . ولو مررت بفلاح ، خلف فدانه ، وسألته عن الشعر ، قرض من ساعته مااقترحت عليه وفي اي معنى طلبته منه .»

اكثر هذه التشبيهات في الشعر الاندلسي . والانسان لايشبه شيئاً جميلا الا مايراه اجمل منه . فاذا كان هناك شيء اجمل من خد الحبيب فهي اذن خدود الورود (١) واذا كان هناك شيء اطيب من عرف انفاسه فهي اذن انفاس الريحان .

واذا كان هناك شيء اجمل من قده فهو اذن الغصن الرطيب اذا مالت به الصبا . (٢) وليس هذا فحسب بل اذا كان هناك شيء اروع من عيون العذول الرقيب فهي اذن عيون النرجس (٣) التي لاتنام ولا تذبل اجفانها . فنحسب ان الشاعر الاندلسي ابى الا ان يجمع من الزهر اضاميم جعلها تتناول مختلف نواحي الحياة، وريشة يرسم بها مختلف الصور .

ولكننا الى جانب ذلك ، نستطيع ان نؤكد ، ان الشعر الاندلسي في عصور ازدهار الحضارة ، وان كان شعراً رقيقاً سلساً وعاطفياً الا انه لم يكن عميقاً بعيد الغور . لقد كان سطحياً بسيطاً في اللغة والالفاظ ، وحتى في المعاني والاخيلة . بل نستطيع ان نؤكد ان الكثير من شعرهم كان شعر مناسبات ، فما كان الشاعر يجهد نفسه في القصيدة لكي يطلع على الناس بشيء جديد ، الا فيما ندر . وانما كان همه ان ينظم مقطوعة تتغنى بها القيان ، في مجلس انس وطرب . وبديهي ان الغناء لايطالب الشعر باكثر من الفاظ سلسة جيدة الحبك ، ومعان سطحية واخيلة ساذجة لا تجهد السامع ، فيقول الشاعر في شبه ارتجال بضعة

---

(١) من شعر الامير عبدالله بن عبد الرحيم بن الحكم الاول :

ويلي على شادن كحيل ... في مثله يخلع العذار
كأنما وجنتاه ورد ... خالطه النور والبهار

ومن شعر المتضد بن عباد :

شكوت اليها حبها بمدامعي ... وعلمتها ما قد لقيت من الوجد
فجادت وما كادت علي بخدها ... وقد ينبع الماء النمير من الصلد
فقلت لها هاتي ثناياك انني ... افضل نوار الاقاحي على الورد

(٢) وللمعتضد ايضاً :

وقد ، كمثل الغصن مالت به الصبا ... يكاد لفرط اللين ينقد في الخصر

(٣) لشاعر اندلسي :

عضني جفونك يا عيون النرجس ... منك استحيت ان اقبل مؤنسي
نام الحبيب وذبلت اجفانه ... وعيونكن شواخص لم تنعس

ابيات (١) لمناسبة ما، في مثل هذا المجلس، فيبعث في الحاضرين سروراً ونشوة وقتيين تضاعف تأثيرهما الخمرة، حتى اذا انتهى المجلس وتلاشى اثر الخمرة تلاشت معه معالم السرور والنشوة. فيركن حينئذٍ هـذا الشعر، الى زاوية من زوايا الاهمال والنسيان لايطرق باب الخلود الا بيد واهنة، ولا يفتحه له الا من اراد استعادة ذكرى ذلك المجلس. وهذا لا يكون الا في مجلس ليس فيه شيء جديد فيطرب اهل المجلس على الذكرى.

ولكن الذي لاشك فيه، ان شعرهم لم يكن كله على هذا المنوال، فكل بيت من الشعر يدل على عصر قائله وما اخطأ من قال ان الشعر مرآة المجتمع. فاذا سمعت شعراً سهلاً هيناً رخواً فقل ان صاحبه كان يعيش حياة سهلة هينة رخوة. (٢) ولا عجب فالمجتمع الذي يسوده الرخاء والسعة يضطر لانفاق وقته في البحث عن طرق لانفاق المال لا لجمعه، وعن طرق جديدة تؤدي الى اللذة. وهذا يؤدي ولا شك الى

---

(١) من شعر المعتضد بن عباد:

اشرب على وجه الصباح ... وانظر الى نَوْر الأقاح
واعلم بانك جاهل ... ما لم تقل بالاصطباح
فالدهر شيء بارد ... ان لم تسخنه براح

ومن غناء زرياب:

علقتها ريحانة هيفاء عاطرة نضيرة
بين السمينة والهزيلة والطويلة والقصيرة
لله ايام لنا سلفت على دير المطيرة
لا عيب فيها للمتيم غير ان كانت يسيرة

ومن شعر ابي عامر بن شُهيد:

يا صاحبي قم فقد اطلنا ... انحن طول المدى هجود ؟
فقال لي لن تقوم منها ... ما دام من فوقنا الصعيد
تذكر كم ليلة نعمنا ... في ظلها والزمان عيد ؟

(٢) ولابن شُهيد ايضاً:

اصباحٌ شيم ام برق بدا ... ام سنى المحبوب اورى زندا ؟
هب من مرقده منكسراً ... مسبلا للكم مرخٍ للردا
قلت هب لي يا حبيبي قبلة ... تشف من عمك تبريح الصدا
فانثنى يهتز من منكبه ... مائلاً لطفاً واعطاني اليدا

الانحطاط الخلقي (١) الذي لانستغرب ترافقه مع السمو الفني في اغلب الاوقات .

وهكذا فان كل بيت تقرأه من الشعر الاندلسي يمثل حياة مجتمع شاعره اصدق تمثيل فلنرافق اذن تطور حياة الاندلسي في مختلف الادوار والبيئات ، متطلعين اليها من خلال الشعر ، مرآة المجتمع الحقيقية التي تقول الصدق اكثر من المؤرخين .

---

(١) من شعر ابن شهيد ايضاً :

ولما تملأ من سكره	ونام ونامت عيون العسس
دنوت اليه على بعده	دنو رفيق درى ما التمس
ادب اليه دبيب الكرى	واسمو اليه سمو النفس

الى ان يقول :

وبت به ليلتي ناعماً	الى ان تبسم ثغر الغلس
اقبل منه بياض الطلى	وارشف منه سواد اللعس

الكتاب الاول

الشعر في عصر الفتوح

رأينا فيما تقدم كيف كانت الاندلس قبل دخول عبد الرحمن الداخل محكومة بسلطة الخليفة في دمشق وكيف كان يمثل هذه السلطة ولاة يوليهم عليها ، اما مباشرة ، او بواسطة عماله على افريقيا . وكان هذا العهد عهد فتوح وحروب وقلاقل وعدم استقرار ؛ ولهذا لم يتفرغ هؤلاء الولاة لتشجيع الشعر والادب وهما الفنان اللذان لا ينموان ويترعرعان الا بين احضان بلاط قوي مستتبة له الامور ، ومستكين له الدهر ، والناس ، فيتفرغ حينئذ سيد ذلك البلاط للفن ومختلف شؤون الحضارة .

ولا نستطيع ان نقول ان هذا العهد خلا من الشعر والادب فقد نظم شعراؤه في الحماسة والفخر والحرب وامتداح الظافر ، نتيجة للعصبية العربية التي حملها العرب معهم الى الاندلس . ولكن لم يكن في هذا الشعر مايحمل طابعاً جديداً يختلف عن الشعر المشرقي او مايبشر بطلائع اسلوب جديد في الشعر . لأن شعراء ذلك العصر لم يكونوا قد تأثروا بعد بالاقليم الجديد او على الاصح لم تكن قد تكونت بعد تلك الحضارة التي كان مبعثها الترف .

في الواقع ، ليس جمال المنظر فحسب ، هو الذي يوحي الى الشاعر بما يعبر عن هذا المنظر الجميل ، وانما راحة البال ، وخلو الذهن ، هما اللذان يجعلان الشاعر يتقبل بروح خلية ونفس رضية هذا الجمال ، فيقدر قيمته حق قدرها ، فيحدث حينئذ التفاعل النفسي بين الجمال وبين النفس الشاعرة .

ولقد كانت هناك ــ في ذلك الوقت ــ نفوس شاعرة حقاً ولكن الزمن لم يكن ليتيح لها ان تتجاوب مع عواطف الاحساس بالجمال ، لأن هذه النفوس كانت مشغولة بعواطف الحماسة والعصبية التي كانت تدفع بالشاعر ، ليقول في الحض على القتال ، وامتداح الظافرين ، وفي الحماسة وفي الفخر ، اللذان يعتبران من اشد وسائل الحض على القتال .

وهكذا كان قول طارق بن زياد مثلاً ، عند افتتاحه الاندلس ، خير معبر عن حقيقة ذلك الشعور في ذلك العصر :

ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا   اذا نحن ادركنا الذي كان اجدرا

وهكذا لم تتمكن سفينة الشعر من اجتياز هذا الخضم الموحش بطفرة او تحول مفاجيء ، حين ارادت

ان تترك شاطئها الرملي الجاف لتستقر على الشاطيء الاخضر الظليل ، شاطيء الشعر السلس الرقيق العاطفي. بل كان اجتيازها هذا الخضم ، بتطور بطيء ، كانت السفينة فيه تسير سيراً وئيداً ، يخيل للناظر اليها انها لاتسير . فاذا حول عينيه عنها ، ثم اعاد النظر كرة اخرى ، لرآها ، وقد قطعت مسافة كبيرة لايعرف ، ان كانت قطعتها بيسر ، ام نتيجة لدفعة قوية من الخلف ام جذبة شديدة من الامام . واننا نلحظ انعطافاً يسيراً في خط سير سفينة الشعر الهائمة ، وان هذا الانعطاف قد بدأ يظهر في عصر دخول عبد الرحمن الداخل الى فردوس الاندلس .



الكتاب الثاني

الشعر في العهد الاموي

١ ـ نرى انعطاف خط سير سفينة الشعر في عصر عبد الرحمن الداخل ، لم يكن واضح المعالم ، مبين الاسارير ، لانه كان دقيق الانحناء ، فقد ظل في نفس الاتجاه ، ولكنه اصبح اوضح واقوى في دعوته الى بناء دولة مستقلة جديدة منفصلة عن الوطن الام في بلاد المشرق . ويتجلى هذا المظهر التطوري في شعر عبد الرحمن الداخل نفسه .. الذي كان يعبر عن نفس جياشة طموحة .. نفسية الرجل القوي الذي صمم على تحطيم كل من يقف في طريقه الذي رسمه ، لبناء دولة قويه الدعائم ، وطيدة الاركان .. وهذه النفسية تختلف كثيراً عن نفسية الرجل الذي ولد ، فوجد نفسه على رأس دولة قوية من اصلها ، بناها له غيره فتفرغ للتسلية وقطع الوقت .

فلنستمع الى عبد الرحمن يقول :

دعني وصيد وقع الغرانق ... فان همي في اصطياد المارق

في نفق ان كان او في حالق

اذا التظت هواجر الطرائق ... كان لفاعي ظل بند خافق

غنيت عن روض وقصر شاهق ... بالقفر والايطان في السرادق

فقل لمن نام على النمارق ... ان العلى شدت بهم طارق

فاركب اليها ثبج المضائق ... او لا فأنت ارذل الخلائق

ولكن هذه النفسية ، لم تكن لتقطع عليه خيط الذكريات الحلوة ، ذكريات تتصل مع ماضيه القريب بسبب قوي ، هو العاطفة والحنين الى الايام الرخوة التي قضاها في ربوع دمشق ، بين اهله وعشيرته ، فنرى نفسه تجيش بالعاطفة القوية حين يرى نخلة منفردة في ناحية من بلاده الجديدة فيخاطبها قائلاً

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة ... تناءت بارض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في التغرب والنوى ... وطول التنائي عن بني وعن اهلي

سقتك غوادي المزن في المتأى الذي ... يسح ويستمري السماكين بالوبل

وان الذي نلحظه في المقطوعتين السابقين من شعر عبد الرحمن ، ذلك اللون المشرقي البحت . فالمقطوعة

الاولى يقولها كأرجوزة ومن بحر الرجز وهو بحر مشرقي صميم بل جاهلي اصيل ، ويستعمل في المقطوعتين الفاظاً واخيلة مشرقية ، « اذا التظت جواهر الطرائق » و « سقتك غوادي المزن » .
بل انا نلحظ في شعر عبد الرحمن طبع السياسي القدير الذي يقلب الامور دائماً في مصلحته فلنستمع اليه يقول

يا نخل انت فريدة مثلي	في الارض نائية عن الاهل

الى ان يقول

لكنها حرمت واخرجني	بغضى بني العباس عن اهلي

والكل يعلم ان ليس بغضه لبني العباس هو الذي اخرجه عن اهله بل بغض بني العباس له ولعشيرته بدليل فتك بني العباس ببقايا الامويين ونجاح عبد الرحمن بهربه من فتكهم . فلله دره من سياسي يتلاعب بالالفاظ كما يتلاعب بالمعاني ، لمصلحته .

٢ ـ ومات عبد الرحمن وخلف دولة قوية استلمها خلفاؤه فزادوا في قوتها ، وكانت لهم نفسية الباني التي تشع رجولة وقوة . وها هو هشام الاول بن الداخل ، على ورعه وتقاه ، يحظر على غير العرب ان يتكلموا بغير العربية فأصبحت هذه اللغة هي الغالبة العامة وساد اللسان العربي في الاندلس .

٣ ـ اما في عهد الحكم الاول ، فعلى الرغم من استهتاره ومجاهرته بالمعاصي ، حتى احدث الفقهاء في زمنه انشاء اشعار الزهد والحض على قيام الليل في المساجد ، وزادوا جملة « الصلاة يامخمور » في الاذان تعريضاً بالحكم ، نقول على الرغم من كل ذلك فانا نلمس في شعر الحكم الرجولة والقوة الى جانب الالفاظ الاصيلة المشرقية فلنستمع اليه يقول لما قتل اهل الربض وهدم ديارهم :

رأيت صدوعَ الارض بالسيف راقعاً	وقدماً لأمت الشعب مذ كنت يافعاً
فسائل ثغوري هل بها اليوم ثغرة	ابادرها مستنضي السيف دارعا
وشافهْ مع الارض الفضاء جماجماً	كأقحاف شريان الهبيد لوامعا
تنبئك اني لم اكن في قراعهم	بوانٍ ، وقدماً كنت بالسيف قارعا
واني اذا حادوا جزاعاً من الردى	فلم أكُ ذا حَيْدٍ من الموت جازعا
حميت ذماري فانتهبت ذمارهم	ومن لا يحامي ظل خزيان ضارعا
ولما تساقينا سجال حروبنا	سقيتهم سماً من الموت ناقعا
وهل زدت ان وفيتهم صاع قرضهم	فوافوْا منايا قُدّرت ومصارعا
فهاك بلادي انني قد تركتها	مهاداً ولم اترك عليها منازعا

ولكننا الى جانب ذلك نلمس اثر الصنعة واضحاً في ابياته الآتية.

ظل من فرط حبه مملوكا	ولقد كان قبل ذاك مليكا
ان بكا اوشكا الهوى زيد ظلماً	وبعاداً ادنى حماماً وشيكا
تركته جآذر القصر حباً	مستهاماً على الصعيد تريكا
يجعل الخد واضعاً فوق ترب	للذي يجعل الحرير اريكا
هكذا يحسن التذلل للحر	اذا كان في الهوى مملوكا

هكذا تظهر طلائع الصنعة في الشعر الاندلسي بادئة بشعر الحكم فما اكثر الجناس والطباق فيه . ففي البيت الاول طباق وجناس في آن واحد بين « مملوكا » و « مليكا » وفي البيت الثاني جناس بين « اوشكا » و « وشيكا » وطباق بين « بعاداً » و « ادنى » الخ .. وان طلائع هذه الصنعة تظهر للمدقق في الشعر العباسي اذ ذاك كذلك .

وهكذا نرى الشعر الاندلسي لم يتخلص بعد ، من سيطرة الشعر المشرقي ، وقد لانسمي هذه الظاهرة سيطرة بالمعنى الصحيح ، فما اشبه هذه الظاهرة بمفاخرة الزوجة ، حين تدخل بيت بعلها ، بمآثر اهلها ، والمثابرة على تقليدهم بشتى نواحي الحياة . ولا ادل على هذا من قول حسانة التميمية وهي شاعرة اندلسية جاءت الى الحكم تستجير به بعد موت زوجها ابي الحسين :

قد كنت ارتع في نعماه عاكفة	فاليوم آوي الى نعماك يا حكم
انت الامام الذي انقاد الانام له	وملكته مقاليد النهى الامم
لا شيء اخشى اذا ما كنت لي كنفاً	آوي اليه ، ولا يعروني العدم
لا زلت بالعزة القعساء مرتدياً	حتى تذل اليك العرب والعجم

فهذه المعاني شبيهة بمعاني الحطيئة في قصيدة قالها يستعطف بها ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب عندما حبسه في البئر لهجوه الزرقان بن بدر عامل عمر على الصدقات . يقول الحطيئة .

القيت كاسبهم ، في قعر موحشة	فاغفر عليك سلام الله يا عمر
انت الأمام الذي من بعد صاحبه	القى اليك مقاليد النهى البشر

٤ ـ اما في عهد عبد الرحمن الثاني بن الحكم فقد رأينا الأمن يسود الولايات الاندلسية بعد ان اخضع عبد الرحمن الثائرين وصد هجمات الاسبان . كما رأينا كيف وفد عليه زرياب فاستقبله عبد الرحمن استقبالاً فخماً ورأينا كذلك كيف وفدت عليه رسل يتوفلس امبراطور القسطنطينية بهدية يطلب مواصلته ويرغبه في

ملك اجداده في المشرق. كل هذا يدلنا على اليسر والرخاء اللذين كانت تتمتع بها بلاد الاندلس في عصر عبد الرحمن الثاني . فلا عجب اذا رأينا أثر هذا اليسر واضحة على اسارير الشعر . فها هو عبد الرحمن نفسه يقول مفاخراً حين خرج غازياً بجليقية :

فكم قد تخطيت من سبسب ... ولاقيت بعد دروب دروبا
الاقى بوجهي سموم الهجير ... اذ كاد منه الحصى ان يذوبا
تدارك بي الله دين الهدى ... فأحيته وأمتّ الصليبا
وسرت الى الشرك في جحفل ... ملأت الحزون بها والسهوبا

ونرى الى جانب ذلك جوابه لعبدالله بن الشمر وقد مدحه بقوله .

أتقرن حصباء اليواقيت والشذر ... الى من تعالى عن سنا الشمس والبدر
الى من برت قدماً يد الله خلقَه ... ولم يك شيء غيره ابداً يبرى
فاكرم به من صنعة الله جوهراً ... تضاءل عنه جوهر البر والبحر
له خلقَ الرحمن ما في سمائه ... وما فوق ارضيه ومكّن في الأمر

فاجابه عبد الرحمن بقوله .

قريضك يابن الشمر عفّى على الشعر ... وجل عن الاوهام والفهم والفكر
اذا شافهته الاذن ادّى بسحره ... الى القلب ابداعاً فجل عن السحر
وهل برأ الرحمن من كل ما برا ... اقرّ لعين من منعّمة بكر ؟
ترى الورد فوق الياسمين بخدها ... كما فوّقَ الروضُ المنورُ بالزهر
فلو انني ملكت قلبي وناظري ... نظمتها منها على الجيد والنحر

وفي عهد الحكم رأينا زرياب في ترجمته ورأينا فضله على الموسيقا والغناء كما استمعنا الى شعره وهو من النوع الذي لا يسمع الا في المناسبات ومجالس الانس والطرب :

علقتها ريحانة ... هيفاء عاطرة نضيرة الخ ..

وهكذا بدأ الشعر الاندلسي يرق مع الزمن بتأثير هذه العوامل ، ولكن الرقة في الشعر لم تكن تتخطى الخليفة ذاته .. اذ لم تكن الحاشية قد كبرت بعد ولم يكن البلاط قد تضخم ، ولم يتجاوز الترف الخليفة ونفراً قليلاً من الحاشية . والرقة ولا شك بنت الترف .

٥ - ويرتفع الخط البياني للشعر الاندلسي ارتفاعاً ملحوظاً بظهور شاعر وعالم واديب كبير هو

ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد .

فقد ظهر في عهد المنذر بن محمد واخيه عبدالله من بعده . وكان على بعض المجون ثم تاب وقال في الزهد ناقضاً ما قاله في شبابه .

فاستمع اليه يقول .

هلاّ ابتكرت لبين انت مبتكر ؟ هيهات ، يأبى عليك الله والقدر
مازلت ابكي حذار البين ملتهباً حتى رثي ليَ فيك الريح والمطر
يا بَرْدةً من حيا مُزنٍ على كبد نيرانها بغليل الشوق تستعر
آليت ألاّ ارى شمساً ولا قمراً حتى اراك فأنت الشمس والقمر

ثم انظر كيف محص قوله هذا ونقضه منشداً .

يا قادراً ليس يعفو حين يقتدر ماذا الذي بعد شيب الرأس تنتظر
عاين بقلبك ان العين غافلة عن الحقيقة واعلم انها سقر
سوداء تزفر من غيظ اذا سفرت للظالمين فلا تبقي ولا تذرُ
لو لم يكن لك غير الموت موعظة لكان فيه عن اللذات مزدَجر
انت المَقول له ما قلت مبتدأً « هلا ابتكرت لبين انت مبتكر»

ثم اسمع اليه يبلغ حد الروعة الممتزجة بالسهولة والبساطة .

يا لؤلؤاً يسبي العقول انيقاً ورشاً بتقطيع القلوب رفيقا
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله دراً يعود من الحياء عقيقا
واذا نظرت الى محاسن وجهه ابصرت وجهك في سناه غريقا
يا من تقطع خصره من رقة ما بال قلبك لا يكون رقيقا

افلا تقرر معنا انه بابن عبد ربه استهل الشعر الاندلسي الصميم وان هذا الاسلوب السلس البديع هو الذي سار عليه الشعراء الاندلسيون من بعده ؟

لنستمع اليه يقول جامعاً بين القوة والبساطة .

ايها اللائمون ماذا عليكم ان تعيشوا وان اموت بدائي
ليس من مات فاستراح بميْتٍ انما الميت ميت الاحياء

ثم تستمع اليه يبلغ حد الروعة في الرقة والسلاسة :

يا مقلة الرشأ الغرير	وشقة القمر المنير
ما رنّقت عيناك لي	بين الأكلّة والستور
الا وضعت يدي على	قلبي مخافة ان يطير

ثم لنستمع الى هذه المعاني المتعاكسة الطريفة :

اذا جئتها صدت حياءً بوجهها	فيعجبني هجر ألذ من الوصل
وإن حكمت جارت عليّ بحكمها	ولكن ذاك الجور أشهى من العدل
كتمت الهوى جهدي فجرده الاسى	بماء البكا هذا يخط وذا يملي
واحببت فيها العذل حباً لذكرها	فلا شيء أشهى في فؤادي من العذل

لا شك ايها القارىء الكريم انك ستقرر معنا ان الشعر الاندلسي قد بدأ منذ هذا التاريخ يتخذ طابعه الخاص ويكون لنفسه شخصية مستقلة متلائمة مع المحيط الذي اوحى بهذا الشعر ، ذلك المحيط الذي تحول الى نعيم فرافقه الشعر في خط موازٍ له مسايرٍ لركبه فبدأنا نسمع شعراً في رقة النسيم الذي بدأت النفوس الشاعرة تحس به بعد ان تفرغت له .

وفي هذا العصر ظهر معافر بن مقدم القبري شاعر الامير عبدالله بن محمد فاخترع الموشحات واخذ طريقته ابن عبد ربه ولكن طريقتهما لم تنجح النجاح المرجو لها ، والذي نعتقده ان اختراع الموشحات كان أثراً من آثار زرياب في الاندلس وسيأتي بيان ذلك في مستقبل بحثنا .

٦ ـ عصر عبد الرحمن الناصر وفيه ظهر ابن هانئ في اشبيلية :

ان عصر عبدالرحمن الناصر وابنه الحكم يعتبر العصر الذهبي للاندلس فقد ازدهر فيه الادب كما ازدهرت الفنون الجميلة وكثرت مجالس المناظرة والمسامرة والغناء .

ولكن المظهر الخطر الذي شاع في هذا العصر وما بعده هو تفشي اللحن لكثرة اختلاط العرب بالاعاجم وتقريب الخليفة لغير العرب كما رأينا فتكونت لغة عامية هي مزيج من العربية والبربرية والاسبانية .

ولسنا ندعي ان اللحن والشعر المسمى بالزجل ـ وهو شعر العامة ـ لم يكونا معروفين قبل الان ولكننا نقول بانهما قد قويت شوكتهما في هذا العصر وفي العصور المتتابعة بعده حين قويت شوكة غير العرب في سياسة الدولة وخاصة في عهد ملوك الطوائف كما سنرى ذلك فيما بعد . وهناك ظاهرة اخرى انكشفت في عصر عبدالرحمن الناصر هي كثرة شعر الجهاد وشعر العصبية الحزبية القبَلية والعصبية الدينية، وشيوع الشعر السياسي.

اما عبدالرحمن الناصر نفسه فلنستمع اليه يقول :

كيف وانى لمن يناجي | من لوعة الشوق ما اناجي
بطمع ان يستريح وقتاً | او يقتل الراح بالمزاج
لو حمل الصخر بعض شجوي | عاد الى رقة الزجاج
كنت كما قد علمت ألهو | اذا انا مما شكوت ناج
فصرت للبين في علاج | طمّ وأربى على العلاج
الورد مما يزيد حزني | ويبعث السوسن اهتياجي
أرى لياليّ بعد حسن | أقبح من أوجُه سماج
لا ترجُ مما أردت شيئاً | او يأذن الهم بانفراج

وكان الناصر كريماً بل كان موفقاً في هذه الصورة الشعرية يصف فيها كرمه :

ما كل شيء فقدت إلا | عوضني الله منه شيا
اني اذا ما منعت خيري | تباعد الخير من يديا
من كان لي نعمة عليه | فانها نعمة عليا

وفي هذا العصر ظهر ابن هانيء ولعل شعره يمثل ادب هذا العصر أصدق تمثيل فقد شبهوه بالمتنبي وان هذا التشبيه على ما فيه من مبالغة فانه يدلنا على تمجيد الاندلسيين للمشارقة ولكل ما هو شرقي . وعلى كل فقد بلغ ابن هانيء درجة الروعة في كثير من اشعاره وخاصة في قصيدته الرائية التي مطلعها :

انا وفي آمال انفسنا | طول وفي اعمارنا قصر
لنرى باعيننا مصارعنا | لو كانت الالباب تعتبر

فاستمع اليه يقول فيها :

أي الحياة ألذ عيشتها | من بعد علمي اني بشر

الى ان يقول :

خرست لعمر الله السنتا | لما تكلم فوقنا القدر

ولولا ان ابن هانيء مات عام ٣٦٣ هـ. اي في السنة التي ولد فيها ابو العلاء المعري لكان مما يجلب النظر المقارنة بين هذا البيت الاخير :

خرست لعمر الله السنتا | لما تكلم فوقنا القدر

وبين بيت المعري .

تقفون والفلك المسخر دائب   وتحركون فتضحك الاقدار

٧ . ويأتي بعد ذلك عصر المؤيد بالله هشام بن الحكم وهو بدء عصر الانحطاط السياسي بل اننا اعتبرناه بدء عهد ملوك الطوائف .

اما الناحية الشعرية فاننا نلحظ ان الشعر بدأ يكتسب صفة جديدة لم نكن نراها من قبل حتى ولا في الشعر المشرقي واذا وجدت فانها كانت تعد عيباً . وهذه الصفة هي وحدة القصيدة وكونها اصبحت كتلة متراصة اذا فقد منها بيت فقدت جزءاً لايتجزأ لأن البيت منها لايتم معناه الا بما بعده (١) مما جعلها اشبه بالشعر القصصي ولنتحقق ذلك نستمع الى ابي الفرج الجباني يقول :

وطائعة الوصال صددت عنها   وما الشيطان فيها بالمطاع

بدت في الليل سافرة فباتت   ظلام الليالي وهي سافرة القناع

وما من لحظة الا وفيها   الى فتن القلوب لها دواع

فملكت النهى جماح شوقي   لأجري بالعفاف على طباعي

وبت بها مبيت الطفل يظما   فيمنعه الفطام من الرضاع

كذاك الروض ليس به لمثلي   سوي نظر وشم من متاع

ولست من السوائم مهملات   فاتخذ الرياض من المراعي

ولنستمع كذلك الى قصيدة ابي دراج القسطلي شاعر الحاجب المنصور بن ابي عامر :

---

(١) روى (ابو عمرو بن العلاء) قال نزل جرير وهو مقبل من عند هشام بن عبد الملك فبات عندي الى الصبح فلما اصبح شخص وخرجت معه اشيعه فلما خرجنا من اطناب البيوت التفت الي فقال انشدني من قول مجنون بني الملوح فأنشدته :

وادنيتني حتى اذا ما سبيتني   بقول يحل العصم سهل الأباطح

تجافيت عني حين لا لي حيلة   وغادرت ما غادرت بين الجوانح

فقال والله لولا انه لايحسن لشيخ مثلي الصراخ لصرخت صرخة سمعها هشام على سريره ، وهذا من ارق الشعر كله لولا التضمين الذي فيه . والتضمين ان يكون البيت معلقاً بالبيت الثاني لايتم معناه الا به . وانما يحمد البيت اذا كان قائماً بنفسه . (العقد الفريد لابن عبد ربه الجزء الرابع)

الم تعلمي ان الثواء هو الثوى (١)	وان بيوت العاجزين قبور ؟
وان خطيرات المهالك ضُمَّنُ	لراكبها ان الجزاء خطير
تخوفني طول السفار وانه	بتقبيل كف العامري جدير
مجير الهدى والدين من كل ملحد	وليس عليه للضلال مجير
تلاقت عليه من تميم ويعرب	شموسٌ تلاقى في العلا وبدور
همُ يستقلون الحياة لراغب	ويستصغرون الخطب وهو كبير
ولما توافوا للسلام ورُفّعت	عن الشمس في افق الشروق ستور
وقد قام من زرق الأسنة دونها	صفوف ومن بيض السيوف سطور
رأوا طاعة الرحمن كيف اعتزازها	وآيات صنع الله كيف تسير
وكيف استوى بالبر والبحر مجلس	وقام بعبء الراسيات سرير
فجاؤا عجالاً والقلوب خوافق	وولوا ببطء والنواظر صور
يقولون والاجلال يخرس السنا	وحارت عيون ملأها وصدور
لقد حاط اعلام الهدى بك حائط	وقدّر فيك المكرمات قدير

ونلاحظ ظاهرة قوية في هذا العصر هي ان الاندلسيين وهم حتى في هذه المرحلة من التطور الفني قد فاقوا المشارقة الذين كانوا في ذلك الوقت ـ اواسط العصر العباسي ـ لم يكادوا يخرجون عن الاسلوب التقليدي في القصائد يقلدون الجاهليين بالبكاء على الاطلال رغم عدم وجود الاطلال او يخاطبون الخيل يستحثونها ان تذهب بهم الى الشخص الممدوح رغم قرب مقر الشاعر من ممدوحه ، ثم التخلص بعد ذلك في رشاقة او عدم رشاقة الى الغرض الاصلي من قصيدتهم .

وليس هذا فحسب بل اننا نلحظ كذلك تفوق الاندلسيين على المشارقه في صدق العاطفة ، حتى اننا لنلمح صدق العاطفة يشع خلال ابيات المديح نفسها في الوقت الذي تعارف فيه الناس على ان المديح هو وسيله للكسب لا للتعبير عن حب واخلاص . انظر الى قول الشاعرة حفصة بنت حمدون :

لي حبيب لا ينثني لعتاب	واذا ما تركتُه زاد تيها
قال لي« هل رأيت لي من شبيه »	قلت ايضاً« وهل ترى لي شبيها »

---

(١) الثوى الهلاك اي ان الجود في مكان واحد كالهلاك وهذا البيت يذكرنا بقول ابي تمام :

وطول مقام المرء في الحي مخلق	لديباجتيه فاغترب تتجدد

وقولها ايضاً .

رأى بن جميل ان يُرى الدهر مُجملا   فكل الورى قد عمهم سَيْب نعمته
له خلق كالخمر بعد امتزاجها   وحسن فما احلاه من حين خلقته
بوجه كمثل الشمس يدعو ببشره   عيوناً ، ويمشيها بافراط هيبته

وهكذا زاد الترف وزادت الرقة وشاعت مجالس الانس والطرب وتضخمت الحاشية فزاد الاشخاص الذين يتمتعون فينتجون في اوقات متعتهم مايمتع ، حتى النساء وحتى الجواري فمن ذلك :

عقد المنصور بن ابي عامر مجلس شراب ، فلما دارت الكؤوس غنت جارية له اسمها انس القلوب :

قدم الليل عند سير النهار   وبدا البدر مثل نصف سوار
فكأن النهار صفحة خد   وكأن الظلام خط عذار
وكأن الكؤوس جامد ماء   وكأن المدام ذائب نار
نظري قد جنى عليّ ذنوباً   كيف مما جنته عيني اعتذارى
يا لقومي تعجبوا من غزال   جائر في مهجتي وهو جارى
ليت لو كان لي اليه سبيل   فأقضّي من حبه اوطارى

وكان في المجلس شاب اسمه ابو المغيرة عبدالوهاب بن حزم، وعرف انه المعني بالابيات فارتجل لساعته :

كيف كيف الوصول للاقمار   بين سمر القنا وبيض الشفار
لو علمنا بأن حبك حق   لطلبنا الحياة منك بثار
واذا ما الكرام هموا بشيء   خاطروا بالنفوس في الاخطار

فغضب المنصور واراد ان يقتل الجارية فبكت الجارية واعتذرت بأن هذا الحب كان بقضاء الله ولم تملك له دفعاً . وانشد ابو المغيرة على لسانها :

اذنبت ذنباً عظيماً   فكيف منه اعتذاري
والله قدر هذا   ولم يكن باختياري
والعفو احسن شيء   يكون عند اقتدار

ثم لنستمع الى عائشة بنت احمد القرطبية :

اراك الله فيه ما تريد ... ولا برحت معاليه تزيد

فقد دلت مخايله على ما ... تؤمله ، وطالمه السعيد

تشوقت الجياد له وهز الحسامُ هوىً واشرقت البنود

فسوف تراه بدراً في سماء ... من العليا كواكبه الجنود

وكيف يخيب شبل قد غته ... الى العليا ضراغمة اسود

فانتم آل عامر خير آل ... ذكا الابناء منكم والجدود

وليدكم لدى رأي كشيخ ... وشيخكم لدى حرب وليد

ومن ذلك ان الخليفة عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالمهدي اهدى الى مريم بنت ابي يعقوب مالاً وكتب اليها مع الهدية :

مالى بشكر الذي أوليتُ من قِبلٍ ... لو انني حزت نطق اللُسن في الحلل

يا فِذّة الظُرف في هذا الزمان ويا ... وحيدة العصر في الاخلاص والعمل

أشَبهت مريماً العذراء في ورع ... وفقت خنساء في الاشعار والمثل

فكان نص جوابها .

من ذا يجاريك في قول وفي عمل ... وقد بَدرتَ الى فضل ولم تُسلِ

مالى بشكر الذي نظّمت في عنقي ... من اللآلي وما اوليت من قِبَل

حليتني بحليً اصبحت زاهيـة ... بها على كل انثى من حليً عَطَل

لله اخلاقك الغر التي سبقت ... ماء الفرات فرقت رقـة الغزل

اشبهت مروان من غارت بدائمه ... وانجدت وغدت من احسن المثل

ثم انظر الى هذا المعنى الفريد المبتكر في قولها .

من كان والده العضْبَ المهندَ لم ... يلد من النسل غير البيض والأَسل

والى جانب ذلك لا نعدم ان نجد مظهراً آخر من مظاهر الترف ذلك ماصوره الشاعر عبدالملك بن شُهيد حين يصف مجلس انس وسكر فهو في الحقيقة صورة حية (بدون رتوش) :

هاك شيخاً قاده السكر لكا	قام في رقصته مستهلكا
لم يطق يرقصها مستثبتاً	فانثني يرقصها مستمسكا
عاقه من هزها منفردا	نِقْرِسٌ أخنى عليه فاتكا
من وزير فيهم رقاصةٍ	قام للسكر يناغي مَلِكا
انا لو كنت كما تعرفني	قمت اجلالاً على رأسي لكا
قهقه الابريق مني ضاحكاً	ورأى رعشة رجلي فبكى

والواقع ان الترف وحده ليس كل شيء ، والتأثر العميق بجمال الطبيعة لم يكن السبب الوحيد ،في سلاسة شعرهم ورقته فقد كان هناك عنصر آخر هام هوعنصر الاختلاط والعشرة . فاختلاط العرب الاقحاح بالاسبان والصقالبة كان له أكبر الاثر في تحويل دفة سفينتهم نحو شاطىء العاطفة المشوبة بالرقة والانسجام . . . فالاسبانية السمراء ذات السالف الملتف حول نفسه في دائرة رشيقة امام الاذن كانت تفتن لب العربي بل كانت تحوله من رجل يعيش على عاطفة ذات نطاق ضيق الى آفاق من العاطفة الطلقة لا يبلغها انسان الا اذا عاش في مثل تلك البيئة وعاشر مثل تلك الحور العين . ولكن هذا كله وحتى تمازج الدم ، لم يتبعه في الحقيقة تمازج في الثقافات فالشاعر الاندلسي لم يتثقف حتى هذا العصر الا الثقافة العربية الاصيلة ، وان الثقافة العربية التي انتجتها الاندلس وحدها لم تكن في نظر العرب الا مرحلة سبقتها مراحل في بلاد المشرق فكانت ثقافة الشعراء تبعاً لذلك ممتزجة امتزاجاً قوياً بالشعر العربي الصميم أنى كان . وتبدو لنا ومضات تلمع بين سحب الماضي الكثيفة توحي الينا ان تقديس الاندلسي لكل ما هو شرقي وكل ما هو قديم كان مقصوداً ، توارثه المسؤولون أباً عن جد فأوحوا به الى معاصريهم خوفاً على الثقافة العربية ان تفقد روعتها باختلاطها مع ثقافات الاعاجم . بل ويبدو لنا فوق ذلك ان اللون الجديد في الشعر الذي اخترعه مقدم بن معافر الفريري وأخذه عنه ابن عبد ربه والمسمى بالموشحات ، نرى ان هذا اللون الجديد لم ينتشر في عهدهما ، لسبب جوهري واحد هو محاربة المسؤولين له ، لاعتقادهم ان رواجه يقتل الثقافة العربية ويطعن الشعر العربي طعنة في الصميم . وسنرى في مستقبل بحثنا ان السر في نجاح هذا اللون ايام ملوك الطوائف كان مرده ضعف المسؤولين عن الثقافة العربية وتسلط الغرباء عليهم فاقنعوهم انهذا اللونقديم ولم يكتفوا بذلك بل تجرأوا ونسبوا الى امرىء القيس أبيات فيها شبه بهذا اللون الجديد .

وعلى كل فلسنا الآن في سبيل قطع تسلسل التطور في الشعر الاندلسي بل يكفينا ان نقول ان شعراء الاندلس قد اخذوا كثيراً من المعاني المشرقية وصاغوها من جديد مستعملين في صياغتها حذقهم ورقتهم فانظر الى قول ابن دراج القسطلي :

ألم تعلمي ان الثواء هو الثوى   وان بيوت العاجزين قبور
وان حظيرات المهالك ضمن   لراكبها ان الجزاء خطير

ألا يذكرنا هذا المطلع بقصيدة ابي تمام :

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد   وعاد قتاداً عندها كل مرقد

الى ان يقول :

وطول مقام المرء في الحي مخلق   لديباجتيه فاغترب تتجدد
ولم تعطني الايام نوماً مسكنا   ألذ به الا بنوم مشرد

وكذلك قول جعفر بن عثمان المصحفي الوزير حين يصف الخمر :

صفراء تبرق في الزجاج فان سرت   في الجسم دبت مثل صل لادغ
عبث الزمان بحسنها فتسترت   عن عينه في ثوب نور سابغ
خفيت على شرابها فكأنما   يجدون رياً في اناء فارغ

ألا يذكرنا هذا ببيت ابي نواس :

فكأنها خمر ولا قدح   وكأنها قدح ولا خمر

ومن نفس هذا البيت استقى الطليق المرواني قوله :

رب كأس قد كست جنح الدجى   ثوب نور من سناها أشرقا
بت اسقيها رشاً في طرفه   سنة تورث عيني أرقا
خفيت للعين حتى خلتها   تتقي من لحظه ما يتقى

ولكن الطليق قد زاد في تصويره وابدع ايما ابداع في قوله :

اصبحت شمساً وفوه مغرباً   ويد الساقي المحيي مشرقا
واذا ما غربت في فمه   تركت في الخد منه شفقا

٨ — ويخوض الاندلسيون غمار اللذات فيبدعون ولكن في غفوة من الدهر وكانت غفوة الدهر الى حين . . . فقد بدأت السماء تلبد بالغيوم ولاحت في الافق طلائع انواء واعاصير . . .

لقد ضعفت شوكة الخلافة وقويت شوكة البربر ولمعت على مسرح السياسة اسماء عصامية قوية او بالاحرى اسماء وصولية مثل اسم المنصور بن ابي عامر وكان شاعراً ايضاً . فانظر الى قوله مفاخراً تدرك

ما وصلت اليه حالة الخلافة من ضعف وما وصل المنصور اليه من قوة :

رميت بنفسي هول كل عظيمة　　　وخاطرت والحر الكريم يخاطر
فسدت بنفسي أهل كل سيادة　　　وفاخرت حتى لم أجد من افاخر

الله الله يا منصور . . . أحتى الخليفة فاخرته وطويته ؟

ولكن لماذا نذهب بعيداً ولماذا لا نقارن بين قول المنصور هذا حين يدعي انه سيحتل قريباً مصر والشام بخيول الخليفة هشام ، وبين قول هشام عن نفسه . فلنستمع الى المنصور يقول :

عن قريب ترى خيول هشام　　　يبلغ النيل خطوها والشاما

ولنستمع الى قول الخليفة هشام المؤيد :

أليس من العجائب ان مثلي　　　يرى ، ما قل ، ممتنعاً عليه
وتملك باسمه الدنيا جميعاً　　　وما من ذاك شيء في يديه

وفي وصف هذا العصر يقول ابراهيم بن ادريس :

فيما أرى عجب لمن يتعجب　　　جلت مصيبتنا وضاق المذهب

الى ان يقول :

أيكون حياً من أمية واحد　　　ويسوس ضخم الملك هذا الاحدب
أبني أمية أين أقمار الدجى　　　منكم وما لوجودها تتغيب

وفعلاً فقد بدأت وجوه بني امية تتغيب وبدأت الرياح تنذر بالهبوب ثم حلت الكارثة فزالت معالم الخلافة الاموية وحل محلها عهد ملوك الطوائف .



الكتاب الثالث

الشعر في عهد ملوك الطوائف

اذا قلبنا صفحة السياسة الى عهد ملوك الطوائف . يطالعنا هذا العهد بشعراء اقوياء مشاهير يختلفون عمن اوردنا لهم بعض الشواهد حتى الآن ، فقد نبغ في هذا العصر شعراء، اسمهم حتى اليوم على كل لسان وشفة كابن زيدون والمعتمد بن عباد وغيرهما .

واذا اردنا ان نلمس السبب في هذه النهضة الادبية القوية التي حدثت نستطيع ان نبدي رأياً لناوجيها وملاحظة لها خطرها ، فتعدد الدول او الدويلات استدعى تعدد العواصم التي يتمركز فيها العلم والادب، كما انه استدعى حدوث منافسة بين رؤساء الدول على استجلاب اكبر عدد من الشعراء والادباء ، فارتفع بذلك سوق الادب وراجت بضاعته وكثر منتجوه . وبالاضافة الى ذلك فقد رأينا شيوع عادة رفع الشعراء والادباء الى سدة الوزارة كما رأينا الكثير من رؤساء هذه الدول يحاولون نظم الشعر فتتعلم شعرهم القيان وتغنيه،فيعتبرون غناء شعرهم لوناً من المدح .

فهذه الاسباب جعلت ـ على مانعتقد ـ حال الشعر والادب في وضع منعكس مع وضع السياسة . فبينما كان الجو السياسي مشبعاً بالقلق والاضطراب وعدم الاستقرار وكان لهذا الجو شعره ونظمه ، نرى الجو الادبي يوحي بالبهجة والاطمئنان ونرى له من الشعر والادب مايتصف بالتسامي والصعود .

وكان يعبر عن هذا القلق السياسي، شعر الامراء المطعون في كبريائهم، ويعبر عن ذلك التسامي والصعود في مواكب الادب، شعر الشعراء الذين يعيشون ليومهم ولساعة لذة لايحسبون بعدها للافول حسابا .

١ ـ فمن النوع الاول مايقوله الامير عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك الملقب بالمرتضى :

قد بلغ البربر فينا ، بنا ،	ما افسد الاحوال والنظما
كالسهم للطائر ، لولا الذي	فيه من الريش لما أصمى
قوموا بنا في شأنهم قومةً	تزيل عنا العار والرغما
إما بها نملك، او لا نرى	ما يرجعُ الطرف به اعمى

وما يقوله الامير سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين .

حلفت بمن صام وصلى وكبرا	لأغمدها فيمن طغى وتجبرا
وابصرُ دين الله تحيي رسومه	تبدل ما قد لاح منها وغُيرا
فوا عجبا من عبشمي مُملك	برغم العوالي والمعالي تبربرا
فلو ان امري بالخيار نبذتهم	وحاكمتهم للسيف حكماً محررا
فاما حياة تستلذ بفقدم	واما حمام لانرى فيه ما زرا

٢ ـ ومن النوع الثاني وهو شعر الشعراء الساهين اللاهين اللذين لايفكرون فيما يخبؤه لهم الغد. مايقوله ابو محمد علي بن حزم الاندلسي :

تولىّ الامس ، والغد لست ادري	أأدركه ، ففيما ذا اغتمامي

وبهذه العقلية كانوا يعيشون فأتوا بالبديع الرائع . استمع الى مايقوله بن حزم الاندلسي .

خلوت بها والراح ثالثة لنا	وجنح ظلام الليل قد مد وانبلجْ
فتاة عدمت العيش الا بقربها	فهل في ابتغاء العيش ويحك من حرج
كأني وهي والكأس والخمر والدجى	ثرى(١)وحيا(٢) والدر(٣)والتبر(٤)والسبج(٥)

وما يقوله ايضاً وفيه تعريض بالعباسيين .

يعيبونها عندي بشقرة شعرها	فقلت لهم «هذا الذي زانها عندي»
يعيبون لون النور والتبر ضلة	لرأي جهول في الغواية ممتد
وهل عاب لون النرجس الغض عائب	ولون النجوم الزاهرات على البعد
وابعد خلق الله من كل حكمة	مفضل جرم فاحم اللون مسودّ
به وصفت الوان اهل جهنم	ولبسة باكٍ مثكل الاهل محتدّ
ومذ لاحت الرايات سوداً تيقنت	نفوس الورى ان لاسبيل الى الرشد

وكان بن حزم هذا شاعراً خصب القريحة جم الانتاج ولكنه كان بالغ السطحية فلا تكاد ترى له في شعره بيتاً عيناً ولعل ذلك يرجع الى انه كان عالماً اكثر منه شاعراً فاسمع الى قوله .

---

(١) التراب (٢) المطر (٣) اللؤلؤ (٤) الذهب (٥) الخرز الاسود وترى في ذلك خمس تشبيهات في بيت واحد .

وذي عَذَلٍ فيمن سباني حسنه | يطيل ملامي في الهوى ويقول :
أفي حسن وجه لاح ، لم تر غيره | ولم تدر كيف الجسم ، انت قتيل ؟
فقلت له : أسرفت في اللوم ظالماً | وعنديَ ردٌّ لو أردتَ طويل
ألم ترَ أني ظاهريٌّ (١) وانني | على ما بدا حتى يقوم دليل

وقوله :

دعوني من احراق رقٍّ وكاغد | وقولوا بعلمي كي يرى الناس من يدري(٢)
فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي | تضمّنه القرطاس بل هو في صدري

وانظر الى قوله :

انا الشمس في جو العلوم منيرةٌ | ولكن عيبي ان مطاميَ الغرب
ولو انني من جانب الشرق طالع | لجدّ د لي ما ضاع من ذكريَ النهب
ولي نحو آفاق العراق صبابة | ولا غروَ أن يستوحش الكلف الصب
ولكنّ لي في يوسفٍ خير اسوة | وليس على من بالنبي ائتسى ذنب
يقول مقال الحق والصدق انني | حفيظ عليم ، ما على صادق عتب

٣ — وبين هذه الاعاصير السياسية والاجتماعية تبرز لنا صورة وجه حبيب الى قلوبنا ، صورة رجل كافح الامواج حتى طفا على سطحها، صورة بحتري المغرب الوزير الشاعر ابن زيدون (٣) امير شعراء عصره . وأنى لغيره ان يقول :

ودع الصبر محب ودعك | ذائع من سره ما استودعك
يا اخا البدر سناءً وسنى | حفظ الله زماناً اطلعك
ان يطل بعدك ليلي فلكم | بت اشكو قصر الليل معك

وقصة حبه لولادة بنت المستكفي تعتبر اعنف قصة غرام اشتهر امرها في بلاد الاندلس والفت عنها الاساطير وتداولها المتأدبون والعامة حتى اصبحت اليوم من تراثنا الاندلسي الرفيع .

---

(١) كان ابن حزم ظاهرياً يؤمن بظاهر اقوال الشرع ولا يأخذ بالرأي الا اذا كان ثمة دليل من اللغة او العقل يفيد ان القول الشرعي قابل للتأويل .

(٢) قاله يوم نكبته واحراق كتبه .

(٣) ابو الوليد احمد بن عبدالله بن غالب بن زيدون المخزومي الاندلسي من اهل قرطبة انقطع الى ابن جهور من ملوك الطوائف وسخط عليه ابن جهور بسعاية من ابن عبدوس منافسه في حبه لولادة بنت المستكفي فحبسه ابن جهور فاستعطفه ابن زيدون برسائل عجيبة فلم يعطف عليه فهرب واتصل بالمعتضد بن عباد صاحب اشبيلية فولاه وزارته فأقام مبجلاً مقرباً الى ان مات في اشبيلية في ايام المعتمد على الله بن المعتضد عام ٤٦٣ هـ. الموافق ١٠٧٩ م.

ولنا ان نعتبر ابن زيدون ـ بقصائده التي كان يتحدث فيها الى ولادة او عن ولادة ـ فاتح عهد جديد في الشعر الاندلسي بعد ان اصبحت لهذا الشعر شخصيته المستقلة واصبح جديراً بان يكون له اسم خاص مستقل. اجل لقد كان شعر ابن زيدون فتحاً جديداً في عالم الشعر الاندلسي . وقد اشتهر له من شعره أكثر ما اشتهر قصيدته الطويلة التي مطلعها :

اضحى التنائي بديلاً من تدانينا   وناب عن طيب لقيانا تجافينا

فهذه القصيدة على طولها كانت ترقص ابياتها على ايقاع من خفقات قلب الشاعر المسكين ، ويخيل لقارئها انها كانت اندفاعة عاطفية قوية ، تلك التي ولدت هذه القصيدة الطويلة المنسابة انسياب الجدول الرقراق في خميلة وارفة الظلال فينانة .

ومن هذه القصيدة :

ان الزمان الذي ما زال يضحكنا   انساً بقربهم قد عاد يبكينا
غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا   بأن نغص فقال الدهر : آمينا

الى ان يقول :

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا   شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا   يقضي علينا الاسى لولا تأسينا

بهذه القصيدة التي تربو ابياتها على الخمسين بيتاً قيلت في هدف واحد ، في الوقت الذي لم يعرف الشعر العربي قصيدة قيلت بهذا الطول في هدف واحد ، اجل بهذه القصيدة كان ابن زيدون يناجي ولادة ويعاتب الدهر الذى اجبره على الفراق ، ولكن ولادة التي ـ كانت عنه في شغل وكانت مشغولة بابن عبدوس ـ لم تجبه ولم تلتفت اليه .

ولابن زيدون مخمسات اعتبرها الكثيرون من الموشحات :

سقى الله اطلال الاحبة بالحمى   وحاك عليها ثوب وشي منمنما
واطلع فيها للازاهر انجما   فكم رفلت فيها الخرائد كالدمى
اذ العيش غض والزمان غلام

اهيم بجبار يعز واخضع   شذا المسك من اردانه يتضوع
اذا جئت اشكوه الجوى ليس يسمع   فما انا في شيء من الوصل اطمع
ولا ان يزور المقلتين منام

قضيب من الريحان اثمر بالبدر لواحظ عينيه ملئن من السحر
وديباج خديه حكي رونق الخمر والفاظه في النطق كاللؤلؤ النثر

وريقته في الارتشاف مـدام

وانا نقول انها ليست من الموشحات في شيء وسنعود لتفصيل ذلك في مستقبل بحثنا ان شاء الله .

ثم اصبح ابن زيدون وزير المعتمد بن عباد وكان هذا شاعراً ايضاً، كان شاعراً فذاً من مستوى ابن زيدون فكانا اروع شاعرين عرفهما كرسي الملك وكرسي الوزارة الا ان ابن زيدون مات في اوائل عهد المعتمد فلم تطل صحبتهما وكأن القدر اراد ان تنتهي بموت ابن زيدون قصة حب عنيف رائعة لتبدأ من بعدها قصة لا تقل عنها روعة هي قصة المعتمد . قصة الملك الشاعر الذي حطمه الملك حتى انتقل من الحرير والديباج الى الاحجار والسلاسل فعاش بقية عمره اسيراً سجيناً في بلاد اعدائه .

بل انا مع القائلين : ان الدهر فراغ لا يتسع لشخصين يمكن لواحد منهما ان يشغله .

وليس هنا مجال التوسع في القصتين قصة بن زيدون وقصة المعتمد بن عباد فليرجع اليهما من اراد في كتابي « هاتف من الاندلس » و « شاعر ملك » ، وانما نحن في سبيل التحدث عن آثار هذين الشاعرين والتعرف من خلال هذه الآثار على حياتهما المليئتين بالمسرات والاحزان ، بالمباهج والآلام ، لاننا ان فعلنا اكثر من ذلك فلن نتمالك انفسنا من البكاء على ابن عباد حتى ولو قرأنا له ما كتبه حين كان الدهر يبسم له :

فتكت مقلتاه بالقلب مني وبكت مقلتاي شوقاً اليه
فحكى لحظه لناسيف عباد ولحظي له سحاب يديه

او قوله :

ثلاثة منعتها عن زيارتنا خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلي وما تحوي معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره والحلي تنزعه ... ما حيلة العرق

او قوله :

انا في عذاب من فراقك نشوان من خمر اشتياقك
صبا الفؤاد الى لقائك وارتشافك واعتناقك
هذي جفوني اقسمت لا تلتقي ما لم تلاقك

وقد صقل السجن شاعرية المعتمد فانتج قصائد رائعة في وصف عذابه وقيوده ومقارنتها بالعز والسلطان اللذين كان يتمتع بهما ثم تلاشيا دفعة واحدة . لقد صقل السجن شاعريته كما صقل شاعرية ابي فراس الحمداني الشاعر الامير الاسير ... بل كل بيت من ابياته يذكرنا بابي فراس وشعر ابي فراس ... الا ان الدهر قد ساعد ابا فراس ففك من الاسر ثم خرج ثائراً على ابن عمه ملك حلب ، وقاتل حتى مات ميتة تعدل الحياة . اما المعتمد فقد مات في ظلمات السجون بعد ان تعذب عذاباً لا يعلم مداه الا الله . استمع اليه يقول في اوائل عهد سجنه وقد جاء العيد ...

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا ... فجاءك العيد في اغمات (١) مأسورا
ترى بناتك في الاطمار جائعة ... يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
يطأن في الطين والاقدام حافية ... كأنها لم تطأ مسكاً وكافورا
قد كان دهرك ان تأمره ممتثلاً ... فردك الدهر منهياً ومأمورا
من بات بعدك في ملك يُسرّ به ... فانه بات بالاحلام مغرورا

ولنستمع اليه يقول حين علم بموت ولديه :

يقولون صبراً ، لاسبيل الى الصبر ... سأبكي وأبكي ، ماتطاول من عمري
هوى الكوكبان ، الفتح ، ثم شقيقه ... يزيد ، فهل بعد الكواكب من صبر
افتحُ لقد فتّحت لي باب رحمة ... كما بيزيد اللهُ قد زاد في اجري
توليّتما والسن بعد صغيرة ... ولم تلبث الايام ان صغرت قدري
فلو عدتما ، لاخترتما العود للثرى ... اذا انتما ابصرتماني في الاسر

ونال المعتمد اسى ورحمة كل من سمع به واستمع اليه والشعراء يبكونه الى اليوم ... واول من بكاه الشاعر ابن عبد الصمد .. مر بقبره فسأل قبر من هذا فقيل له هذا قبر المعتمد بن عباد فخر على ترابه وقبله ثم انشد :

ملك الملوك اسامع فأنادي ... ام قد عدتك عن السماع عوادي
قد كنتُ احسب ان تبدد ادمعي ... نيران حزن اضرمت بفؤادي
فاذا بدمعي كلما اجريته ... زادت عليّ حرارة الاكباد

---

(١) اغمات مدينة في المغرب الاقصى سكن فيها المعتمد ابان اسره .

ما كنت احسب قبل موتك ان ارى | قبراً يضم شوامخ الاطواد
عهدي علك وهو طلق ضاحك | متهلل الصفحات للقصاد
والامر امرك والزمان مبشر | بممالك قد اذعنت وبلاد ...

وكذلك يقول ابو بكر محمد بن اللبانة في هلاك بني عباد :

تبكي السماء بحزن رائح غاد | على البهاليل من ابناء عباد
على الجبال التي هدت قواعدها | وكانت الارض منهم ذات اوتاد
يا ضيف اقفر بيت المكرمات فخذ | في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد
ويا مؤمل واديهم ليسكنه | خف القطين وجف الزرع بالواد

وبهذا الشعر وامثاله، بعد هلاك بني عباد وامثالهم في نكبات الاندلس المتلاحقة...، شاع نوع جديد من الشعر، هو رثاء الممالك الزائلة والبكاء على اطواد عز هدمتها الكوارث والمصائب التي جاءت بها تيارات السياسة وامواج الحروب .. وسنعقد قسماً خاصاً لهذا النوع من الشعر في مستقبل بحثنا .

٤ ـ وساءت الحالة في الاندلس في اواخر هذا العصر فساءت معها الاخلاق، فقد رأينا ملوكهم، لتثبيت دعائم ملكهم، يتحالفون مع العلوج ويستقوونهم على بعضهم ... فأثر ذلك في تغير طباع الناس، وقلبها من صفات العروبة الاصيلة : من كرم وامانة واخلاص الى صفات الحضارة المتفسخة : البخل والغدر والبغضاء فلنستمع الى المعتصم بالله (ابو يحيى محمد بن معن بن صمادح التجيبي) صاحب ألمرية يصف الناس في هذا العصر :

« وزهدني في الناس معرفتي بهم[1] » | وطول اختباري صاحباً بعد صاحب
فلم ترني الايام خلاً تسرني | مباديه الا ساءني في العواقب
ولا قلت ارجوه لدفع مصيبة | من الدهر الا كان احدى المصائب

وهكذا نجد الصلة قوية بين فساد الاخلاق وبين النكبات التي شاع امرها في الاندلس . فلنستمع الى عز الدولة الواثق ملك ألمرية الذي ذهب الى غرناطة رسولاً فقبضوا عليه وزجوه في السجن :

أبعد السنى والمعالي خمول | وبعد ركوب المذاكي كبول ؟
ومن بعد ما كنت حراً عزيزاً | انا اليوم عبد اسير ذليل

---

(١) هذه الشطرة للمعري وتتمتها : « وعلمي بأن العالمين هباء »

حللت رسولاً بغرناطة | فحل بها بي خطب جليل
وقيدت اذ جئتها مرسلاً | وقد كان يكرم قبلي الرسول
فقدتُ ألمرية اكرم بها | فما للوصول اليها سبيل

٥ ـ ولكن خلال هذه الفوضى والاضطرابات كانت تعيش بعض الدويلات قوية عزيزة حيناً من الدهر تزدهر خلاله ليالي الشراب والطرب ويظهر شعراء يصفون هذه الليالي الملاح ، ومن ذلك قول رفيع الدولة يدعو احد اصدقائه واسمه ابو العلاء الى مجلس طرب وسرور وشراب .

ابا العلاء كؤوس الراح مترعة | وللندامى سرور في تعاطيها
وللغصون تثن فوقها ... طرب | وللحمائم سجع في اعاليها
فاشرب على النهر من صهباء صافية | كأنها عصرت من خد ساقيها

ومن ذلك ايضاً قول ابن شرف في قصيدة يمدح بها بني معن بن صمادح ملوك المرية :

مطل الليل بوعد الفلق | وتشكي النجم طول الارق
ضربت ريح الصبا مسك الدجى | فاستفاد الروض طيب العبق
وألاح الفجر خداً خجلاً | جال من رشح الندى في عرق
جاوز الليل الى انجمه | فتساقطن سقوط الورق
يا بني معن لقد ظلت بكم | شجر لولاكم لم تورق

وابن شرف هذا شاعر مبدع الا ان آثاره التي وصلت الينا قليلة ويكفيه ان له هذا البيت الخالد يمزج فيه المديح بالغزل :

لم يبق للجور في ايامكم اثر | الا الذي في عيون الحور من جور

ومن ذلك ماقاله ابو عبدالله محمد بن عبادة القزاز يمدح المعتصم بالله بن صمادح وخلط النسيب بالمديح :

نفى الحب عن مقلتيّ الكرى | كما قد نفى عن يديّ العدم
فقد قرّ حبك في خاطري | كما قر في راحتيك الكرم
وفر سلوك عن فكرتي | كما فر عن عرضه كل ذم
فحبي ومفخره باقيان | لا يذهبان بطول القدم
فأبقى لي الحبّ خال وخد | وأبقى له الفخر خال وعم

ولم يخل عهد هذه الفوضى السياسية والخلقية من شعراء شامتين بالويلات المنصبة على بعض الدويلات فاستمع الى ابي القاسم خلف بن فرج السُّميْسر :

خنتم فهنتم وكم اهنتم ... زمان كنتم بلا عيون
فانتم تحت كل تحت ... وانتم دون كل دون
سكنتم يا رياح عادٍ ... وكل ريح الى سكون

والغريب ان هذا الشاعر هو نفسه الذي قال الابيات المشهورة في رثاء مدينة الزهراء :

وقفت بالزهراء مستعبراً ... معتبراً اندب اشتاتا
فقلت يازهرا الا فارجعي ... قالت وهل يرجع من ماتا
فلم ازل ابكي وابكي بها ... هيهات يغني الدهر هيهاتا
كأنما آثار من قد مضى ... نوادب يندبن امواتا

٦ ـ ثم انظر الى هذا الانحلال الخلقي في قول ابن شرف ايضاً :

اذا ما عدوك يوماً سما ... الى رتبة لم تطق نقضها
فقبل ، ولا تأنفن ، كفه ... اذا انت لم تستطع عضها

وكان من نتائج هذا الانحلال الخلقي وهذه الفوضى السياسية ان غلبت روح الزهد على كثير من الناس ، زهدوا في الدنيا وانصرفوا الى التقوى وانزووا عن العالم ، مؤثرين العزلة وما يتبعها من ملل ، على هذه الحياة الاجتماعية الفاسدة فاستمع قول ابي القاسم خلف بن فرج السُّميسر :

اذا شئت ابقاء احوالكا ... فلا تجر جاهاً على بالكا
وكن كطريق لمجتازها ... يمر وانت على حالكا

وقوله :

لا شيء اخسر صفقة من عالم ... لعبت به الدنيا مع الجهّال
فغدا يفرق دينه ايدي سبا ... ويذيله حرص بجمع المال
لاخير في كسب الحرام ، وقلما ... يرجى الخلاص لكاسب لحلال
فخذ الكفاف ولا تكن ذا فضلة ... فالفضل تسأل عنه أيّ سؤال

وقول ابي عمر يوسف بن عبدالله بن عبد البر :

تجاف عن الدنيا وهوّن لقدرها وخذ في سبيل الدين بالعروة الوثقى

وقول ابي عبدالله بن نصر الحُميدي :

طريق الزهد افضل ما طريق وتقوى الله تالية الحقوق
فثق بالله يكفك واستعنه يعنك ودع بنيات الطريق

وقول ابى العسال الطليطلي :

انظر الدنيا فان ابصرتها شيئاً يدوم
فاغد منها في امان إن يساعدك النعيم
واذا ابصرتها منك على كره تهيم
فاسل عنها واطرحها وارتحل حيث تقيم



الكتاب الرابع

عصر المرابطين

ولما ضعفت شوكة ملوك الطوائف واستغلها الاسبان سانحة مدوا نفوذهم فيها على جميع الدويلات الاسلامية يأخذون منها الجزية ... ورأى ملوك الطوائف انه لم يبق لهم حول ولا قوة، وشهدوا ظهور يوسف بن تاشفين ملك المرابطين «الملثمين» في المغرب، استنجدوا به ضد الاسبان فانجدهم ثم طمع في الاندلس فاستولى عليها .

فاذا قلبنا صفحة التاريخ وتصفحنا الشعر الذي يقدمه لنا عصر المرابطين وجدنا ان الشعراء استأنفوا نشاطهم فازدهر العلم والادب وكان هذا الازدهار رغم شدة تعصب ابن تاشفين وتمسكه باهداب الدين .

١ — ويطل علينا في مطلع هذا العصر وجه الشاعر الفحل الذي عرف الحياة وخبرها وامضى حياته في المجون وحب الجمال، هو الشاعر الوصاف الشهير ابن خفاجة . فاستمع اليه يقول متشوقاً الى بلاده وهو في عدوة المغرب :

ان للجنة بالاندلس	مجتلى حسن وريا نَفَس
فسنى صحوتها من شنب (١)	ودجى ليلتها من لعَس (٢)
فاذا ما هبت الريح صبا (٣)	صحت واشوقي الى الاندلس

وانظر الى قوله :

صح الهوى منك ولكنني	اعجب من بيْن لنا يُقدَرُ
كأننا في فلك دائر	فانت تخفى وانا أظهرُ

وقال يصف نهراً ينساب في احد المروج متعدد المناظر متعرج المجرى :

لله نهر سال في بطحاء	أشهى وروداً من لمى الحسناء
متعطف مثل السوار كأنه	والزهر يكنفه مجَرّ سماء
قد رق حتى ظن قرصاً مفرغاً	من فضةٍ في بردة خضراء
وغدت تحف به الغصون كأنها	هدب يحف بمقلة زرقاء

(١) الشنب : بياض الاسنان . (٢) اللعس : سمرة الشفاه . (٣) ريح الصبا : من الشرق .

والماء أسرع جريه متحدراً متلوياً كالحية الرقطاء
والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الاصيل على لجين الماء

وفي هذا العصر يبهجنا صوت ابن القزاز يقول :

ادراها على الروض المندى وحكم الصبح في الظلماء ماضي
و كأس الراح تنظر عن حباب ينوب لنا عن الحدق المراض
وما غربت نجوم الافق لكن نقلن من السماء الى الرياض

ولنستمع اليه يقول :

ومرتجة الاطراف اما قوامها فلدن واما ردفها فرداح
فبت، وقد زارت ، بانعم ليلة يعانقني حتى الصباح صُباح
على عاتقي من ساعديها حمائل وفي خصرها من ساعدي وشاح

وهذا ابن صارة الشنتريني يقول :

تمنيت منه قبلة حين زارني فقبلته ثنتين في الخد والخد
وقلت له جد لي بثغرك انني اقول بتفضيل الاقاح على الورد

ولنستمع الى ابن السيد البطليوسي :

ولي مقلة عبرى وبين جوانحي فؤاد الى لقياكم الدهرَ حنّان
تنكرت الدنيا لنا بعد بعدكم وحلت بنا من معضل الخطب الوان
بوجه بن هود (١) كلما اعرض الورى صحيفة اقبال لها البشر عنوان

وهذا ابو الصلت امية بن عبدالعزيز بن ابي الصلت يقول :

اذا كان اصلي من تراب فكلها بلادي ، وكل العالمين اقاربي

وهذا ابو جعفر بن الجحّاف ، وكان رئيساً لجمهورية بلنسية ثم استولى على جمهوريته الاسبان ، يقول :

لئن كان الزمان أراد حطي وحاربني بأنياب وظفر
كفاني ان تصافيني المعالي وان عاديتني يا ام دفر (٢)
فما اعتز اللئيم وإن تسامى ولا هان الكريم بغير وفر (٣)

---

(١) المستعين بن هود . (٢) ام دفر : الدنيا . (٣) الوفر : الغنى .

وهكذا نرى الشعر قد ازدهر وارتقى في عصور المرابطين ، واخذت مواضيعه تتناول الحياة . . . الحياة الطلقة الضاحكة التي سرعان ما تنسى الويلات وتغرها الدنيا فتغرق في المسرات ، وعادت المباذل الى سابق عهدها ان لم نقل انها ارتفعت وازدادت .

٢ – ونطالع في هذا العصر اشعاراً كثيرة لشعراء عديدين فتخال الاشعار كلها لشاعر واحد . فكأن استيلاء المرابطين على جميع بلاد الاندلس ودمجها جميعاً تحت سلطتهم قد وحد الافكار والاخيلة فانك تلحظ في شعر الزهد وحدة الموضوع عند جميع شعرائه وفي شعر المباذل وحدة في الالفاظ والاخيلة كما تلحظ الى جانب هؤلاء الشعراء او من بينهم شعراء اهتموا بصياغة الموشحات منهم : ابن بقي القرطبي وابو عامر الشاطبي وابو العلاء بن زُهر وابو بكر بن زهر (المعروف بالحفيد بن زهر) وابو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجه وابو العباس التطيلي الاعمى ومحي الدين بن عربي (١) وابو بكر بن عبد الملك بن قزمان وغيرهم . ولا نريد الآن ان نبحث في موشحاتهم فقد افردنا لهذا البحث قسماً خاصاً سنصل اليه ان شاء الله .

وحسبنا الان ان ننظر في بحثنا وهو تطور الشعر في المجتمع الاندلسي حسب عصوره .

فلنستمع الان الى بن بقي القرطبي يقول :

يا اقتل الناس الحاظاً واطيبهم	ريقاً متى كان فيك الصاب والعسل
في صحن خدك وهو الشمس طالعة	ورد يزيدك فيه الراح والخجل

وهذا ابو عامر بن يَنّق الشاطبي يقول :

يا هند هل لك في زيارة فتية	نبذوا المحارم غير شرب السلسل ؟
سمعوا البلابل قد شدوا فتذكروا	نغمات عودك في الثقيل الاول (٢)

وهذا ابو العلاء بن زهر يقول :

يا راشقي بسهام ما لها غرض	الا الفؤاد وما منه لها عوض
وممرض بجفون لحظها غنج	صحت وفي طبعها التمريض والمرض
امنن ولو بخيال منك يؤنسني	فقد يسدّ مَسَدّ الجوهر العرض

وازداد هذا النوع من الشعر حتى طغى على اشعار المديح او الحكم او الزهد فلا نرى لمثل ذلك اثراً ... واما هذا الشعر الغزلي الذي طغت عليه المادة فقد ساد وانتشر ولكنه رغم هذه الهنة فهو جميل ومقبول فمن ذلك قول ابي بكر بن زهر « الحفيد بن زهر » :

(١) ويلقب سلطان الزاهدين وهو مدفون بدمشق (٢) الثقيل الاول ايقاع موسيقي ويطلق ايضاً على مقام .

رمت كبدى اخت السهام فاقصدت | الا بأبي رام يصيب ولا يخطي
قريبة مابين الخلاخيل ان مشت | بعيدة ما بين القلادة والقرط
نعمت بها حتى اتيحت لنا النوى | كذا شيم الايام تأخذ ما تعطي

ولكننا نراه في بعض الاحيان صادق الحس والوجدان فلنستمع اليه يقول :

ولي واحد مثل فرخ القطاة | صغير تخلف قلبي لديه
وأُفردْتُ عنه فيا وحشتي | لذاك الشخيص وذاك الوُجَيه
تشوقني وتشوقته | فيبكي عليَّ وابكي عليه
وقد تعب الشوق ما بيننا | فنه اليَّ ومني اليه

ومن شعر ابن باجه قوله :

قوم اذا انتقبوا رأيت اهلة | واذا هم سفروا رأيت بدورا
لايسألون عن النوّال عُفاتهم | شكراً ولا يحمون منة نقيرا
لوانهم مسحوا على جدْب الربى | بأكفهم نبت الأقاح نضيرا

واما ابو العباس التطيلي الاعمى فن شعره قوله :

بحياة عصياني عليك عواذلي | ان كانت القُربات عندكِ تنفع
هل تذكرين لياليا بتنا بها | لا انت باخلة ولا انا اقنع

ومن شعر محي الدين بن عربي قوله :

ليت شعري هل دروا | ايَّ قلب ملكوا
وفؤادي هل درى | اي شِعْبٍ سلكوا
اتراهم سلموا | ام تراهم هلكوا
حار ارباب الهوى | في الهوى وارتبكوا

واما ابو بكر بن عبد الملك بن قزمان فن شعره :

ركبوا السيول من الخيول وركبوا | فوق العوالي السمر زرق نطاف

واستودعوا الخلل الجداول واصطفوا بيض الرؤوس من الحباب الطافي
وتجللوا الغُدران من ماذيهم مرتجة الا على الاكتاف

ومن شعر بن قزمان :

وعهدي بالشباب وحسن قدي حكى ألف ابن مقلة(١) في الكتاب
فصرت اليوم منحنياً كأني افتش في التراب على شبابي



(١) ابن مقلة خطاط بغدادي مشهور

الكتاب الخامس

عصر الموحدين

لعل هذا العصر اصدق عصر يقال فيه « الناس على دين ملوكهم » فالدولة الموحدية نشأت على اساس الاصلاح الديني ومؤسسها اطلق على نفسه لقب المهدي ، ولما ظهر الثائر محمد بن هود السلاوي اطلق على نفسه لقب الهادي وتمكن ناموسه من قلوب العامة ، فلا عجب اذا رأينا الناس يعلنون توبتهم عن المعاصي وسادت بينهم فكرة الزهد والتصوف .

ولا شك ان التصوف ساعد على نشر الادب من جهة وعلى جعله شعبياً من جهة اخرى كما انه ساعد على تقوية المذهب الواقعي الطبيعي بين الخاصة . وكان اهل التصوف يشنعون على العلماء وعلى علمهم ويعتمدون في الغالب على عامة الناس ، وكان التصوف يتجه الى وعظ العامة وتحليل حياتهم والعناية بحاجاتهم فتأثر الادب بكلامهم واساليبهم . واصبح الشعراء لايعنون بان يبعثوا في النفوس مايرفعها الى آفاق الحياة القوية بقدر عنايتهم بأخذ الباب الناس بمادة جديدة هي الزهد وبتذكيرهم بالناحية الدينية ويوم القيامة .. الخ ..

وهذه حفصة بنت الحاج السركونية وصاحبها ابو جعفر احمد بن سعيد اصدق مثال لشعراء هذا العصر حتى في الغزل .

كتبت حفصة الى ابن سعيد تقول :

يا مدعي في الهوى الحسنَ والغرامِ (١) الامامة

اتى قريضك لكن لم ارض منه نظامه

أمدعي الحب يَثني يأس الحبيب زمامه

ضللتَ كل ضلال ولم تفدك الزعامة

ما زلت تصحب مذ كنت في السباق السلامة

حتى عثرت وأُخجلتَ بافتضاح السآمة

بالله في كل وقت يبدى السحاب انسجامه

والزهر في كل حين يشق عنه كمامه

لو كنت تعلم عذري كففت عزب الملامة

---

(١) اي وفي الغرام

فيجيبها ابو جعفر بن سعيد :

يا من اجانب ذكر اسمه | وحسبي ملامـة
ما إن ارى الوعد يُقضى | والعمر اخشى انصرامه
اليوم ارجوك لا ان | تكون لي في القيامـة
لو قد بصرت بحـالي | والليل ارخى ظلامه
انوح وجداً وشوقاً | اذ تستريح الحمامة
صب اطال هواه | على الحبيب غرامه
لمن يتيه عليه | ولا يرد سلامـه
ان لم تنلي اريحي | فاليأس يثني زمامـه

واستمع الى حفصة ايضاً تناجي ابا جعفر بقولها :

يا سيد النـاس يا من | يؤمل النـاس رفده
امنن عليَّ بطرس | يكون للدهر عـدة
تخط يمناك فيـه | « الحمد لله وحده »

وقولها :

اغار عليك من عيني رقيبي | ومنك ومن زمانك والمكان
ولو أني خبأتك في عيوني | الى يوم القيـامة ما كفاني

وقول ابي الربيع الكلاعي :

أمولى الموالي ، ليس غيرك لي مولى ، | وما احد يا رب منك بذا أولى

وقول عبد المنعم الوادي آشي :

الا انما الدنيا بحار تلاطمت | فما اكثر الغرقى على الجنبات
واكثر ما لاقيت يغرق إلفه | وقلَّ فتى ينجى من الغمرات

ومن عيوب الشعر في هذا العصر ان الشعراء قد فقدوا قوة التوجيه واصبحوا اتكاليين يوحون بالخضوع والخنوع والشكوى الى الله مما صاروا اليه ، وفقدت من شعرهم مادة البطولة حتى البطولة الدينية والحض على الجهاد للخلاص من نير الاجنبي واستعاضوا عنها بالعبارات اللينة .

وهذه هي الشـلبية تقول :

شلب(١) كلا شاب وكانت جنة | فاعادها الطاغون ناراً حامية
حافوا(٢) وما خافوا عقوبة ربهم | والله لا تخفى عليه خافية

ولكننا لا نعدم ان نرى بينهم من لا يرضى بهذه الحالة فلنستمع الى ابي الحسن علي الششتري :

من لامني ، لو انه قد ابصرا | ما ذقته اضحى به متحيرا
وغدا يقول لصحبه : ان انتم | انكرتم ما بي اتيتم منكرا
شذت امور القوم(٣) عن عاداتهم | فلأجل ذاك يقال ، سحر مفترى

وليس هذا فحسب ، بل كأن الدهر قد تساند مع جميع اعداء الاندلس في هذا العصر، حتى مع الجدب والقحط وهذا ابو الحسن علي بن حريق يصف حال بلنسية في هذه الايام فلنستمع اليه يقول :

بلنسيةٌ ، قرارة كل حسنٍ | حديث صح في شرق وغرب
فان قالوا : محلُّ غلاء سعر | ومسقط ديمتيْ طعن وضرب
فقل : هل جنة حُفّتْ رباها | بمكروهين من جوع وحرب

وتوجه الشعراء الى ملوك المغرب يستصرخونهم لانقاذ الاندلس من جور الاسبان وظلمهم وها هو ابو عبدالله محمد بن الأبار القضاعي يستصرخ ملك تونس ابا زكريا الحفصي :

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا | ان السبيل الى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست | فلم يزل منك عز النصر ملتمسا
وحاشِ مما تعانيه حشاشتُها | فطال ما ذاقت البلوى صباح مسا
يا للجزيرة اضحى اهلها جزراً | للحادثات وأمسى جدها تعسا

الى ان يقول :

واضرب لها موعداً بالفتح ترقبه | لعل يوم الاعادي قد اتى وعسى

وهذا عبدالرحمن السهيلي يقول :

يا دار اين البيض والآرام | ام اين جيرانٌ عليّ كرامُ
راب المحبَّ من المنازل أنّه | حيًّا فلم يُرجَعْ اليه سلام
لما اجابنيَ الصدى عنهم ولم | يلجِ المسامع للحبيب كلام
طارحت ورق حمامها مترنما | بمقال صب والدموع سجام :
« يا دار ما فعلت بك الايام | ضامتْكِ والايام ليس تُضام(٤)»

---

(١) شلب : مدينة بالاندلس . (٢) حافوا : ظلموا . (٣) المتصوفون . (٤) البيت لابي نواس في مدح الامين .

وهذا ابو جعفر الوقشي يقول :

الا ليت شعري هل يمد لي المدى	فأبصر شمل المشركين طريدا
حملت اليه من نظامي قلادة	يلقبها اهل الكلام قصيدا
غدت يوم انشاء القريض وحيدة	كما قصدت في المكرمات وحيدا

وهذا ابو المسال اليحصبي يقول :

يا اهل اندلس حثوا مطيكمُ	فا المقام بها الا من الغلط
الثوب ينسل من اطرافه وارى	ثوب الجزيرة منسولا من الوسط
ونحن بين عدو لا يفارقنا	كيف الحياة مع الحيات في سفط (١)

وهكذا ترى الاندلسيين لم يبق فيهم من يذكي اوار النخوة العربية او الشهامة الاسلامية فكلهم مابين اتكالية تشتكي الى الله الذي (لاتخفى عليه خافية) ظلم الطاغين ، الى متحير مما قد جرى ، لدرجة ان عده سحر مفترى الى مستصرخ همة الغير لانقاذه متعللا بلعل وعسى ، الى آخر يحث اهل الاندلس على الفرار من بلادهم التي اصبحت كالسفط فيه حيات .

ولم نجد بين شعراء هذا العصر من يسعي لايقاد نار الحمية في صدور الاندلسيين غير شاعر لم نعرف من هو واكتفي الدكتور نيكل بقوله ان هذين البيتين لبعض الشعراء الاندلسيين في هذا العصر «عصر الموحدين» وهما هذان البيتان .

يا اهل اندلس ، ردوا المعار ، فا	في العرف عارية الا مُرادت
الم تروا بيدق الكفارِ فرزنة	وشاهنا آخر الابيات شاه مات (٢)

والشاعر كما ترى يستند في تحريضه القوم وفي استنهاض هممهم على لعبة هي لعبة الشطرنج .الا قبح الله الشعر وقبح الشعراء اذا وصل بهم الامر الى هذه الدرجة من اللغو والسف والانحطاط .

«١» وعاء كالسلة او الكيس

«٢» هذه الاستعارات مأخوذة من لعبة الشطرنج والشاعر يعني بهذا البيت طريقة اللعب وهي ان اللاعب اذ استطاع ان يقطع بالبيدق ـ وهو اضعف حجارة الشطرنج ـ رقعة الدست ، استطاع ان يبدله بالفرزين « الملك او الوزير » وحينئذ يكون الشاه « اي الملك » وهو اسم حجر في هذه اللعبة وعليه وحده تتوقف فاذا أكل « بالبناء للمجهول » فيقال حينئذ الشاه مات اي انتهى اللعب . والشاعر هنا يحرض اهل الاندلس لأن بيدق الكفار يكاد يبدل بالفرز واصبح موقف الشاه خطراً ..!!

والحقيقة انه لما ظهر الموحدون من بين سكان الصحراء الافريقية وفكرتهم الاصلاح الديني ، كانوا اعداء لكل حضارة عربية وكانت حكومتهم - كما يشبهها الدكتور اشباخ المؤلف الالماني - كريح الصحراء اللافح حين يهب على الفياض النضرة ، تعمل على تحطيم جميع العلوم والفنون والصنائع التي وصلت في ظل السيادة العربية الى ذروة التقدم والازدهار . وكان اولئك الحكام القساة يمقتون القبائل العربية وثقافتها ويعملون على سحق هذه الثقافة بكل ما في وسعهم . فكانوا يطاردون العلماء الذين ينحرفون عن معتقداتهم ويحرقون كتبهم ويعملون بالأخص على تحطيم الروح الشعرية الاندلسية التي كانت تجد متعتها في قريض الفروسية والقصص البطولية وكانت قراءة هذه الكتب محظورة ويعاقب قارؤوها باشد العقوبات وكانت المعاهد والمدارس والمكتبات تتناقص شيئاً فشيئاً . فركدت في ظلهم دولة التفكير والادب وذوى بهاء الحضارة الاندلسية . اجل سطعت في ظل دولتهم القصيرة بعض الشخصيات اللامعة وفي طليعتهم ابو مروان عبد الملك ابن زهر الاشبيلي الطبيب الشاعر المتوفي عام ٥٦٤ هـ و ١١٦٨ م ، وابو جعفر بن الطفيل الاشبيلي المتوفي عام ٥٧١ هـ ١١٧٦ م وهو صاحب رسالة حي بن يقظان الشهيرة ، والامام الفيلسوف ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد القرطبي المتوفي عام ٥٩٤ هـ ١١٩٨ م والرئيس موسى بن ميمون اليهودي القرطبي المتوفي عام ٦٠٢ هـ ١٢٠٥ م ولكن ظهور هؤلاء واضرابهم كان كومضات تلمع بين سحب كثيفة من الاضطهاد . وفي حياة ابن رشد بالاخص وحياة ابن ميمون مايمثل لنا طرفاً من سياسة الموحدين تجاه التفكير وترددها بين التسامح والاضطهاد فقد كان ابن رشد بلا ريب اعظم فلاسفة الاسلام في ذلك العصر ورغم ذلك فقد تواتر عليه الرضا والغضب طيلة حياته فقد كنت تراه حيناً مقرباً من السلطان وحيناً آخر سجيناً بسبب آرائه الفلسفية . وكان ابن ميمون من اعظم الاطباء والفلاسفة في عصره ولكنه اضطهد ليهوديته فغادر الاندلس الى مصر وخدم السلطان صلاح الدين . وقد كان من ضحايا هذا الاضطهاد مفكر آخر هو ابن حبيب الاشبيلي الذي اتهم بالزندقة بسبب آرائه الفلسفية ايام المأمون بن المنصور وقتل لهذا السبب . وهكذا كانت الفلسفة ايام الموحدين قرينة الالحاد والزندقة وكانت خطراً يجتنبه كثير من مفكري العصر . وقد ظهر الى جانب هؤلاء العلماء جمهرة من اقطاب الادب والشعر مثل ابي القاسم خلف بن بشكوال القرطبي المتوفى عام ٥٧٨ هـ ١١٨٣ م وابن بدرون الاشبيلي المتوفى في فاتحة القرن السابع الهجري وهو شارح قصيدة ابن عبدون الشهيرة في رثاء بني الافطس ، وابن الصابوني الصدفي الاشبيلي الشاعر المتوفي عام ٦٠٤ هـ ١٢٠٧ م وقد قال ابن الأبّار في حقه « ذهبت الآداب بذهابه وختمت الاندلس شعراءها » وقد كان ظهور هؤلاء الادباء والشعراء حسب تقربهم من ملوكهم ومدحهم واكتساب رضاهم .

ولما ضعف امر الموحدين واجتاحت الثورة معظم القواعد والثغور الاندلسية شعرت اسبانيا النصرانية

بدنو الفرصة السانحة لاقتطاع ما يمكن اقتطاعه من اطراف الاندلس الممزقة وبدأت قواعد الاندلس تسقط تباعاً في يد النصارى وشغلت الاندلس بمحنتها وانصرفت الى متابعة الجهاد فانكمشت فنون السلم وتضاءلت دولة التفكير والادب وان كانت المحنة قد اذكت لوعة الشعر وبعثت الينا بطائفة من اروع المراثي التي مازالت تحتفظ الى يومنا بكثير من قوتها وروعتها .

الكتاب السادس

عصر ابن هود

وكان من بين الثائرين على الموحدين الثائر ابن هود، كما رأينا، وقد نجح في ضم معظم الاندلس تحت حكمه . ولكن حكمه لم يطل اكثر من بضع سنين لذلك فانا نتجاوز البحث عن تطور الشعر في عصره منتقلين رأساً الى عصر الدولة النصرية الاحمرية .

الكتاب السابع

الشعر في عصر الدولة النصرية الاحمرية في غرناطة

رأينا فيما تقدم من تاريخ الاندلس، في مراحله الاولى، صفحات باهرة من ضروب المجد الحربي والسياسي وآيات ساطعة من التمدن والعرفان ، كما رأينا، في مراحله الاخيرة، صفحات مؤثرة من الانحدار البطيء المؤلم الى هاوية الهزيمة والذلة والسقوط . وان الصراع الطويل الذي خاضته الامة الاسلامية في الاندلس ، قبل ان تستسلم الى قدرها المحتوم ، يبدو كصفحة رائعة من الاستشهاد والبطولة وتضحية الذات في سبيل المثل العليا، ولكنه في صفحاته الاخيرة يمثل امة في دور الاحتضار . ودور الاحتضار هذا لا بد ان يتخلله ومضات ساطعة ولكنها قليلة المدى ... انها ومضات تمثل صحوة الموت يعقبها لفظ النفس الاخير . . .

فبعد ان لقيت الامة الاسلامية هزيمتها الحاسمة في موقعة العقاب المشؤومة عام ٦٠٩ هـ. و ١٣١٢ م. بدأ شبح الفناء يلوح للاندلس قوياً منذراً ، وظهر التوجس واضحاً في رسائل كتاب العصر وقصائد شعرائه ومن ذلك ما قاله ابو اسحق ابراهيم بن الدباغ الاشبيلي بعد موقعة العقاب :

وقائلة اراك تطيل تفكراً	كأنك قد وقفت لدى الحساب
فقلت لها افكر في عقاب	غدا سبباً لمعركة العقاب
فما في ارض اندلس مقام	وقد دخل البلا من كل باب

ولكن كأن القدر أراد ان يرجىء المصير المحتوم بعد هذه المعركة وأن يسبغ على الدولة الاسلامية بالاندلس حياة جديدة في ظل مملكة غرناطة . فبقيت هذه المملكة ما يزيد على قرنين رافعة لواء الاسلام عالياً في تلك الربوع في الوقت التي كانت فيه عدوتها اللدودة اسبانيا النصرانية مشغولة بحروبها الداخلية .

وقد رأينا اخيراً كيف يتناحر العم وابن اخيه آخر ملوك غرناطة من اجل منافع مادية فيلجأ العم الى عدوة الطرفين اسبانيا في وقت كانت فيه الاخيرة قد اتحدت بزواج فرديناند وايزابيلا واصبحت قادرة على سحق آخر معقل من معاقل الاسلام في الاندلس، فتنزل الضربة الاخيرة وتكون فيها القاضية.

اجل ... لقد رأينا كل هذا في النبذة التاريخية التي قدمناها في اول كتابنا . وسنبحث الآن عن اثر هذه الحوادث في تطور الشعر الاندلسي . ولاجل تسهيل البحث لا بد لنا من تقسيم هذا العصر الى عهدين لا نقول بانفصالهما تمام الانفصال عن بعضهما ولكن ما اشبههما بروضة غناء زاهية على سفح منحدر يودي الى هاوية ظلماء ليس لها قرار . فالسائر في هذه الروضة لا يكاد يشعر بتخطيه الحدود حتى يجد نفسه في قعر الهاوية.

انهما عهدان متداخلان في بعضهما لا يفصلهما حد : عهد الازدهار والقوة وعهد الانحطاط والتدحرج الى الهاوية .

١ - عهد الازدهار والقوة : يتضمن هذا العهد فترة انتقال من العصر الذي اتت عليه الاحداث الجسام وهو العصر الذي اختتمته الاندلس الكبرى في اواخر ايام الموحدين، الى العصر الذي بدأت فيه حياتها الجديدة بقيام مملكة غرناطة . كما انه يتضمن عهد ازدهار المملكة الغرناطية وقد تجلى فيه مظهر قوتها وعظمتها. لقد امتلأت الاندلس في مطلع هذا العهد بالشعر المؤسي والمراثي المؤثرة . وقد نقل المقري كثيراً منها في كتابيه نفح الطيب وازهار الرياض ، وسنفرد لهذا اللون من الشعر قسماً خاصاً في مستقبل بحثنا .

وكان من اعلام الشعر في عهد الازهار والقوة : ابن مرج الكحل المتوفى عام ٦٣٤ هـ. و ١٢٣٦ م. وهو ابو عبدالله محمد بن ادريس بن علي فاستمع اليه يقول :

عرج بمنعرج الكثيب الاعفر	بين الفرات وبين شط الكوثر
ولتغتبقها قهوة ذهبية	من راحتي احوى المراشف أحور
والروض بين مفضض ومذهب	والزهر بين مدرهم ومدنر
والنهر مرقوم الاباطح والربى	بمصندل من زهره ومعصفر
وكأنه وكأن خضرة شطه	سيف يسيل على بساط أخضر
وكأن ذباك الحباب فرنده	مهما طفا في صفحه كالجوهر

ان هذا الشعر ولا شك من الشعر الوصفي المبتكر الذي امتاز به هذا الشاعر الفحل . ومن شعراء هذا العصر عزيز بن عبدالملك القيسي وهو من اهل مرسية واشترك في احداثها وتوفي قتيلاً عام ٦٣٨هـ. و١٢٤٠م. ومن شعره عندما حلت به النكبة :

نصحت فلم افلح وخانوا فافلحوا	فاعقبني نصحي بدار هوان

ومنهم ابراهيم بن سهل الاشبيلي الوشّاح المعروف وكان يهودياً فاسلم . توفي غريقاً في النهر عام ٦٤٩هـ. و ١٢٥١م. وله شعر عاطفي رقيق منه قوله :

مضى الوصل الا منية تبعث الاسى	اداري بها همي اذا الليل عسعسا
اتاني حديث الوصل زوراً على النوى	أعد ذلك الزور اللذيذ المؤنسا
ويا ايها الشوق الذي جاء زائراً	اصبت الاماني خذ قلوباً وانفسا

ومنهم الكاتب الشاعر، ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي البلنسي، المعروف بابن الأبار. وهو صاحب القصيدة التي مطلعها :

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا .. الخ ..

وقد استمعنا الى بعض من ابياتها فيما سبق، انشدها في حضرة ابي زكريا الحفصي امير تونس لما ذهب سفيراً اليه يستصرخه ويستنصره على العدو الذي حاصر بلنسية عام ٦٣٦ هـ و ١٢٣٨ م.

ومن شعره الغزلي :

لم تدر ما خلدت عيناك في خَلَدي	من الغرام ولا ما كابدت كبدي
افديك من رائدٍ رام الدنوّ فلم	يسطعه من فَرَق في القلب متّقد
خاف العيون فوافاني على عجلٍ	معطلاً جيده الا من الجيَد

وله ايضاً يصف نهراً :

ونهرٍ كما ذابت سبائك فضةٍ	حكى بعجانيه انعطاف الأراقم
اذا الشفق استولى عليه احمراره	ترائى قضيباً مثل دامي الصوارم

ومنهم ابن مالك النحوي صاحب الألفية في النحو ومطلعها :

قال محمد هو ابن مالك	احمد ربي الله خير مالك

وهي قصيدة في الف بيت ضمّنها جميع احكام النحو.

. . .

وهكذا نرى ان الحركة الفكرية في هذا العهد الاندلسي تحاول رغم اضطرابها ان تعمل على وصل ماضيها بحاضرها في ظل ملوك غرناطة الذين كانوا جرياً على سنن ملوك الاندلس السالفين، من حماة الادب والشعر. وكان بلاط غرناطة يسطع بالشعراء والادباء كما سطعت من قبل قصور ملوك الطوائف. وكان امراء بني الاحمر انفسهم في طليعة الادباء والشعراء. وقد اورد لنا ابن الخطيب قصيدة من شعر ابي عبد الله محمد الملقب بالمخلوع يقول فيها :

واعدني وعداً وقد اخلفا	اقل شيء في الملاح الوفا
وحال عن عهدي ولم يرعه	ما ضره لو انه انصفا
ما بالها لم تتعطف على	صب لها ما زال مستعطفا

وكذلك الوزراء ...... ومنهم الوزير ابن الحكيم الذى يصفه ابن الخطيب في «الاحاطة» بقوله : «كان فريد دهره سماحة وبشاشة ولوذعية وانطباعاً ، رقيق الحاشية ، نافذ العزيمة ، زار الشرق وحج ودرس وتلقى عن مشايخه» . ومن شعر ابن الحكم قوله :

هل الى رد عشيات الوصال	سبب ام ذاك من ضرب المحال
وليالٍ ما تبقّى بعدها	غير اشواقي الى تلك الليالي
اذ مجال الوصل فيها مسرحي	ونعيمي آمر فيها ووال
ولحالات التراضي جولة	مزجت بين قبول واقتبال
وغزال قد بدا لي وجهه	فرأيت البدر في حال الكمال
ما امال التيه من اعطافه	لم يكن الا على خصل اعتدال
خص بالحسن فما انت ترى	بعده للناس حظاً في الجمال

وقوله ايضاً :

الا واصل مواصلة العقار	ودع عنك التخلق بالوقار
وقم واخلع عذارك في غزال	يحق لمثله خلع العذار
قضيب مائس من فوق دعص	تعمم بالدجى فوق النهار
ولاح بخده الف ولام	فصار معرفاً بين الدراري

ومن اكابر الشعراء في هذا العهد ابو عبدالله محمد بن خميس التلمساني . وصفه « ابن خاتمة » بانه من فحول الشعراء واعلام البلغاء . من شعره قوله :

نظرتْ اليك بمثل عيني جؤذر	وتبسمت عن مثل سمطي جوهر
عن ناصع كالدر او كالبرق او	كالطلع او كالأقحوان مؤشر

الى ان يقول .

لو لم يكن خمراً سلافاً ريقها	تزري وتلعب بالنهى ، لم تخطر

ومن شعره .

عجباً لها ايذوق طعم وصالها	من ليس يأمل ان يمر ببالها
وأنا الفقير الى تملّةِ ساعة	منها وتمنعني زكاة جمالها

الى ان يقول :

يسمو لها بدر الدجى متضائلاً كتضاؤل الحسناء في اسمالها

ويأتي في طليعة اقطاب النظم والنثر، الرئيس ابو الحسن علي بن الجياب وزير السلطان يوسف ابي الحجاج وكاتبه وكان من معاونيه في الكتابة لسان الدين بن الخطيب ومن شعر ابن الجياب قوله في الوعظ :

يا أيها الممسك البخيل الملك المنفق الكفيل
انفق وثق بالاله ترع فان احسانه جزيل

ومن شعراء ذلك العصر ابو عبدالله بن محمد بن جابر الاندلسي الهواري الضرير ، ومن شعره قوله :

شغفت بها حيناً من الدهر لم يكن سوى سكب دمعي في محبتها كسبي
وما اصل هذا كله غير نظرة الى مقلة منها اصغت لها قلبي

ومن شعره يتشوق الى حمراء غرناطة حينما رحل الى المشرق :

دامت على الحمراء حمراً مدامعي والقلب فيما بين ذلك ذائب
طال المدى بي عنهم ولربما قد عاد من بعد الاطالة غائب

ومن اكابر الشعراء في هذا العهد ، ابن سلبطور شاعر المرية وهو ابو عبدالله محمد بن محمد بن احمد بن سلبطور الهاشمي واشتهر برقيق شعره الذي منه :

اثغرك ام سمط من الدر ينظم وريقك أم مسك من الراح تختم
ووجهك ام بادٍ من الصبح نير وفرعك ام داج من الليل مظلم
اعلل منك الوجد والليل ملتقى وهل ينفع التعليل والخطب مؤلم
واقنع من طيف الخيال بزورة لو ان جفوني بالمنام تنعم

٢ ـ عهد الانحطاط : وهو عهد الانحدار الى الهاوية ،وكما بينا سابقاً فليس من حدود تفصل بين هذا العهد وسابقه ، فهما متداخلان في بعضهما وقد استمعنا الى قسم من نظم بعض المتأخرين من شعراء العهد الاول واليك شيئاً مما نظمه اوائل شعراء العهد الثاني ، فاستمع الآن الى ابي سعيد بن فرج بن لب المتوفى عام ٧٨٢ هـ. و ١٣٨٠ م. وكان من اشهر اساتذة جامعة غرناطة ، كان فقيهاً وولي خطابة الجامع الاعظم فيها :

خذوا للهوى من قلبي اليوم ما ابقى فما زال قلبي كله للهوى رقا
دعوا القلب يلقى في لظى الوجد ناره فنار الهوى الكبرى وقلبي هو الاشقى
سلوا اليوم اهل الوجد ماذا به لقوا فكل الذي يلقون بعض الذي القى
فان كان عبد يسأل العتق سيداً فلا تبتغي من مالكي في الهوى عتقا

ومنهم القاضي ابو محمد بن عطية بن يحيى المحاربي ، فاستمع اليه يقول :

ألا ايها الليل البطيء الكواكب	متى ينجلي صبح بنيل المآرب
وحتى متى ارعى النجوم مراقباً	فمن طالع منها على إثر غارب
احدث نفسي ان ارى الركب سائراً	وذنبي يقصيني باقصى المغارب
فلا فزت من نيل الاماني بطائل	ولا قمت في حق الحبيب بواجب

ومنهم القاضي ابو عبدالله محمد بن علي بن محمد بن القاسم الاشبيلي المعروف بابن الازرق. فمن شعره المؤثر قوله حين نزل النصارى في مرج غرناطة :

مشوق بخيمات الاحبة مولع	تذكره نجد وتغريه لعلع
مواضعكم يالائمين على الهوى	فلم يبق للسلوان في القلب موضع
ومن لي بقلب تلتظي فيه زفرة	ومن لي بجفن تهمي منه ادمع
رويدك فارقب للطائف موقعاً	وخل الذي من شره يتوقع
وصبراً فان الصبر خير تميمة	ويافوز من قد كان للصبر يرجع
وبت واثقاً باللطف من خير راحم	فألطافه من لمحة العين اسرع

ومنهم الوزير والكاتب الشاعر ابي عبدالله محمد بن عبدالله العربي المعروف بالشريف العقيلي وزير ابي عبدالله الصغير آخر ملوك الاندلس . وقد وصفه الوادي آشي بانه « شاعر العصر ، مالك زمامي النظم والنثر » ووصف بانه خاتمة ادباء الاندلس . فاستمع اليه يقول مادحاً السلطان ابي عبدالله :

أوَجْهُ سعدي انحط عنه اللثام؟	ام بدر افقي فض عنه الغمام
كأنما اقبس نور البها من	وجه مولانا الامام الهمام
ابن ابي الحسن الاسري الذي	قد كان للاملاك مسك الختام
ضرغام قد انجب شبلاً له	في صدق بأس ومضاء اعتزام
دام له النصر الذي جاءه	والسيف من طلي اعاديه دام

وقوله حينما نزل النصارى بمرج غرناطة:

بالطبل في كل يوم	وبالنفير نراع
وليس من بعد هذا	وذاك الا القراع
يا رب خيرك يرجو	من هيض منه الذراع
لا تسلبني صبراً	منه لقلبي ادراع

ومن اشهر الشعر الاندلسي قصيدته التي مهد بها للرسالة التي كتبها على لسان سلطـانه ابي عبدالله الى سلطان المغرب وعنوانها « الروض العاطر الانفاس في التوسل الى المولى الامام سلطان فاس » والتي مطلعها :

مولى الملوك ملوك العرب والعجم رعياً لما مثله يرعى من الذمم
بك استجرنا ونعم الجار انت لمن جار الزمان عليه جور منتقم

ونلحظ في اواخر هذا العهد ، وقبيل سقوط غرناطة ، وبعده ، هجرة جمهرة من الادباء والشعراء هم البقية الباقية من المجتمع الادبي الاندلسي وقد آثروا مغادرة الوطن على التعرض لفقد الحرية وامتهان الدين والكرامة القومية ومذلة العبودية في ظل الحكم الاجنبي المنتصب ، فانهار بهجرتهم آخر صروح الفكر والشعر والآداب الاندلسية .

ولكننا قبل ان نأتي على آخر صفحة من صفحات الادب العربي في الاندلس لا بد ان تنبهر ابصارنا بنور ساطع يشع من ثنايا هذا العهد انه نور الفترة التي ظهر فيها الوزير الخطير لسان الدين بن الخطيب وتلميذه ابن زمرك .

فلسان الدين وهو ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد بن الخطيب ، ورث خدمة القصر السلطاني في غرناطة عن ابيه عبدالله عام ٧٤١ هـ. في عهد السلطان ابي الحجاج يوسف فعمل اميناً لسر الوزير ابي الحسن بن الجياب ولما مات ابن الجياب في الوباء الكبير عام ٧٤٩ هـ. خلفه ابن الخطيب في الوزارة والكتابة ولما توفي السلطان ابو الحجاج يوسف عام ٧٥٥ هـ. وخلفه ولده محمد الغني بالله استمر ابن الخطيب في منصبه وارسله الغني بالله في اواخر عام ٧٥٥هـ. سفيراً الى الساطان ابي عنان سلطان المغرب يستنصره ويستغيث به على مقاومة طاغية قشتالة الاسباني . وانشد ابن الخطيب بين يدي السلطان قصيدته الرائعة وهي التي يقول فيها :

خليفة الله ساعدَ القدرُ عُلاك ما لاح في الدجى قمرُ
ودافعت عنك كف قدرته ما ليس يستطيع دفعه البشر
ووجهك في النائبات بدر دجى لنا وفي المحل كفك المطر
والناس طراً بارض اندلسٍ لولاك ما اوطنوا ولا عمروا
وجملة الأمر انه وطن في غير علياك ما له وطر

وينقل صاحب نفح الطيب ان السلطان قد اهتز لقصيدته ووعده باجابة ملتمسه وتحقيق رغباته .

ولما شبت الثورة في غرناطة عام ٧٦١ هـ. و ١٣٥٦م. واقصي الغني بالله عن العرش وسجن ابن الخطيب تدخل السلطان ابو سالم ملك المغرب في شأن السلطان المخلوع ووزيره ابن الخطيب المعتقل وطلب اجازتهما الى المغرب فاجابه السلطان اسماعيل الى مطلبه كما رأينا سابقاً واستقبلهما الساطان ابو سالم في فاس بترحاب وانشده ابن الخطيب قصيدته المشهورة التي يدعوه فيها لنصرة سلطانه وهذا مطلعها :

سلا هل لديها من مخبرة ذكرُ　　وهل اعشب الوادي ونمّ به الزهر

ومنها :

قصدناك يا خير الملوك على النوى　　لتنصفنا مما جنى عبدك الدهر

ومنها :

وانت الذي تدعي اذا دهم الردى　　وانت الذى ترجى اذا اخلف القطر

ويقول لنا ابن خلدون ـ وقد كان من شهود هذا الحفل ـ ان ابن الخطيب ابكى سامعيه تأثراً واسىً .

واستقر ابن الخطيب فترة من الوقت بالمغرب وتوالت مدائحه للسلطان ابي سالم ومنها قصيدة طويلة يهنيء فيها السلطان بفتح تلمسان عام ٧٦٢ هـ وهذا مطلعها :

اطاع لساني في مديحك احساني　　وقد لهجت نفسي بفتح تلمسان
فاطلعتها تفتر عن شنب المنى　　وتسفر عن وجه من السعد حياني
كما ابتسم النوّار عن ادمع الحيا　　وجف بخد الورد عارض نيسان
كما صفقت ريح الشمال شمولها　　فبان ارتياح السكر في غصن البان

واستعاد السلطان المخلوع « الغني بالله » عرشه ورد وزيره ابن الخطيب الى سابق مكانته في الوزارة . ولكن حساد ابن الخطيب وأعداءه افلحوا اخيراً بسعايتهم ضده لدى السلطان وشعر ابن الخطيب ان السلطان بدأ يتغير عليه وخشي العاقبة فاستأذن السلطان في تفقد الثغور الغربية وسار اليها في نفر من خاصته وعبر البحر الى سبته عام ٧٧٣ هـ بتفاهم سابق بينه وبين السلطان عبد العزيز المريني ملك المغرب ، وارسل السلطان المريني سفيراً من قبله ليسعى في استقدام اسرة الوزير المنفي فأتى بها معززة مكرمة .

وغص خصوم ابن الخطيب، بغرناطة ، بنجاته على هذا النحو فعولوا على ملاحقته واتهموه بالزندقة والخروج عن شريعة الاسلام .

وكان تلميذه وخلفه في الوزارة، ابو عبدالله بن زمرك ، اكبر مروج لهذه الدعاية ضده ، وتولى صوغ الاتهام القاضي ابو الحسن بن الحسن النباهي عدو ابن الخطيب وافتى بوجوب حرق كتبه فاحرقت في غرناطة بمحضر من الفقهاء والمدرسين والعلماء عام ٧٧٣ هـ .

وسجل القاضي ابو الحسن تهمة الزندقة على ابن الخطيب وصادق السلطان على حكمه ، وارسل القاضي

رسله الى السلطان عبد العزيز ملك المغرب يطالبه بتنفيذ حكم الشرع في الوزير الملحد وهو الاعدام . فعنف السلطـان رسل الاندلس وقال لهم « هلا انفذتم فيه حكم الشرع وهو عندكم وانتم عالمون بما كان عليه » وردهم خائبين .

ولما توفي السلطان عبدالعزيز بعد ذلك بقليل عام ٧٧٤ هـ وخافه ولده السعيد طفلا على العرش سار ابن الخطيب الى فاس واقتنى الضياع والدور ، واقام فيها .

ولما نشبت الثورة في المغرب على يد بعض زعماء بني مرين، عضدت حكومة الاندلس هذه الثورة ونادى الثوار بولاية الامير احمد بن السلطان ابي سالم عام ٦٧٧ هـ و ١٣٧٤ م . وكان التفاهم قد تم بين السلطان ابن الاحمر وزعماء الفتنة بشأن ابن الخطيب ومصيره ، فلما وقع الانقلاب بادر السلطان احمد وقبض على ابن الخطيب واعتقله .

وبعث ابن الاحمر وزيره ابن زمرك الى فاس ليعمل على الانتقام من استاذه ابن الخطيب. وعقد السلطان احمد مجلساً لمناقشة ابن الخطيب ومواجهته بالتهم المنسوبة اليه واخصها تهمة الزندقة . ولما رأوا انهم لن يستطيعوا تفنيد اجوبته ، دسوا عليه بعض الاوغاد فقتلوه خنقاً في سجنه ، واخذت جثته واضرمت فيها النار ، ثم دفنت .

وهكذا ذهب ابن الخطيب ضحية الجهالة والتعصب والاحقاد السياسية الوضيعة . وقد نقل لنا صديقه ابن خلدون عنه ابياتاً كان يرددها وهو في سجنه ، يرثي بها نفسه توقعاً لمصيره المحزن :

بعدنا وان جاورتنا البيوت	وجئنا بوعظ ونحن صموت
وانفاسنا سكنت دفعة	كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاماً فصرنا عظاماً	وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلاء	غربن فناحت عليها البيوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب	وفات ومن ذا الذي لا يفوت
فمن كان يفرح منكم له	فقل يفرح اليوم من لا يموت

واما ابن زمرك تلميذ ابن الخطيب وخلفه في الوزارة فقد كان اعظم شخصية تزعمت الحركة الادبية في الاندلس بعد ابن الخطيب ، وهو محمد بن يوسف بن محمد الشهير بابي عبدالله ابن زمرك ، اصله من شرقي الاندلس ودرس دراسة حسنة وخدم حيناً في بلاط السلطان ابي سالم المريني، ولما نفي السلطان « الغني بالله » الى المغرب ، اتصل به ابن زمرك وانقطع اليه ، ولما استرد الغني بالله ملكه ولاه كتابة السر وغمره بعطفه في

كنف ابن الخطيب . وينوه ابن الخطيب في « الاحاطة » بذكائه وخلاله وتفوقه في الدرس والادب ويصف شعره بانه « مترام الى اهداف الاجادة ، كلف بالمعاني البديعة ، والالفاظ الصقيلة ، غزير المادة »

فلما هبت العاصفة على ابن الخطيب واصابته المحنة ، كان ابن زمرك في طليعة اعدائه الساعين الى هلاكه. ثم خلفه في الوزارة بعد فراره ، وتولى مهمة السعي لدى سلطان فاس في محاكمته واعدامه . وفي اواخر عهد الغني بالله فقد ابن زمرك حظوته ونفوذه ، واعتقل ونفي خارج غرناطة .

ولكنه عاد في عهد محمد بن يوسف الثاني وتولى الوزارة فاساء السيرة وكثر خصومه .

وفي ذات ليلة من عام ٧٩٧ هـ و ١٣٩٥ م دهمه في منزله جماعة من المتآمرين فقتلوه وولديه وخدمه. وكأن الدهر ، كما يقول المقري ، قد انتقم منه لاستاذه ابن الخطيب ولكن بصورة اقسى واشنع .

ولابن زمرك شعر كثير نقل الينا المقري منه قصائد وموشحات عديدة . فمن شعره قوله يمتدح الغني بالله سلطان الاندلس عام ٧٦٥ هـ :

لعل الصبا ان صافحت روض نعمان	تؤدي امان القلب عن ظبية البان
وماذا على الارواح وهي طليقة	لو احتملت انفاسها حاجة العاني
وما حال من يستودع الريح سره	ويطلبها وهي النموم بكتمان

الى ان يقول :

امام اعاد الملك بعد ذهابه	اعادة لا تأبى الحسام ولا واني
فغادر اطلال الضلال دوارساً	وجدد للاسلام ارفع بنيان
وشيدها والمجد يشهد دولة	محافلها تزهى بيمن وايمان

ومن قوله يصف دار الملك « الحمراء » :

فكم فيه للابصار من متنزه	تجد به نفس الحليم الامانيا
وتهوى النجوم الزهر لو ثبتت به	ولم تك في افق السماء جواريا
به البهو قد حاز البهاء وقد غدا	به القصر آفاق السماء مباهيا
وكم حلة قد جللت بحليها	من الوشي تنسي السابري اليمانيا
وكم من قسي في ذراه ترفعت	على عمد بالنور باتت حواليا
فتحسبها الافلاك دارت قسيها	تظل عمود الصبح اذ بات باديا
سواري قد جاءت بكل غريبة	فطارت بها الامثال تجري سواريا
به المرمر المجلو قد شف نوره	فيجلو من الظلماء ما كان داجيا

به البحر دفّاع العباب تخاله	اذا ما انبرى وفد النسيم مباريا
اذا ماجلت ايدي الصبامتن صفحه	ارتنا دروعاً اكسبتنا الايايدا

ومن قوله في الغزل :

قيادي قد تملكه الغرام	ووجدي لا يطاق ولا يرام
ودمعي دونه صوب الغوادي	وشجوى فوق ما يشكو الحمام
اذا ما الوجد لم يبرح فؤادي	على الدنيا وساكنها السلام

. . . . . .

وكان سقوط غرناطة في يد اسبانيا النصرانيةعام ٨٩٧ هـ و١٤٩٢ م ايذان بانهيار الصرح القومي والاجتماعي للامة الاسلامية في الاندلس .

فقد كانت اسبانيا النصرانية ترمي قبل كل شيء الى القضاء على خواص الامة المغلوبة الدينية والفكرية وقد نجحت السياسة الاسبانية ، يدعمها طغيان الكنيسة وعنصر ديوان التحقيق Ingsition في تحقيق هذه الغاية الى ابعد حد . فلم يمض على سقوط غرناطة نحو خمسين عاماً حتى استحالت بقية الامة الاندلسية الى شعب جديد يستبدل دينه القديم ـ الاسلام ـ بالنصرانية المفروضة ويتكلم اللغة القشتالية بدل اللغة العربية . فقد صدر في اوائل عهد شارلكان عام ١٥٢٦ م اي بعد اربعة وثلاثين سنة فقط اول قانون لتحريم التخاطب باللغة العربية . ولكنه لم يطبق بشدة اول الامر، فتمكن بعض الموريسكيين (وهو لقب العرب الذين تنصروا بضغط الحكومة وديوان التحقيق) من نظم بعض القصائد ارسلوها الى المسؤولين في الديار الاسلامية . ثم صدر اثر ذلك في عام ١٥٦٦ م قانون آخر صارم طبق بشدة بحق كل من يتكلم اللغة العربية او يتعامل بها . وفرض هذا القانون اللغة القشتالية بشكل صارم فانقرضت بذلك آخر معالم اللغة العربية وآدابها في الاندلس .



القسم الثالث

شعر المراثي والصريخ في الادب الاندلسي

ليس تاريخ الثمانية عصور ، التي عاشتها الامة العربية في الاندلس ، الا قصة تاريخية واقعية خالدة ، تبهرنا في فصولها الاولى صفحات رائعة ، من ضروب المجد الحربي والسياسي ، وآيات ساطعة من التمدن والحضارة والعرفان ، وتشجينا في فصولها الاخيرة صفحات مؤلمة من ضروب المحن والانحدار البطيء الى هاوية الهزيمة والذلة والسقوط .

وما الصراع الطويل المضطرم ، الذي خاضته الامة الاسلامية في الاندلس ، قبل ان تستسلم الى قدرها المحتوم ، الا صفحة رائعة من الاستشهاد ، يحيطها اطار زاه من البطولة الخالدة ، قلما نراهـا في تاريخ امة، حتى من الامم الشهيرة بالذود عن حياضها وحريتها وحياتها .

ويحتدم هذا الصراع المضطرم في الفترات التي بدأ فيها انهيار صرح الخلافـة في الاندلس ـ في اواخر القرن الرابع الهجري ، وقيام دول ملوك الطوائف بعده،وتفرق كلمتهم واغتنام العدو الفرص يسدد فيهاالطعنات الى البلاد الاسلامية فكان من نتاج هذا الصراع المتواصل تساقط قواعد الاندلس بيد الاسبـان ، واحدة بعد اخرى ، في سلسلة من المعارك الضارية . وكان سقوط كل قاعدة يمثل طعنـة قوية تحدث اعمق الاثر في كيان الامة الاندلسية ، وتنتزع من وحي النثر والنظم اشجى صريخ واروع المراثي ، حتى سقطت غرناطة عام ٨٩٧ هـ. فمثل سقوطها الضربة القاضية .

* * *

والآن وقد درسنا تاريخ الاندلس وتلمحنا من خـلال الشعر حالة المجتمع الاندلسي في مختلف العصرر ، فلا بد لنا من الوقوف لحظات نستعرض فيها هـذا اللون من الادب ـ ادب المراثي والصريخ ـ الذي نكاد لا نرى مثيله في اي ادب آخر من آداب اللغـات العالمية . ولعل مرد ذلك راجع الى ان تاريخ الاندلس لا يشبهه تاريخ امة عريقة في المدنية كان مصيرها هذا الدمار المفجع .

فلنبدأ الآن باستعراض هذا اللون من الادب ، حسب تسلسل التاريخ وكر السنين، محاولين ان نرسل عليه وعلى الحوادث التي قيل بمناسبتها ، اضواء تنير لنـا المنظر الشعري ، ما امكن ، لتسهل دراسته على المطالع الكريم .

* * *

١ ـ يطالعنا في بدء هذا الاستعراض وجه ابن حيّـان مؤرخ الاندلس في القرن الخـامس الهجري فنراه يصف حوادث سقوط « بربشتر » من اعمـال الثغر الاعلى « أراجون » في يد النصـارى عام ٤٥٦ هـ. الموافق لعام ١٠٦٣ م. وما اقترن بسقوطها من القتل والسبي وشنيع الاعتداء فنراه يقول :

« وقد اشفينا ، بشرح هذه الحالة الفادحة ، مصائب جليلة مؤذنة بوشك القلعة ، طالما حذر اسلافنا لحاقها بما احتملوه عمن قبلهم من آثاره . ولا شك عند ذوي الالباب ان ذلك مما دهانا ، من داء التقاطع، وقد امرنا بالتواصل والالفة ، فاصبحنا من استشمار ذلك ، والتجازي عليه على شفا جرف يؤدي الى الهلكة لا محالة . »

ويندد بعد ذلك ابن حيان بتواكل اهل الاندلس وتخاذلهم عن نصرة دينهم واخوانهم . . .

٢ ـ ولما سقطت طليطلة اول قاعدة اسلامية كبيرة عام ٤٧٨هـ. و١٠٨٥م. اوضح ابن حيان ان الاندلس اضحت على وشك الفناء وتنبأ بأن دول الطوائف المنهوكة الممزقة سوف تسقط تباعاً في يد عدوهـا القوي وان دولة الاسلام في اسبانيا سوف تطوى وتختم حياتها المجيدة في شبه الجزيرة .

وقد ساد الفزع والتوجس يومئذ جنبات الاندلس حتى قال شاعرهم عبدالله بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسال :

يا اهل اندلس حثوا مطيكم	فما المقام بها الا من الغلط
الثوب ينسل من اطرافه وارى	ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط
ونحن بين عدو لا يفارقنا	كيف الحياة مع الحيات في سفط

٣ ـ ولما وقعت موقعة العقاب عام ٦٠٩ الموافق ١٢١٢ م. نظم ابو اسحق ابراهيم بن الدباغ الاشبيلي قصيدة يقول فيها :

وقائلة أراك تطيل تفكراً	كأنك قد وقفت لدى الحساب
فقلت لها افكر في عقاب	غدا سبباً لمعركة العقاب
فما في ارض اندلس مقام	وقد دخل البلا من كل باب

٤ ـ وحين دهم العدو بلنسية عام ٦٣٦ هـ. الموافق لعام ١٢٣٨ م. نرى ابن الأبّـار القضاعي يوجّه الصريخ على لسان الامير ابي جميل زيان الى ابي زكريا الحفصي ملك تونس فتردد الاندلس باجمعها هذا الصريخ:

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا	ان السبيل الى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست	فلم يزل منك عز النصر ملتمسا
وحاش مما تعانيه حشاشتها	فطال ما ذاقت البلوى صباح مسا

يا للجزيرة اضحى اهلها جزراً	للحادثات وأمسى جدها تعسا
في كل شارقة المام بائقة	يعود مأتمها عند العدا عرسا
وكل غاربة اجحاف نائبة	تثني الامان حذاراً والسرور اسى
تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم	ولا عقائلها المحجوبة الأنسا
وفي بلنسية منها وقرطبة	ما ينسف النفس اوما ينزف النفسا
مدائن حلها الاشراك مبتسماً	جذلان وارتحل الايمان مبتئسا
وصيرتها العوادي العابثات بها	يستوحش الطرف منها ضعف ما انسا

٥ ـ ولما بدأ حصار العدو لاشبيلية عام ٦٤٥ هـ الموافق لعام ١٢٤٧ م وتفاقت اهوال الحصار واشترك جنود ابن الاحمر مع الاعداء، تنفيذاً لمعاهدة بينهما، في حصار الحاضرة الاسلامية، ارسل شاعر اشبيلية ابراهيم بن سهل الاشبيلي صريخاً الى اهل العدوة يستحثهم فيه الى نصرة اخوانهم في الدين ونراه يقول في صريخه:

ورداً فضمون نجاح المصدر	هي عزة الدنيا وفوز المحشر
نادي الجهاد بكم بنصر مضمر	يبدو لكم بين القنا والضمّر
خلوا الديار لدار عز واركبوا	عبر العجاج الى النعيم الاخضر
وتسوغوا كدر المناهل في السرى	ترووا بماء الحوض غير مكدر
يامعشر العرب الذين توارثوا	شيم الحمية كابراً عن كابر
ان الاله قد اشترى ارواحكم	بيعوا ويهنئكم وفاء المشتري
انتم احق بنصر دين نبيكم	ولكم تمهد في قديم الاعصر
انتم بنيتم ركنه فلتدعموا	ذاك البناء بكل لدن اسمر

٦ ـ وكانت حوادث الاندلس المؤسية تحدث اثرها العميق في المغرب وعدوته وكان علماء المغرب وشعراؤها يبثون دعوة الغوث والانجاد. ومن ذلك قصيدة مؤثرة وضعها ابو الحكم مالك بن المرحل وقرئت في جامع القرويين بفاس في يوم جمعة من عام ٦٦٢ هـ ١٢٦٣ م فبكي الناس تأثراً لسماعها ومما جاء فيها:

استنصر الدين بكم فاستقدموا	فانكم ان تسلموه يسلم
لاذت بكم اندلس ناشرة	برحم الدين ونعم الرحم
واسترحمتكم فارحموها انه	لا يرحم الرحمن من لايرحم
ماهي الا قطعة من ارضكم	واهلها منكم وانتم منهم

٧ ـ ولما بدأت هزائم قوات ابن الاحمر عام ٦٦٣ هـ ـ ١٢٦٤ م امام الاسبان كتب الفقيه ابو القاسم صاحب سبتة رسالة طويلة الى قبائل المغرب يستصرخهم فيها ويحثهم على الجهاد في سبيل الاندلس وفيها يقول:

« ولا تخلدوا بركون الى سكون والدين يدعوكم لنصره، وصارخ الاسلام قد اسمع اهل عصره، والصليب قد اوعب في حشده، فالبدار البدار بارهاب الجد واعمال الجهاد في نيل الجد ... » .

٨ ـ وفي عام ٦٧٢ هـ و ١٢٧٤ م ارسل محمد الفقيه وفداً من اكابر الاندلس الى ملك المغرب ابي يوسف المريني ورسالة استغاثة جاء فيها بعد الديباجة :

مرين جنود الله اكبر عصبة	منهم بني اعصارهم كالمواسم
مشنفة اسماعهم لمدائح	مسورة ايمانهم بالصوارم

« تطول علينا بمعلوم حدك ومشهود جدك ، قد جعلك الله رحمة تحيي عيشها بجيوشك السريعة ، وخلفك سلماً الى الخير وذريعة ، فقد تطاول العدو النصراني على الاسلام ، واهتضم جناحه كل الاهتضام، وقد استخلص قواعدها ومزق بلدانها ، وقتل رجالها وسبى ذراريها ونساءها وغنم اموالها . وقد جاء بابراقه وارعاده وعدده وايعاده ، وطلب منا ان نسلم له مابقى بايدينا من المنابر والصوامع والمحاريب والجوامع ، ليقيم بها الصلبان ، ويثبت بها الأقسة والرهبان . ولقد وطأ الله لك ملكاً عظيماً شكرك الله على جهادك في سبيله ، وقيامك بحقه واجهادك في نصر دينه وتكميله ، ولديك من نية الخير ، فابعث باعث بعثك الى نصر مناره ، واقتباس نوره ، وعندك من جنود الله من يشتري الجنات بنفسه ، فان شئت الدنيا فالاندلس قطوفها دانية ، وجناتها عالية . وان اردت الاخرة ففيها جهاد لايفتر ، وهذه الجنة ادخرها الله لظلال سيوفكم، واحتمال معروفكم ، ونحن نستعين بالله العظيم وملائكته المسومين ، ثم بكم على الكافرين »

٩ ـ وفي هذه الأثناء نظم شاعر العصر ابو البقاء صالح بن شريف الرُندي؛ مرثيته الشهيرة ، التي مازالت تعتبر حتى اليوم من اروع المراثي القومية وأبلغها تأثيراً في النفس ، وفيها يبكي قواعد الاندلس ويستنهض همم اهل العدوة لانجادها وغوثها ويصف فيها البلاد عند مغادرة اهلها لها وتعرف هذه القصيدة برثاء الاندلس :

لكل شيء اذا ماتم نقصانُ	فلا يُغر بطيب العيش انسانُ
هي الامور كما شاهدتها دولٌ	من سره زمن ساءته ازمان
وهذه الدار لا تبقي على احدٍ	ولا يدوم، على حالٍ لها، شان

يمزق الدهر حتماً كل سابغة ... اذا نبت مشرفيات وخرصان
وينتضي كل سيف للفناء، ولو ... كان ابن ذي يزن والغمد غمدان
اين الملوك ذوي التيجان من يمن ... واين منهم اكاليلٌ وتيجان ؟
واين ما شاده شداد في ارم ... واين ما ساسه في الفرس ساسان ؟
واين ما حازه قارونُ من ذهب ... واين عاد وشدادٌ وقحطان ؟
اتى على الكل امر لا مردَّ له ... حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من مُلك ومن ملك ... كما حكى عن خيال الطيف وسنان

. . . . .

دار الزمان على دارا وقاتله ... وأمَّ كسرى فما آواه ايوان
كأنما الصعب لم يسهُل له سببٌ ... يوماً ولم يملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر انواع منوّعة ... وللزمان مسراتٌ واحزان
وللحوادث سُلوانٌ يسهّلها ... وما لما حل بالاسلام سلوان
دهى الجزيرة امر لا عزاءَ له ... هوى له أُحدٌ وانهدّ ثهلان
اصابها العين في الاسلام فارتزأت ... حتى خلتْ منه اقطار وبلدان
فاسأل بلنسية ما شأن مرسية ... واين شاطبة ام اين جيان
واين قرطبةٌ دار العلوم، فكم ... من عالم قد سما فيها له شان
واين حمص(١) وما تحويه من نزه ... ونهرها العذب فياضٌ وملآن
قواعدٌ كنّ اركان البلاد فما ... عسى البقاء اذا لم تبق اركان
تبكي الحنيفية البيضاء من اسف ... كما بكى لفراق الالف هيمان
على ديار من الاسلام خالية ... قد اقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ... ما فيهن الا نواقيسٌ وصلبان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة ... حتى المنابر ترثي وهي عيدان

. . . . .

يا غافلاً وله في الدهر موعظة ... ان كنت في سنة فالدهر يقظان
وماشياً مرحاً يلهيه موطنه ... ابعد حمص تغر المرء اوطان
تلك المصيبة انست ما تقدمها ... وما لها مع طول الدهر نسيان

. . . . .

---

(١) حمص هي اشبيلية

يا راكبين عتاق الخيل ضامرة | كأنها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفةً | كأنها في ظلام النقع نيران
وراتعين وراء البحر في دعة | لهم باوطانهم عزٌّ وسلطان
أعندكم نبأ من اهل اندلس ؟ | فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث صناديد الرجال وهم | قتلى وأسرى فما يهتز انسان
ماذا التقاطع في الاسلام بينكم | وانتم يا عباد الله اخوان
ألا نفوسٌ أبيّات لها همم | اما على الخير انصار واعوان
يا من لذلة قوم بعد عزهم | احال حالهمُ جَوْرٌ وطغيان
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم | واليوم هم في بلاد الكفر عُبدان
فلو تراهم حيارى لا دليلَ لهم | عليهم من ثياب الذلِّ الوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهمُ | لهالك الأمر واستهونك احزان
يا رُبَّ أم وطفل حيل بينهما | كما تفرق ارواح وابدان
وطفلةٍ مثل حسن الشمس اذ طلعت | كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهةً | والعين باكيةٌ والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمدٍ | ان كان في القلب اسلام وايمان

فاستجاب السلطان المريني لهذه الدعوات ، وكتب الى ابن الاحمر يطمئنه ، ويعرب عن عزمه على الجواز الى الاندلس في فاتحة عام ٦٧٤ هـ.

ومما جاء في رسالته :

« وانا لنرجو ان نصلكم بنفوس صلح جهرها وسرها ، ونسقي بماء الثلج واليقين غرها ، ونقدم عليكم بما يبسط نفوسكم ويسرها ، ويطلع لها الفرح من المكاره ويذهب عسرها . فلتطب نفوسكم برحمة الله وعونه ، ولتفرحوا بفضل الله وصونه . ونحن قادمون عليكم في اثر هذا ان شاء الله ، ووعدنا بوفائه ، يعينه الله على اعدائه . »

١٠ - وفي عام ٦٧٤ هـ. أرسل ابن الاحمر الى السلطان ابي يوسف المَرِيني قصيدة مؤثرة من نظم ابي عمر بن المرابط كاتب ابن الاحمر جاء فيها :

هل من معيني في الهوى او منجدي | من متهم في الارض او من منجد
هذا الهوى داعٍ فهل من مسعفٍ | باجابة وانابة او مسعد

ومنها

أفلا تذوب قلوبكم اخواننا | مما دهانا من ردى او من ردي
أفلا تراعون الاذمة بيننا | من حرمة ومحبة وتودد
أكذا يعيث الروم في اخوانكم | وسيوفكم للثار لم تتقلد
يا حسرتي لحمية الاسلام قد | خمدت وكانت قبل ذا بتوقد
أبنيٌ مَرِيْنَ انتمُ جيراننا | واحق من في صرخة بهم ابتدي
أبني مرين والقبائل كلها | في المغرب الادنى ومن في الأبعد
كتب الجهاد عليكم فتبادروا | منه الى الفرض الاحق الاوكد
انتم جيوش الله ملء فضائه | تأسون للدين الغريب المفرد

١١ – وفي عام ٧٥٥هـ. ارسل السلطان محمد الملقب بالغني بالله وزيره لسان الدين بن الخطيب الى السلطان ابي عنان المريني يستنصره على مغالبة الاسبان وانشد ابن الخطيب بين يدي ابي عنان قصيدة هذا مطلعها :

خليفةَ الله ساعد القدرُ | علاك ما لاح في الدجى قمر
ودافعت عنك كف قدرته | ما ليس يستطيع دفعه البشر

١٢ – وفي عام ٧٦١ هـ. انشد ابن الخطيب قصيدة بين يدي السلطان ابي سالم بن ابي الحسن يستعطفه لانجاد سلطانه محمد الغني بالله « المخلوع » وهذا مطلع القصيدة :

سلا هل لديها من مخبرة ذكر | وهل اعشب الوادي ونم به الزهر
وهل باكر الوسمي داراً على اللوى | عفت آيُها الا التوهم والذكر
بلادي التي عاطيت مشمولةَ الهوى | باكنافها والعيش فينان مخضر
وجوي الذي ربى جناحي وكره | فها انا ذا ما لي جناح ولا وكر

ومنها

قصدناك يا خير الملوك على النوى | لتنصفنا مما جنى عبدك الدهر
وانت الذي تدعى اذا دهم الردى | وانت الذي ترجى اذا اخلف القطر
ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا | بيا لَمَرِيْنَ جاءه العز والنصر

١٣ – وفي عام ٨٩٧ هـ. الموافق ١٤٩١ م. وضعت معاهدة تسليم غرناطة الى الاسبان وغرناطة هي آخر معقل من معاقل الاسلام في الاندلس .

ولما اجتمع زعماء غرناطة في بهو الحمراء الكبير ليوقعوا على قرار التسليم ، وليحكموا على دولتهم بالافول وعلى امتهم بالفناء ، لم يملك كثير منهم نفسه عن البكاء . فهب فارس الاندلس موسى بن ابي الغسان وخاطبهم قائلاً :

« اتركوا العويل للنساء والاطفال ، فنحن رجال لنا قلوب لم تخلق لارسال الدمع ولكن لتقطر الدماء ، واني لأرى روح الشعب قد خبت حتى ليستحيل علينا ان ننقذ غرناطة ، ولكن ما زال ثمة بديل للنفوس النبيلة ، ذلك هو موت مجيد . فلنمت دفاعاً عن حريتنا وانتقاماً لمصائب غرناطة وسوف تحتضن أمنا الغبراء ابناءها احراراً من اغلال الفاتح وعسفه ولئن لم يظفر احدنا بقبر يستر رفاته ، فانه لن يعدم سماء تغطيه ، وحاشا لله ان يقال ان اشراف غرناطة خافوا ان يموتوا دفاعاً عنها . »

وتلفت السلطان ابو عبدالله الصغير ، آخر سلاطين بني الاحمر ، حوله فرأى اليأس ماثلاً في الوجوه فصاح عندئذ«الله اكبر لا اله الا الله محمد رسول الله ولا راد لقضاء الله ، تالله لقد كتب لي ان اكون شقياً وان يذهب الملك على يدي . »

فردد الجمع « الله اكبر ولا راد لقضاء الله » .

فلما رأى موسى ان اعتراضه لم يجد وانهم اخذوا في توقيع صك التسليم نهض غاضباً وصاح « لا تخدعوا انفسكم ، ولا تظنوا ان النصارى سيوفون بعهدهم ، ولا تركنوا الى شهامة ملكهم ، ان الموت اقل ما نخشى فامامنا نهب مدننا وتدميرها ، وتدنيس مساجدنا وتخريب بيوتنا وهتك نسائنا وبناتنا ، وامامنا الجور الفاحش والتعصب الوحشي ، والسياط والاغلال ، وامامنا السجون والانطاع والمحارق ، هذا ما سوف نعاني من مصائب وعسف ، وهذا ما سوف تراه على الاقل هذه النفوس الوضيعة التي تخشى الان الموت الشريف . اما انا فوالله لن اراه » . ثم غادر المجلس وذهب الى منزله ولبس سلاحه وركب جواده « غارب » وغادر غرناطة من باب البيرة فالتقى على ضفة نهر « شنيل » بسرية من الفرسان النصارى فوثب عليهم وما زال يطعن فيهم حتى اسقطوا جواده فركع على ركبتيه ودماؤه تسيل من جراحه الخطرة ، وما زال يدافع عن نفسه حتى رأى ان قواه قد خارت ولم يشأ ان يقع اسيراً في يد اعدائه فارتد الى الوراء بوثبة اخيرة والقى بنفسه الى مياه النهر فابتلعته لفوره ودفعه سلاحه الثقيل الى الاعماق .

١٤ ـ اما ابو عبدالله الصغير آخر ملوك غرناطة فقد سلم منازل عزه الى عدوه فرديناند وزوجته ايزابيلا . ويروى انه وهو خارج من غرناطة ، انهمر دمعه واجهش بالبكاء . فصاحت به امه عائشة «اجل فلتبك كالنساء ملكاً لم تستطع ان تدافع عنه كالرجال » فكانت كلمتها ابلغ مرثية لبلاد الاندلس .

القسم الرابع

الموشحات

تذكرة

رأينا في القسم الاول من كتابنا تاريخ الأندلس في مختلف عصوره الاسلامية من الفتح الاسلامي الى ان سقطت غرناطة آخر معاقل الاسلام في الاندلس . وتلمحنا في القسم الثاني تطور الشعر حسب تطور المجتمع الاندلسي في مختلف عصوره .

وكان القسم الثالث مخصصاً لادب الصريخ وشعر المراثي في مختلف عصور الانحطاط والتدهور .

فاصبحنا وقد اطلعنا على كل ذلك وكأننا قد شاهدنا فيلماً سينمائياً يتضمن جميع المراحل السياسية والادبية خلال ثمانية عصور عاشتها الدولة الاسلامية في الاندلس .

كل ذلك كان توطئة للمطالع الكريم ليطلع على دقائق تلك الروضة الغناء التي انبتت هذا اللون من الشعر ، شعر الموشحات .

وقد مر معنا خلال ذلك نبذ متفرقة ، ارسلت ضوءً ولو يسيراً على هذا الفن فعرفنا مثلا ان مخترعه هو مقدم بن معافر الفريري شاعر الامير عبدالله بن محمد الاموي (على رأي ابن خلدون في مقدمته) (١) ، وان الوزير الشاعر ابا عمر احمد بن عبد ربه قد اخذ هذه الطريقة من مخترعها ، فنسج على منواله . ثم استمعنا الى قول ابن خلدون (ولم يظهر لهما ـ الفريري وابن عبد ربه ـ مع المتأخرين ذكر ، وكسدت موشحاتهما) ، الى ان يقول (فكان اول من برع في هذا الشأن عبادة ابن القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية) ثم استشهد بقول ابي بكر ابن زهر الاشبيلي (كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز) .

ثم انا ادلينا برأينا ، فقلنا انا نعتقد ان سبب عدم انتشار هذه الطريقة يومئذٍ لابد ان يكون تعصب الملوك الامويين في الاندلس للثقافة المشرقية ، وحفاظهم على التراث القديم ، وانه لما ضعفت شوكة المسئولين العرب وقويت شوكة البربر وفسح ملوك الطوائف صدورهم لكل جديد ، يباهون به زملاءهم من الملوك ، وخاصة بعد ان تمكن انصار الموشح من اقناعهم بأن هذا اللون قديم ومشرقي وقدموا لهم نموذجاً

---

(١) ويعتقد ابن بسام في ذخيرته انه « محمد بن حمّود القبْري الضرير »

نسبوه الى امريء القيس (١) ، وان هذه الطريقة القديمة كانت مهملة حتى الآن ويجب بعثها ، فقبل المسؤولون هذه الفكرة وراجت هذه « البضاعة » .

وقد ذكرنا فيما تقدم انه كان لزرياب الفضل الاكبر في اختراع هذا الفن في الاندلس ، وقد وعدنا ان نثبت ذلك في مستقبل بحثنا . وها نحن نتقدم للوفاء بالوعد .

. . . . . .

رأينا زرياب - في موجز ترجمته التي قدمناها في اول كتابنا - يقدم من العراق وافداً على الاندلس ، فيستقبله اميرها - عبد الرحمن الثاني - ويبالغ في اكرامه ويغدق عليه نعماً لاتحصى ، فتنتفع الاندلس من مواهب هذا الفنان العبقري . فيضع زرياب وتراً خامساً للعود ، ويجعل مضراب العود من قوادم النسر ويدخل في الغناء مقامات موسيقية جديدة ويضع قاعدة جديدة للغناء . ونزيد على ذلك انه وضع قواعد لتعليم الغناء للمبتدئين .

لقد كانت العادة قبل مجيء زرياب (٢)، ان يكرر اللحن حتى يتم التلميذ اخذه بتمامه فوضع زرياب قاعدة قسم فيها العمل الى ثلاثة اقسام :

١ - يتعلم التلميذ ميزان الشعر . ويقرأ الاشعار وهو ينقر على الدف ليدله على تفاصيل الميزان الغنائي فيعرف مواضع الحركات والسكون .

---

(١) نسبوا لامريء القيس المقطوعة التالية :

توهمت من هند معالم اطول عفاهن طول الدهر في الزمن الخالي

. . . .

مرابع من هند خلت ومصايف يصيح بمغناها صدى وعوازف
وغيّرها هوج الرياح العواصف وكل مسف ثم آخر رادف
بأسحم من نوء السماكين هطال
ومستلم كشفت بالرمح ذيله اقمت بعضب ذي سفاسق ميله
فجعت به في ملتقى الخيل خيله تركت عتاق الطير تحجل حوله
كأن على سرباله نضح جريال

وقد اورد المعري في رسالة الغفران ان الرواة قد دسوا على امريء القيس المقطوعة التالية :

يا قوم ان الهوى اذا اصاب الفتى
في القلب ثم ارتقى فهد بعض القوى
فقد هوى الرجل

واننا نشارك الاستاذ كامل كيلاني رأيه الذي اورده في كتابه « نظرات في تاريخ الادب الاندلسي » : « وهذه ابيات لايتردد انسان له ذوق ادبي في ان يشك في نسبتها لامريء القيس » . ويقول ابن سناء الملك في كتابه دار الطراز - وقد عني بنشره وتحقيقه الدكتور جودة الركابي - عن هذا اللون من الشعر « هو بالمخمسات اشبه منه بالموشحات »

(٢) الطارب عند العرب للملاف

٢ ـ يأخذ التلميذ اللحن مبسطاً ساذجاً مجرداً عن كل زخرف.

٣ ـ يتعلم التلميذ الزخرفة وتنميق الضروب وما يتبعهما وبذلك يجيد التلميذ اللحن بل قد يدخل فيه بعض التحسينات .

وكان زرياب قد وضع الاسس لاول معهد موسيقي ظهر في البلاد العربية .

وكذلك وضع زرياب قواعد فحص الاصوات ، فكان يجلس التلميذ على مقعد عال ويطلب اليه ان يصيح بكل ما في صدره قائلا « آه » ممدودة على درجات السلم الموسيقي ومن هذه التجربة يعرف درجة صوت التلميذ ودرجة حسنه .

وهناك شيئان جوهريان نقلهما زرياب من المشرق هما :

١ ـ طريقة تطبيق الايقاع الغنائي على الايقاع الشعري .

٢ ـ طريقة الغناء على اصول النوبة الغنائية .

ونعتقد ان هاتين الطريقتين هما اللتان اوحتا الى الشعراء والمغنين، الذين اتوا بعد زرياب، باختراع الموشحات.

. . . . .

والآن وقبل ان نبحث في هاتين الطريقتين نرى لزاماً علينا ان ننقل الى المطالع الكريم بعض المعلومات عن طرق نظم الموشح حتى اذا ماعرف ماهية هذه الطريقة ، اعطيناه مايلزم من المعلومات عن طريقتي زرياب المذكورتين ، فنكون بذلك قد اثبتنا فضل زرياب على اختراع الموشح في الاندلس .

الكتاب الاول

الموشحات عند المؤلفين

الباب الاول

الموشحات عند ابن خلدون

يقول ابن خلدون في مقدمته : « واما اهل الاندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون منهم فناً سموه بالموشح ينظمونه اسماطاً اسماطاً واغصاناً اغصاناً ويكثرون منها ومن اعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً ويلتزمون عند قوافي تلك الاغصان ، متتالياً فيما بعد الى آخر القطعة ، واكثر ما تنتهي عندهم الى سبعة ابيات ، ويشتمل كل بيت على اغصان عددها بحسب الاغراض والمذاهب، وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد ، وتجاوزوا في ذلك الى الغاية ، واستظرفه الناس جملة ، الخاصة والكافة ، لسهولة تناوله وقرب طريقه » .

الباب الثاني

الموشحات عند ابن سناء الملك

ويقول ابن سناء الملك في مقدمة مؤلفه « دار الطراز » (١) : « وبعد فان الموشحات ... هزل كله جِد، وجِدٌ كأنه هزل، ونظم تشهد العين انه نثر، ونثر يشهد الذوق انه نظم ».

وتحت عنوان « حد الموشح » يصف ابن سناء الملك الموشح كما يلي :

(١) كلام منظوم على وزن مخصوص .

(٢) يتألف في الاكثر من ستة اقفال وخمسة ابيات ويقال له التام، وفي الاقل من خمسة اقفال وخمسة ابيات ويقال له الاقرع .

(٣) الموشح التام ما ابتدىء فيه بالاقفال . والاقرع ما ابتدىء فيه بالابيات .

(٤) الاقفال هي اجزاء مؤلفة يلزم ان يكون كل قفل منها متفقاً مع بقيتها في وزنها وقوافيها وعدد اجزائها .

(٥) الابيات هي اجزاء مؤلفة مفردة او مركبة يلزم في كل بيت منها ان يكون متفقاً مع بقية ابيات الموشح في وزنها وعدد اجزائها، لا في قوافيها، بل يحسن ان تكون قوافي كل بيت منها مخالفة لقوافي البيت الآخر .

(٦) اقل ما يتركب القفل من جزئين فصاعداً الى ثمانية اجزاء، وقد يوجد في النادر ما قفله تسعةاجزاء وعشرة اجزاء .

(٧) البيت لا بد ان يتردد في التام وفي الاقرع خمس مرات .

(٨) اقل ما يكون البيت ثلاثة اجزاء وقد يكون في النادر من جزئين وقد يكون من ثلاثة اجزاء ونصف . وهذا لا يكون الا فيما اجزاؤه مركبة واكثر ما يكون من خمسة اجزاء .

(٩) الجزء من القفل لا يكون الا مفرداً .

(١٠) الجزء من البيت قد يكون مفرداً وقد يكون مركباً . والمركب لا يتركب الا من فقرتين او من ثلاث فقر وقد يتركب في الاقل من اربع فقر .

(١١) المخرجة عبارة عن القفل الاخير من الموشح .

(١) عني بتحقيقه ونشره الدكتور جودة الركابي بدمشق عام ١٩٤٩ م .

(١٢) الشرط فيها ـ الخرجة ـ ان تكون من الفاظ العامة ولغات الداصة « كذا » .

(١٣) ان كانت ـ الخرجة ـ معربة الالفاظ منسوجة على منوال ما تقدمها من الابيات والاقفال خرج الموشح من ان يكون موشحاً اللهم الا ان كان موشح مدح وذكر الممدوح في الخرجة فانه يحسن ان تكون الخرجة معربة .

(١٤) وقد تكون الخرجة معربة وان لم يكن فيها اسم الممدوح ولكن بشرط ان تكون الفاظها غزلة جداً.

(١٥) المشروع بل المفروض في الخرجة ان يجعل الخروج اليها وثباً واستطراداً وقولاً مستعاراً على بعض الالسنة ، إما السنة الناطق او الصامت ، او على الاغراض المختلفة الاجناس . واكثر ما تجعل على السنة الصبيان والنسوان والسكرى والسكران . ولا بد في البيت الذي قبل الخرجة من : قال او قلت او قالت او غنى او غنيت او غنت .

(١٦) قد تكون الخرجة اعجمية اللفظ بشرط ان يكون لفظها ايضاً في العجمي .

(١٧) والخرجة هي ابزار الموشح وملحه وسكره ومسكه وعنبره وهي العاقبة وينبغي ان تكون حميدة والخاتمة بل السابقة وان كانت الاخيرة . وقولي السابقة لانها التي ينبغي ان يسبق الخاطر اليها ويعملها من ينظم الموشح في الاول ، وقبل ان يتقيد بوزن او قافية . وحين يكون مسيباً مسرحاً ومتبجبحاً منفسحاً فكيف ما جاء اللفظ والوزن خفيفاً على القلب انيقاً عند السمع مطبوعاً عند النفس حلواً عند الذوق تناوله وتنوّله وعامله وعمله وبنى عليه الموشح لانه قد وجد الاساس وامسك الذنَب ونصب الرأس .

(١٨) في المتأخرين من يعجز عن الخرجة فيستعير خرجة غيره وهو اصوب رأياً.

(١٩) الموشحات تنقسم قسمين : الاول ما جاء على اوزان اشعار العرب والثاني ما لا وزن له فيها ولا المام له بها .

(٢٠) الاول الذي على اوزان الاشعار ينقسم قسمين : احدهما ما لا يتخلل اقفاله وابياته كلمة تخرج به تلك الفقرة التي جاءت فيها تلك الكلمة عن الوزن الشعري ، وما كان من الموشحات على هذا النسج فهو المرذول المخذول وهو بالمخمسات اشبه منه بالموشحات . اللهم الا ان كانت قوافي قفله مختلفة فانه يخرج باختلاف قوافي الاقفال عن المخمسات .

(٢١) وفي شجعان الوشاحين والطعانين في صدور الاوزان من يأخذ بيت شعر مشهوراً فيجعله خرجة ويبني موشحه عليه .

(٢٢) في الوشاحين . . . . من يأخذ بيتاً من ابيات المحدثين فيجعله بالفاظه في بيت من ابيات موشحه .

(٢٣) القسم الآخر « في الوشاحين من ينظم » ما تخللت اقفاله وابياته كلمة او حركة ملتزمة كسرة كانت او ضمة او فتحة ، تخرجه عن ان يكون شعراً صرفاً وقريضاً محضاً .

(٢٤) القسم الثاني من الموشحات هو ما لا مدخل لشيء منه في شيء من اوزان العرب . وهذا القسم منها هو الكثير .

(٢٥) كنت اردت ان اقيم لها ـ اي للقسم الثاني ـ عروضاً يكون دفتراً لحسابها وميزاناً لاوتادها واسبابها فعز ذلك واعوز ، لخروجها عن الحصر وانفلاتها من الكف (١) وما لها عروض الا التلحين ولا ضرب الا الضرب ولا اوتاد الا الملاوي، ولا اسباب الاالاوتار، فبهذا العروض يعرف الموزون من المكسور، والسالم من المزخوف ، واكثرها مبني على تأليف الارغن والغناء بها على غير الارغن مستعار وعلى سواه مجاز .

(٢٦) الموشحات تنقسم من جهة اخرى الى قسمين : قسم اقفاله وزن ابياته حتى كأن اجزاء الابيات من اجزاء الاقفال .

(٢٧) وقسم اقفاله مخالفة لاوزان ابياته مخالفة تتبين لكل سامع ويظهر طعمها لكل ذايق .

(٢٨) الموشحات تنقسم من جهة اخرى الى قسمين : قسم لابياته وزن يدركه السمع ويعرفه الذوق كما تعرف اوزان الاشعار ولا يحتاج فيها الى وزنها بميزان العروض ، وهو اكثرها .

(٢٩) وقسم مضطرب الوزن مهلهل النسج مفكك النظم لايحس الذوق صحته من سقمه ولا دخوله من خروجه.

« الى ان يقول » : وما كان من هذا النمط فما يعلم صالحه من فاسده وسالمه من مكسوره الا بميزان التلحين فان منه ما يشهد الذوق بزحافه بل بكسره فيجبر التلحين كسره ويشفي سقمه ويرده صحيحاً ما به قلبة وساكناً لا تضطرب فيه كلمة .

(٣٠) الموشحات تنقسم من جهة اخرى الى قسمين : قسم يستقل التلحين به ولا يفتقر الى ما يعينه عليه ، وهو اكثرها .

(٣١) وقسم لا يحتمله التلحين ولا يمشي به الا بأن يتوكأ على لفظة لا معنى لها تكون دعامة للتلحين ، وعكازاً للمغني ، كقول ابن بقي :

من طالب ثارقلي ظبيات الحدوج فتانات الحجيج

فان التلحين لا يستقيم الا بأن يقول « لا لا » بين الجزئين الجيميين من هذا القفل .

---

(١) ذكر لنا الدكتور جودة الركابي استاذ الادب الاندلسي في الجامعة السورية ان المستشرق الالماني (هارتمان) قد حاول ارجاع تلك الاوزان الى اوزان او بحور مشتقة من البحور والاوزان العربية المعروفة من قبل ولكنه عجز عن متابعة الطريق بعد ان ظن انه اكتشف ١٤٦ وزناً .

ومما سنه القوم في اكثر موشحات المدح ان يختم الموشح بالغزل ويخرج من المدح اليه كما يخرج اليه منه ، وهذا هو الاكثر من عملهم والأظهر من مذهبهم .

والموشحات يعمل فيها مايعمل في انواع الشعر من الغزل والمدح والرثاء والهجو والمجون والزهد ، وما كان منها في الزهد يقال له المُكَفِّر ، والرسم في المكفر خاصة ان لا يعمل الا على وزن موشح معروف وقوافي اقفاله، ويختم بخرجة ذلك الموشح ليدلّ على انه مكفّره ومستقيل ربه من شاعره ومستغفره (١)



(١) انتهى كلام ابن سناء الملك الذي التزمنا نقله ومن شاء التفصيل فليرجع الى كتابه « دار الطراز » تحقيق ونشر الدكتور جودة الركابي .

الكتاب الثاني

الغناء سبّب ظهور الموشحات

ان الشعر والموسيقا توأمان يرعاهما رائد الايقاع .

ومنذ القديم تقول العرب عن الشاعر إنه «انشد قصيدة» .وقالت عن البحتري إنه «اراد ان يشعر فغنى». وقال الزهاوي من قصيدة :

يريدون منا ان نغني باسمهم　　　واي هضيم باسم اعدائه غني

وليس المقصود بالانشاد والغناء هنا ، رفع عقيرة الصوت ، ولكن المقصود هو التلاوة على الوزن والايقاع . والغناء على حدّه يكون بتلاوة الشعر حسب المقامات والقواعد الموسيقية ، خاضعاً لقواعد الوزن والايقاع (١) .

وقالوا : « المصيب المحسن من المغنين هو الذي يشبع الالحان ، ويملأ الانفاس ويعدّل الاوزان ويضخّم الالفاظ، ويعرف الصواب ،ويقيم الاعراب،ويستوفي النُغَمَ الطوال ويحسّن مقاطيع النُغَم القصار ويصيب اجناس الايقاع ،ويختلس مواقع النبرات ويستوفي ما يشاكلها في الضرب من النقرات » .

والشعر العربي والموسيقا العربية كانا ، في القديم ، يتمشيان على ايقاع واحد . ولكن لما تفنن المغنون وتنوعت اوزان الايقاع الموسيقي اخضع المغنون العروض لحكم ايقاعهم، ومن ثم اجبروا الشعراء على تحطيم قيود الشعر التي منها : ابحر العروض المحدودة ، والقافية . ثم اجبروهم على اختراع الموشحات . ولايضاح ذلك نرى لزوماً علينا ان نقدم بحثاً ولو موجزاً في الايقاعين: الشعري والموسيقي . وسنخرج من هذا البحث الى تفسير ما اجمع عليه العلماء والمؤرخون من ان الغناء هو السبب في ظهور الموشحات .



(١) جاء في العقد الفريد : ان ابراهيم الموصلي كان اول من وقع الايقاع بالقضيب .

الباب الاول

طريقة زرياب في تطبيق الايقاعين الشعري والغنائي

١ ـ الايقاع الشعري : « العروض » ـ من المعلوم ان الخليل بن احمد الفراهيدي المتوفى عام ١٧٤ هـ. وضع قواعد الايقاع الشعري وقسم بحوره وسماه عروضاً(١) ، ثم جاء من عرّف ما يطرأ على هذه البحور من التغييرات ـ زحافات وعلل وغيرها ـ فبلغ عدد الاوزان الشعرية ما يقارب المائة والعشرين ايقاعاً ، تتمشى كلها مع التفاعيل الثمانية المعروفة (مستفعلن ، مفاعيلن ... والخ ..)

واذا دققنا في هذه التفاعيل وجدناها تتألف من ازمنة يحققها متحركات وسكنات (حروف متحركة وحروف ساكنة) وهي تتألف من اسباب واوتاد وفواصل .فالسبب عبارة عن حرفين اما متحركين ويسمى سبباً ثقيلا واما ان يكون الحرف الاول متحركا والثاني ساكناً ويسمى سبباً خفيفاً .

والوتد عبارة عن ثلاثة احرف : متحركين فساكن ويسمى الوتد المجموع كقولك نعم ، او متحركين يتوسطهاساكن ويسمى الوتدالمفروق كقولك جاء . اما الفاصلة فهي ثلاثة حروف متحركة يليها ساكن وتسمى الفاصلة الصغرى كقولك كتبوا او اربعة حروف متحركة يليها الساكن وتسمى الفاصلة الكبرى كقولك كُتُبُنا.

وتؤلف هذه الازمنة سلسلة يقاس عليها ازمنة كلمات فتكوّن هذه الكلمات بيت الشعر .

وتؤلف هذه السلاسل الزمنية ـ التفاعيل ـ مانسميه بالايقاع الشعري .

٢ ـ الايقاع الموسيقي : « الميزان الغنائي » عبارة عن سلسلة ازمنة يوضحها النقر على آلة مجوفة كالطبل اوالدف وغيرها . وقد عرّف الفارابي النقرة بقوله : « النقرات هي القرعات التي يخيل انها غيرمنقسمة» (٢) فالنقرة ـ على رأي الفارابي ـ لازمن لها اي انها كالنقطة في المكان عند علماء الهندسة . وعلى ذلك فالزمن هو المدة الواقعة بين نقرتين . اي انه كالمسافة الواقعة بين نقطتين . اذن فالايقاع عبارة عن عدد من الازمنة مختلفة المدة يفصل بينها نقرات وتسمى هذه السلسلة عند علماء الموسيقا دوراً (٣) .

---

(١) ان معرفة الخليل بالايقاع « الغنائي » هي التي احدثت له علم العروض(ابن خلكان وميزان الذهب للهاشمي).

(٢) الموسيقى الكبير نسخته الخطية موجودة في مكتبة المرحوم الشيخ علي الدرويش بحلب .

(٣) شرح هذا الموضوع شرحاً وافياً كل من (صفي الدين عبد المؤمن البغدادي في الفصل الخامس من كتابه « الرسالة الشرفية » تحت عنوان « الايقاع ونسب ادواره » وقد نقله الى الفرنسية البارون كارا دي فو من المجلة الاسيوية ١٨٩١) وكذلك(رسائل اخوان الصفا ، الرسالة الرابعة في علم الموسيقا) فليرجع اليها من اراد .

فاذا عينا عدداً من النقرات والازمنة التي تتخللها ، فعلينا ان نعيد هذه السلسلة او الدور كما هو بلا تشويش في ترتيب الازمنة ولا زيادة ولا نقصان في مدِدها .

ولا بد من الاشارة هنا الى انا اذا قسمنا الزمن الى اجزاء معينة ولم نجعل السامع يلحظ نهاية الدور الاول وبداية الدور الثاني فلا يسمى هذا ايقاعاً وان كان النقر موزوناً، وهذا الشرط هو الذي يطلق عليه اسم (النبرة) الموسيقية

وقد عرَّف صفي الدين الايقاع بقوله : (الايقاع جماعة نقرات يتخللها ازمنة محدودة المقادير على نسب واوضاع مخصوصة بادوار متساوية ، يدرك تساوي تلك الادوار ميزان الطبع السليم) .

والايقاع يختلف باختلاف عدد الازمنة وعدد النقرات وباختلاف مقادير هذه الازمنة او بكلا الامرين معاً

والايقاع نوعان : موصَّل ومفصَّل ولكل منهما تقسيمات عرفها صفي الدين بقوله :

« كل جماعة نقرات ان كان بينها ازمنة متساوية فانه يسمى الايقاع الموصل وان كانت متفاضلة فانه يسمى الايقاع المفصل . »

وللموصل اربعة انواع يمكن تفريقها بحسب الزمن الفاصل بين النقرتين . فان كان الزمن يساوى واحداً (وهو الوحدة المتخذة عياراً لقياس الازمنة مثل قولك تَ ، نَ اى اذا كان الزمن يساوي المدة الفاصلة بين الحرفين تَ و نَ يسمى هذا الايقاع الموصَّل « سريع الهزج » .

واذا كان الزمن يساوي ضعف الوحدة المتخذة عياراً للازمنة مثل تَنْ تَنْ سمي « خفيف الهزج »
واذا كان الزمن يساوي ثلاثة اضعاف الوحدة مثل قولك تَنَنْ تَنَنْ سمي « خفيف ثقيل الهزج » .
واذا كان الزمن يساوي اربعة اضعاف الوحدة مثل قولك تَنَنَنْ تَنَنَنْ سمي « ثقيل الهزج » ويسمى ايضاً الفاصلة الصغرى (فَعِلُنْ).

اما الفاصلة الكبرى وهي قليلة الاستعمال على رأى الفارابي فزمنها يساوي خمسة اضعاف الوحدة مثل قولك تَنَنَنَنْ (فَعِلَتُنْ) .

اما المفصل فان النقرات يتخللها ازمنة متفاضلة مثل قولك (تَنْ . تَ . تَنَنْ) . (تَنْ . تَ . تَنَنْ)

وجمل النقرات الثلاثة هذه يسمى جملة والجملة تؤلف من نقرتين او ثلاث نقرات او اربع . ولك في ازمنتها المساواة وعدمها بشرط ان يكون الزمن الفاصل بين جملتين اكبر من اي زمن كان من ازمنة الجملة ، مثل قولك تَنْ تَنْ تَنَنْ تَنْ تَنْ تَنَنْ فزمن تَنَنْ اكبر من زمني الجملة وهي عبارة عن تَنْ و تَنْ .
وهذه الجمل هي كاجزاء بيت من الشعر تتألف منها ادوار الايقاع .

والآن لنوجه هذا السؤال : هل يتوافق ايقاع الشعر مع ايقاع الغناء ؟

فيجيبنا الفارابي بقوله : « ان الاشعار ليس فيها موصّل اصلاً »

ومعنى ذلك ان ايقاع الشعر كله مفصل . ولكن اي نوع من المفصل ؟

ان علم العروض لا يوضح لنا ايقاعات الابحر ولا يذكر قياسات الازمنة وطرق تنسيقها ولكنه يكتفي باظهار الترتيب الذي يجب حفظه بين الاحرف الساكنة والاحرف المتحركة لنطابق عليها من الكلام ما نستسيغ سمعه فكأنه قد بسّط لنا مادة الايقاع وطوى صورته .

فلنقابل اذن بين ايقاعي الشعر والغناء لنكتشف الفارق بينهما ، فهذا الفارق سيقودنا حتماً الى سر اختراع الموشحات .



٣ ـ تطابق الايقاعين الشعري والغنائي

ان قياس الازمنة في علم العروض يكون بقياس مدة الحروف التي تشكل المقاطع . والمقاطع على نوعين:

١ ـ مقطع مؤلف من حرف مع حركة مثل قولك : بَ ، نَ ويدعى هذا المقطع بالمقطع المتحرك .

٢ ـ مقطع مؤلف من حرفين اولها متحرك وثانيهما ساكن مثل قولك : «لا ، بل» ويدعى هذا المقطع بالمقطع الساكن . والمقاطع عادة اما ان تكون متساوية او غير متساوية في الزمن .

فان كانت متساوية فان قياس عروضها مرتبط بعدد المقاطع .

والنظم على هذه الطريقة يدعى بالنظم المقطعي وهو متبع في غير الشعر العربي .

اما اذا كانت المقاطع غير متساوية فينظر حينئذٍ الى قياس ازمنتها .

والنظم على هذه الطريقة يدعى بالنظم القياسي وهو المتبع في الشعر العربي .

والمقاطع غير المتساوية يوضحها السبب والوتد والفاصلة . فالسبب حرفان متحرك وساكن . ويؤلف السبب مقطعاً واحداً ، والوتد ثلاثة حروف اثنان متحركان وواحد ساكن ويؤلف الوتد مقطعين . والفاصلة اربعة حروف ثلاثة منها متحركة وواحد ساكن وتؤلف ثلاثة مقاطع .

والغناء يسير على هذه القاعدة ايضاً . قال الفارابي (١) : « والنقرة التي تعقبها وقفة يسميها العرب النقرة الساكنة والتي لاتعقبها وقفة ولكن يعقبها حركة الى نغمة اخرى يسمونها « النقرة المتحركة » والايقاع الغنائي ايضاً فيه الأزمنة المتساوية ويسمى ايقاعها بـ « الموصّل » وازمنة غير متساوية ويسمى ايقاعها بـ « المفصّل »

يقول صفي الدين عبد المؤمن :

« كل جماعة نقرات ان كان بينها ازمنة متساوية فانه يسمى الايقاع الموصّل وان كانت متفاضلة فانه يسمى الايقاع المفصّل »

والآن فلننظر الى بيتين من شعر الفارض وهما من بحر الرجز :

يا ساكني نجد اما من رحمة	لأسير حب لا يريد سراحا
فاذا ذكرتكم اميل كأنني	من طيب ذكركم سقيت الراحا

فنرى ان مقاطع البيت الاول تبلغ خمسة وعشرين مقطعاً اما البيت الثاني فعدد مقاطعه سبعة وعشرون.

---

١ نسخته الخطية في مكتبة الشيخ علي الدرويش بحلب

هذا بالاضافة الى ان عدد المقاطع في الشطرين الاولين يختلف كذلك عن عدد المقاطع في الشطرين الاخيرين . وهي الى ذلك ليست من المقاطع المتساوية .

فاذا ذكرنا قول الفارابي « ان الشعر العربي ليس فيه ايقاع موصل ابداً » ، تبين لنا السبب في اختلاف الايقاع الغنائي عن الايقاع الشعري في بعض الاحيان . ولتفصيل ذلك لا بد ان نبحث في انواع الايقاع الغنائي فنقول :

لقد غنى العرب على انواع من الايقاع عددها ثمانية نفصلها فيما يلي (١) :

اولاً ـ الثقيل الاول :

ايقاعه الغنائي : تن تن تن تن   تنن تن تن تن

مفعو لن مف   مفا عيلن مف

« اشتهر فيه عُريب وابراهيم بن المهدي » .

ثانياً ـ الخفيف الاول :

تنن تن   تنن تن تن

مفـاعل   مفـاعيلن

ويسمى هذا الايقاع اللحن الماخوري وهو مثل صياح الفاختة :

ككو كو ككو كو كو . « اشتهر فيه ابراهيم الموصلي وعثعث » .

ثالثاً ـ الثقيل الثاني :

تن تن تن تن تن   تنن تن تن تن تن

مفعـولن مفعـو   مفـاعيلن مفعـو

« اشتهر فيه كعب الاشفري وحنين » .

رابعاً ـ الخفيف الثاني :

تنن تنن تنن

فَعَلن فَعَلن فَعَلن

خامساً ـ الرمل :

تن تنن   تنن تنن

فاعلـن   مفا علن

وهو مثل صياح الدُرّاج : كي ككي   ككي ككي

---

(١) رسائل اخوان الصفا الجزء الاول الرسالة الخامسة في الموسيقا .

سادساً ـ خفيف الرمل :

تَنَنَنْ تَنَنَنْ　　　تَنَنَنْ تَنَنَنْ

متفـا علـتن　　　متفـا علـتن

سابعاً ـ الهزج :

تن تنن　　تن تنن　　تن تنن

فاعلـن　　فاعلـن　　فاعلـن

ثامناً ـ خفيف الهزج : ويسمى ايضاً خفيف الخفيف :

تنن تَنن　　　تَنن تَنن

مفا علن　　　مفا علن

ومن هذه الانواع الثمانية للايقاع الغنائي يتفرع سائر انواع الالحان واليها تنسب ، كما يتفرع من الثمانية تفاعيل (فعولن، مفاعيلن ، متفاعلن ، مستفعلن ، فاع لاتن ، فاعلن، مفعولاتن، مفاعلتن) سائر بحور العروض.

وقد رأينا ان قوانين الغناء والالحان كقوانين العروض تتألف من ثلاثة اصول هي:السبب والوتد والفاصلة.

فاما السبب فنقرة متحركة يتلوها سكون مثل قولك تَنْ تَنْ ويكرر دائماً. والوتد نقرتان متحركتان يتلوهما سكون مثل قولك تَنَنْ تَنَنْ وتكرر دائماً . والفاصلة ثلاث نقرات متحركة يتلوها سكون مثل قولك تَنَنَنْ تَنَنَنْ وتكرر دائماً. فهذه الثلاثة هي الاصل والقانون في جميع ما يركب منها من النغمات .

فاذا ركبت من هذه الثلاثة الاصول اثنين اثنين كان منها تسع نغمات ثنائية وهي هكذا :

١ ـ نقرة ونقرتان　　مثل قولك　تن تنن　وتكرر دائماً
٢ ـ نقرتان ونقرة　　ـ　ـ　تنن تن　ـ　ـ
٣ ـ نقرة وثلاث نقرات　　ـ　ـ　تن تننن　ـ　ـ
٤ ـ ثلاث نقرات ونقرة　　ـ　ـ　تننن تن　ـ　ـ
٥ ـ نقرتان ونقرتان　　ـ　ـ　تنن تنن　ـ　ـ
٦ ـ نقرتان وثلاث نقرات　　ـ　ـ　تنن تننن　ـ　ـ
٧ ـ ثلاث نقرات ونقرتان　　ـ　ـ　تننن تنن　ـ　ـ
٨ ـ ثلاث نقرات وثلاث نقرات　　ـ　ـ　تننن تننن　ـ　ـ
٩ ـ نقرة وسكون قدر نقرة وهي الاصل والعمود　　ـ　ـ　تن تن　ـ　ـ

فهذه جملة النغمات الثنائية . واما الثلاثية فهي عشر تركيبات :

١ ـ نقرة ونقرتان وثلاث نقرات مثل قولك تن تنن تننن ويكرر دائماً

٢ ـ نقرتان ونقرة وثلاث نقرات	«	«	تنن تن تننن	«	«
٣ ـ نقرة وثلاث نقرات ونقرتان	«	«	تن تننن تنن	«	«
٤ ـ ثلاث نقرات ونقرة ونقرتان	«	«	تننن تن تنن	«	«
٥ ـ نقرتان وثلاث نقرات ونقرة	«	«	تنن تننن تن	«	«
٦ ـ ثلاث نقرات ونقرتان ونقرة	«	«	تننن تنن تن	«	«
٧ نقرة وثلاث نقرات ونقرة	«	«	تن تننن تن	«	«
٨ نقرتان وثلاث نقرات ونقرتان	«	«	تنن تننن تنن	«	«
٩ ـ ثلاث نقرات ونقرة وثلاث نقرات	«	«	تننن تن تننن	«	«

١٠ ـ ثلاث نقرات ونقرتان وثلاث نقرات مثل قولك تننن تنن تننن ويكرر دائماً .

فهذه جميع انواع الايقاع المركبة من النقرات : ثلاثة منها مفردة وهي (تن ، تنن ، تننن) وتسعة ثنائية وعشرة ثلاثية فذلك اثنان وعشرون تركيباً .

ولا بد من الاشارة هنا الى ان الحركة تعتبر واحداً والسبب اثنين والوتد ثلاثة والفاصلة اربعة ، وان سائر انواع الايقاع مركبة منها .

كما اننا لابد ان نشير الى ان كل نقرتين من نقرات الاوتار وايقاعات القضبان لابد من ان يكون بينهما زمان سكون ، طويلا كان او قصيراً وانه اذا تواترت نقرات تلك الاوتار وايقاعات تلك القضبان تواترت ايضاً سكونات بينهما . ثم لاتخلو ازمان تلك السكونات من ان تكون مساوية لازمان تلك الحركات او تكون اطول منها . واذا كانت اقصر منها فالمتفق عليه بين اهل هذه الصناعة ان زمان الحركة لا يمكن ان يكون اطول من زمان السكون الذي هو من جنسه . (انتهى كلام اخوان الصفا)

٤ ـ الآن ايها القارىء الكريم وقد اطلعت على الشيء الكثير من اسرار الايقاع الغنائي ولابد انك مطلع على البحور العروضية وقد سميناها الآن الايقاع الشعري فتعال معنا لنرى السر الذي ساعد المغنين على التلاعب في الايقاع الشعري وجعله مسايراً للايقاع الغنائي .

لقد رأينا قبل قليل ان الشعر العربي ليس مقطعياً ، وان المقاطع وان وجدت فليست متساوية في ازمنتها اي ان ايقاعها ليس موصلا ابداً.

لذلك فلا بد من قياس ازمنة هذه المقاطع ومطابقتها لتفاعيل البحور الشعرية . وللوصول الى تفهم ذلك لابد لنا ان نذكر ان تقسيم المقاطع الى متحرك وساكن يفهم منه اختلاف ازمنتها فالمقطع الساكن اطول من المتحرك لان المقطع الساكن في الحقيقة مؤلف من مقطعين : اولهما متحرك ظاهر الحركة والثاني خفي الحركة مثل قولك (لا ، بل ، ما) فالحروف الاولى في هذه المقاطع (اللام والباء والميم) هي حروف متحركة اما الحروف الثانية وهي (الألف واللام والألف) فهي في الحقيقة حروف متحركة بحركة خفية ولولا هذه الحركة الخفية لاستحال النطق بها . ولذلك فيمكننا ان نقول ان مقطعي (لا ، تن) هما ضعف مقطعي (تَ و نَ) .

والآن لنأتِ الى العروض ولنأخذ بحر الكامل مثلا وتفاعيله المعروفة هي (متفاعلن) ست مرات . واذا دققنا في (متفاعلن) وجدنا فيها ثلاث مقاطع متحركة (مُ تَ عِ) ومقطعين ساكنين (فا ، لن) فالمقاطع المتحركة الثلاثة تساوي ثلاثة ازمنة والمقطعان الساكنان يساويان اربعة ازمنة . اذنفجملة متفاعلن تساوي سبعة ازمنة . فان ابدلنا جملة متفاعلن بجملة (مستفعلن) وهذه الجملة ايضاً تساوي سبعة ازمنة ، لوجدنا ان الايقاع الشعرى بقي محكماً ولكننا بذلك نخرج هذا الشعر من بحر الكامل الى بحر الرجز وتفاعيله (مستفعلن) ست مرات . وكذلك يمكننا ابدال مفاعلتن من بحر الوافر بـ (مفاعيلن) فيصبح من بحر (الهزج)

اذن فلا ضير على المغني اذا لحن الشعر من بحر الكامل مثلاً بما يلائم هذا البحر من الايقاع الغنائي ، او بما يلائم بحر الرجز . هذا من ناحية . ومن ناحية ثانية اذا نظرنا الى ان في الايقاع الموسيقي ماهو موصّل، وليس في الشعر العربي ايقاع موصل ابداً تبدى لنا الدور الذي يقوم به الملحن لايجاد ذلك التلوين المحبب في الايقاع ، فيلجأ الى الشاعر يطلب مساعدته في تلوين النظم (١) او انه ينظم لنفسه مايريد ان يغنيه مطابقاً للايقاع الغنائي .

وقد فسر لنا ذلك اخوان الصفا بقولهم :

---

(١) لعل من الفائدة ذكر نوع من الصنعة في الشعر العربي وهو التلون ويلقب شعره بـ « المتلون » ، وهو الذي يمكن قراءته على وزنين او اكثر من اوزان الشعر . ومثاله :

انما الدنيا فداء داره   وبنو الدنيا فداء اسرته

فاذا قرأت لفظه (فداء) بكسر الفاء ممدودة الدال فان البيت يكون من بحر الرمل وتقطيعه (فاعلاتن فاعلاتن فاعلن) . اما اذا قرأتها (فدا) بفتح الفاء مقصورة الدال فان البيت يكون من بحر المديد وتقطيعه (فاعلاتن فاعلن فاعلن)

الموسيقار الحاذق الفاره هو الذي اذا علم بان المستمعين قد ملوا من لحن ، غنى لهم لحناً آخر إما مضاذاً له او مشاكلاً له . وان الخروج من لحن الى لحن او الانتقال منه ليس له طريق الا على احد وجهين :

اما ان يقطع ويسكت ويصلح الساتين والاوتار بالحزق والارخاء ، ويبتدىء ويستأنف لحناً آخر . او يترك الامر بحاله ويخرج من ذلك اللحن الى لحن آخر قريب منه ، ومشاكل له ، وهو ان ينتقل من الثقيل الى خفيفه ، ومن الخفيف الى ثقيله او الى ما قارب منه . والمثال على ذلك انه اذا اراد ان ينتقل من خفيف الرمل الى الماخوري ، ان يقف عند النقرتين الاخيرتين من خفيف الرمل ثم يتلوهما بنقرة ثم يقف وقفة خفيفة ثم يبتدىء بالماخوري .

وثاني انواع الصنعة : (التشريع) وهو ان يكون البيت فا فوقه فيه قافيتان من وزنين مختلفين من اوزان العروض بحيث يصح المعنى حال انفراد احدها عن الاخر كقول الحريري من الكامل :

يا خاطب الدنيا الدنية انها	شرك الردى، وقرارة الاكدار
دار متى ما اضحكت في يومها	ابكت غداً ، تباً لها من دار

فاذا حذف آخر البيتين يصيران من مجزوء الكامل :

يا خاطب الدنيـــة الدنيـــة انها شرك الردى
دار متى ما اضحكت في يومها ابكت غداً

وكقول صفي الدين الحلي :

قوم بهم تجلى الكروب ومنهم	يرجى ، الجدى ان ضنت الادواء
فنداؤهم قبل السؤال وجودهم	قبل الندى ، وكذلك الكرماء

(ميزان الذهب للهاشمي)

وثالثها : (الموشح الفارسي) : ويكون بان يورد الشاعر في اول الابيات او وسطها حروفاً او كلمات بحيث اذا جمعت بعينها او مع تصحيفها خرج لنا منها بيت او مثل او اسم او لقب من الالقاب . ومن امثلتها :

يا صاحبي قد (مرّ) ايام الاما (نة) والحيـــاء
طل القضاء (دمي) فطال لسان (ذميّ) للقضاء
يا صاحبي (كنْ) وافياً بالعهد وأ (مرْ) بالوفاء

فالالفاظ المكتوبة بين الاقواس اذا قرأت من فوق الى تحت ومن تحت الى فوق خرج لنا منهـــا المصراع الاتي باللغة الفارسية :

(مر دمي كن مر د مي نه) ومعناه باللغة العربية (اصطنع الرجولة فالرجولة خير)

(حدائق السحر في دقائق الشعر لرشيد الدين الوطواط
المتوفي سنة ٥٧٣ هـ تعريب الدكتور ابراهيم امين الشواربي)

٥ ـ وهكذا لما جاء زرياب الى الاندلس وتزعم حركة الغناء فيها واسس اول معهد موسيقي سار على هذا المنوال ـ الذي تعلمه في بغداد ـ وقام بتعليمه في معهده .

وليس ادل على ان البغداديين كانوا ينهجون هذا النهج ويوافقون بين الايقاعين الشعري والغنائي من قول الجاحظ في البيان والبيتين :

« العرب يمتاز غناؤها بأنها تقطع الالحان الموزونة على الاشعار الموزونة ، والعجم تمطط الالفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن فتضع موزوناً على غير موزون »

كما اننا نستدل على ذلك بهذه الالفاظ الاصطلاحية التي وضعها العروضيون وهي مشرقية وشائعة في الغناء مثل السناد والنصب الثقيل والخفيف والهزج والرمل .. والخ .. كما مر معنا



الباب الثاني

طريقة زرياب الثانية :

طريقة الغناء على اصول النوبة الغنائية

١ ـ يقول خالد صامه عن نفسه (وكان جميل الصوت ومن احسن الناس ضرباً بعود) قال :

قدمت على الوليد بن يزيد في مجلس ناهيك به مجلساً ، فالفيته على سريره وبين يديه معبد ومالك بن ابي السمح وابن عائشة وابو كيل وغزيل الدمشقي وكانوا يغنون، حتى بلغت النوبة اليّ فغنيته :

سرى همي وهم المرء يسري   وغاب النجم الا قيد فتر (١)

٢ ـ رأينا ابن خلدون يذكر قصة بزوغ نجم زرياب في قصر هارون الرشيد فيقول :

ان هرون الرشيد امر زرياباً بالغناء فغناه :

يا أيها الملك الميمون طـائره   هارون،راح اليك الناس وابتكروا

يقول ابن خلدون : (فاتم النوبة وطار الرشيد طرباً) .

٣ ـ وجاء في العقد الفريد تفصيلا لما رواه ابو عكرمة عن مجلس طرب حضره في دار ابي عيسى بن المتوكل وكان فيه من المطربين : « المشدود » و « زنين » و « دبيس » .

يقول ابو عكرمة(٢) :

(ولم يكن في ذلك الزمان احذق من هؤلاء الثلاثة بالغناء . فابتدأ المشدود فغنى (٣) :

لما استقل بارداف تجاذبه   واخضر فوق حجاب الدر شاربه

وتم في الحسن والتأمت محاسنه   ومازجت بدعائيها غرائبـه

واشرق الورد في نسرين وجنته   واهتز اعلاه وارتجت حقائبـه

كلمتـه بجفون غير ناطقـة   فكان من رده ما قال حاجبه

---

(١) تتمة القصة في العقد الفريد الجزء الرابع ص ١٢١ فليرجع اليها من اراد . وانما اتينا بمطلعها على ان العرب في ايام الامويين كانوا يغنون بالنوبة . (٢) العقد الفريد الجزء الرابع ص ١١٣ . (٣) من بحر البسيط .

ثم سكت فغنى زنين (١) :

الحب حلو أمرته عواقبه — وصاحب الحب صب القلب ذائبه
استودع الله من بالطرف ودعني — يوم الفراق ودمع العين ساكبه
ثم انصرفت وداعي الشوق يهتف بي — ارفق بقلبك قد عزت مطالبه

ثم غنى(٢) :

وعاتبته دهراً فلما رأيته — اذا ازداد ذلاً جانبي عز جانبه
عقدت له في الصدر مني مودة — وخليت عنه مبهماً لا اعاتبه

ثم سكت فغنى دبيس (٣) :

بدر من الانس حفته كواكبه — قد لاح عارضه واخضر شاربه
ان يعد الوعد يوماً فهو مخلفه — او ينطق القول يوماً فهو كاذبه
عاطيته كدم الاوداج صافية — فقام يشدو وقد مالت جوانبه

قال ابو عكرمة فعجبت انهم غنوا بلحن واحد وقافية واحدة (٤) . قال ابو عيسى ايعجبك من هذا شيء يا ابا عكرمة فقلت يا سيدي المنى دون هذا . ثم ان القوم غنوا على هذا الى انقضاء المجلس اذا ابتدأ المشدود تبعه الرجلان بمثل ما غنى .

فكان مما غنى المشدود (٥) :

يا دير حنة من ذات الاكيراح — من يصح عنك فاني لست بالصاحي
يعتاده كل مخفي مفارقه — من الدهان عليه سحق امساح
ما يدلفون الى ماء بآنية — الا اغترافاً من الغدران بالراح

ثم سكت فغنى زنين (٦) :

دع البساتين من آس وتفاح — واعدل هديت الى ذات الاكيراح
واعدل الى فتية ذابت لحومهم — من العبادة الا نضو سياح
وخمرة عتقت من دنها حقباً — كأنها دمعة في جفن سباح

---

(١) من بحر البسيط (٢) من بحر الطويل (٣) من بحر البسيط (٤) نلاحظ هنا انه قد ذكر وحدة اللحن ووحدة القافية ولم يتعرض لاختلاف الايقاع بين بحري البسيط والطويل وما يتبعه من اختلاف الايقاع الغنائي فنستدل على ان ابا عكرمة هذا كان معتاداً على الاستماع الى اختلاف الايقاع واختلاف اللحن واختلاف القافية في جلسة واحدة للغناء وقد صرح عن تعجبه لغنائهم بلحن واحد وقافية واحدة (٥) بسيط (٦) بسيط .

ثم سكت فغنى دبيس (١) :

لا تحفلن بقول اللائم اللاحي — واشرب على الورد من مشمولة الراح

كأساً اذا انحدرت في حلق شاربها — اغناك لألاؤها عن كل مصباح

ما زلت اسقي نديمي ثم الثمه — والليل ملتحف في ثوب سياح

فقام يشدو ، وقد مالت سوالفه، — يا دير حنة من ذات الأكيراح

ثم ابتدأ المشدود فغنى (٢) :

باحورار العين والدعج — واحمرار الخد في الضرج

وبتفاح الخدود وما — ضم من مسك ومن أرج

كن رقيق القلب انك مِن — قتلِ مَنْ يهواك في حرج

ثم سكت وغنى زنين (٣) :

كسروي التيه معتدل — هاشمي الدل والغنج

وله صدغان قد عطفا — ببياض الخد كالسبج

واذا ما افتر مبتسماً — اطلق الاسرى من المهج

ما لما بي منك من فرج — لا ابتلاني الله بالفرج

ثم سكت وغنى دبيس (٤) :

تعمل الاجفان بالدعج — عمل الصهباء بالمهج

بابي ظبي كلفت به — واضح الخدين والفلج

مر بي في زي ذي خنث — بين ذات الضال من امج

قلت قلبي قد فتكت به — قال ما في الدين من حرج

ثم سكت وغنى المشدود (٥) :

ما يبالي اليوم من صنعا — من بقلبي يبدع البدعا

كنت ذا نسك وذا ورع — فتركت النسك والورعا

كم زجرت القلب عنك فلم — يصغ لي يوماً ولا نزعا

لا تدعني للهوى غرضاً — ان ورد الموت قد شرعا

---

(١) بسيط (٢) مديد (٣) مديد (٤) مديد (٥) مديد .

ثم سكت وغنى دبيس «١» :

اسقني كأساً مصردة	ان نجم الليل قد طلعا
قد شربت الحب شرب فتى	لم يدع في كأسه جرعا

ثم ابتدأ ايضاً دبيس فغنى «٢» :

يقولون في البستان للعين لذة	وفي الخمر والماء الذي غير آسن
اذا شئت ان تلقى المحاسن كلها	ففي وجه من تهوى جميع المحاسن

فغضب المشدود لما قطع عليه دبيس وقال غن على غير هذه القافية واللحن ثم نرجع الى حالنا الاولى «٣» فقال ابو عكرمة قد اصبت ، فابتدأ المشدود فغنى «٤» :

ادعوك من قلبي اذا لم أرك	يا غاية الطرف اذا ابصرك
قضى لك الله فسبحان من	أحلك القلب ومن قدرك
لست بناسيك على حالة	يا ليت ما تذكرني اذكرك
صيرني الله على ما أرى	منك وفي الهجر كما صيرك

قال فقال زنين : وانا فلا بد ان أسلك سبيلكما . قال ابو عكرمة ثم التفت اليّ فقال ما ترى ؟ فقلت أحسنت والله فابتدأ يغني :

يا هائم القلب عاص من عذلك	ما نلت ممن هويته أملك
دعاك داعي الهوى بخدعته	حتى اذا ما أجبته خذلك
فاحتل لداء الهوى وسطوته	انك ان لم تداوه قتلك

ثم ابتدأ المشدود يغني :

شققت جيبي عليك شقا	وما لجيبي أردت شقا
اردت قلبي فصادفته	يداي بالجيب قد توقى
مليك رقي ابيت عتقي	لولاك ما كنت مسترقا

«١» مديد «٢» طويل «٣» ان غضبة المشدود من غناء دبيس بغير القافية التي بدأ المشدود بها تدلنا على انها كانت لخروج دبيس على قاعدة النوبة بدليل قوله : ثم نرجع الى حالنا الاولى . وقد وافق ابو عكرمة على رأي المشدود . ثم وافق عليه زنين ايضاً . «٤» سريع .

ثم سكت وغنى زنين :

قد ذبت شوقاً ومت عشقاً ... يا زفرات المحب رفقاً
ثكلت نفسي وزرت رمسي ... ان كنت للهجر مستحقا

ثم سكت وغنى دبيس :

ظمئت شوقاً وبحر عشقي ... يفيض عذباً ولست اسقى
انا الذي صرت من غرامي ... على فراش السقام ملقى
فمن زفير ومن شهيق ... ومن دموع تجود سبقا

ثم ابتدأ المشدود فغنى :

ماذا على نجل العيون لو انهم ... اوموا اليك فسلموا اوعرجوا
امنوا مقاساة الهموم وايقنوا ... ان المحب الى الاحبة يدلج

ثم سكت وغنى دبيس :

هيا فقد بدا الصباح الابلج ... قد ضم مشبهة الغزال الهودج
بانوا ولم اقض اللبانة منهم ... وكذا الكريم اذا تصابى يلهج

ثم سكت وغنى زنين :

السحر والغنج في عينيك والدعج ... والشمس والبدر في خديك والضرج
الدر ثغرك لولا ان ذا برد ... والحبر صدغك لولا ان ذا سبج
انضجت قلبي ولو ان الورى لقيت ... قلوبهم منك ما لاقيت ما لهجوا

ثم سكت وابتدأ المشدود يغني :

يا صاحب المقل المراض ... انظر الي بعين راض
ان تجفني متعمداً ... لتذيقني جرع الحياض
فلطالما امكنتني ... منك المراشف عن تراض

ثم سكت وغنى زنين :

هائم مدنف من الاعراض لا سبيل له الى الاغماض
موثق النوم مطلق الدمع ما يعرف ملجا من الحتوف القواضي
مابرى جسمه سوى لحظات امرضته من العيون المراض

ثم سكت وغنى دبيس :

كن ساخطاً واظهر بانك راضي لا تبدين تكرّه الاعراض
وانظر اليَّ بمقلة غضبانة ان كنت لم تنظر بمقلة راض
وارحم جفوناً ما تجف من البكا في ليلة مسلوبة الاغماض
واحكم فديتك بين جسمي والهوى فالحكم منك على الجوارح ماض

ثم ابتدأ المشدود فغنى :

يا ذا الذي حال عن العهد ومن براني منه بالصد
بسمرة الخال وما قد حوى من خمرة في سالف الخد
الا تعطفت على عاشق منفرد بالبث والوجد

ثم سكت وغنى زنين :

اظل بكتمان الهوى وكانما الاقي الذي لاقاه غيري من الوجد
وعيب عليَّ الشوق والوجد والبكا ولا انا بالشكوى انفس من جهدي

ثم سكت وغنى دبيس :

تهزأتَ بي لما خلوت من الوجد ولم ترث لي لا كان عندك ماعندي
وعيب عليَّ الشوق والوجد والبكا وانت الذي اجريت دمعي على خدي
صددت بلا جرم اليك آتيته اكان عجيباً لو صددت عن الصد
الا انني عبد لطرفك خاضع وطرفك مولى لا يرق على عبد

ثم غنى المشدود :

اقمت ببلدة ورحلت عنها كلانا عند صاحبه غريب
اقل الناس في الدنيا نصيباً محب قد نأى عنه الحبيب

ثم سكت وغنى زنين :

ويقنعني ممن احب كتابه — ويعنميه انه لبخيل
كفي حزناً ان لا اطيق وداعكم — وقد حان مني يا طلوع رحيل

ثم سكت وغنى دبيس :

يا واحد الحسن الذي لحظاته — تدعو النفوس الى الهوى فتجيب
من وجهه القمر المنير وحسنه — غض نضير مشرق و كثيب
الناظريك على العيون رقيبة — ام هل لطرفك في القلوب نصيب

ثم ابتدأ المشدود فغنى :

قلق لم يزل وصبر يزول — ورضا لم يطل وسخط يطول
لم تسل دمعة عليّ من الرحمـــة حتى رأيت نفسي تسيل
جال في جسمي السقام فجسمي مدنف ليس فيه روح تجول
يقضي للقتيل حول فينسى — وانا فيك كل يوم قتيل

ثم سكت وغنى زنين :

ليس الى تركك من حيلة — ولا الى الصبر لقلبي سبيل
فكيف ما شئت فكن سيدي — فان وجدي بك وجد طويل
ان كنت ازمعت على هجرنا — فحسبنا الله ونعم الوكيل

قال ابو عكرمة فاقبل ابو عيسى على المشدود فقال له غن صوتاً فغنى .

يا لجة الدمع هل للدمع مرجوع — ام الكرى من جفون العين ممنوع
ما حيلتي وفؤادي هائم ابداً — بعقرب الصدغ من مولاي ملسوع
لا والذي تلفت نفسي بفرقته — فالقلب من حرق الهجران مصدوع
ما ارق العين الا حب مبتدع — ثوب الجمال على خديه مخلوع

قال ابو عكرمة فو الله الذي لا اله الا هو لقد حضرت من المجالس مالا احصي فما رأيت مثل ذلك الى اليوم . ثم ان ابا عيسى امر لكل واحد بجائزة وانصرفنا ولولا ان ابا عيسي قطعهم ما انقطعوا .

٤ ـ وقد جاء في كتب الادب ان الخليفة الواثق قد جعل لكل موسيقي نوبة في وقت محدود في القصر.

٥ ـ ونعرف الى جانب ذلك ان الموسيقيين كانوا يختصون في بعض ضروب الموسيقا فمثلاً ان معبد كان معروفاً بغنائه وعزفه في الالحان ذات الاوزان الثقيلة وابراهيم الموصلي نال شهرته في الغناء الماخوري ذي الوزن البهيج .

فعندما كان يحضر الموسيقيون والمغنون في مجلس الخليفة كانوا يعرضون مبتدعاتهم الخاصة بالترتيب او بالنوبة . ومن الواضح ان هذه النوبات لاتقتصر على الاشخاص فحسب بل تتضمن الترتيب ، ترتيب انواع الايقاع فيبدءون بالنشيد مرتجلا بدون ايقاع ثم بالاوزان الثقيلة والبسيطة ويختمون بالمحركات والاهزاج كما رأينا في طريقة زرياب .

٦ ـ وقد نقل الينا المرحوم الشيخ علي الدرويش نوبات اندلسية الاصل عددها اربعة عشر نوبة ، نقلها عن علماء تونس يوم كان فيها بمصاحبة البارون ديرلانجه . وقد سجلت بعض هذه النوبات الاندلسية في الاذاعة السورية وبعضها الآخر لايزال في مجموعة المرحوم الشيخ علي الدرويش .

وانا نأتيكم الآن بمثال على هذه النوبات الاندلسية هي نوبة المزموم (١) وقد قسمت على نظام خاص سارت عليه جميع النوبات الاندلسية . فالنوبة بكاملها تكاد تسير على مقام واحد وإن تنوع فيها الايقاع والقافية . وهذه كلمات النوبة :

الابيات (٢)

خلَعت عليَّ يدُ النوى خلعَ الضنى	فبكى المشوقُ المستهامُ من العنا
غلبَ الصدودُ على وصال مهفهف	وجد القلوب خلية فتمكنا

البطايحي الاول

قد غرد القمري وصاح	ثم قال ياعاشقين
هذا زمان الانشراح	قوموا بنا يا نائمين

انتبه يا صاح	مع الندمان	وقم ترى
حين زخرف الورد	والسوسن	والماءْ جرى
والندى حَبَبْ	على الاغصان	جوهرا

(١) مقام المزموم هو المقام الذي يؤديه مزموم الوتر وهذه التسمية مشرقية ذكرها اخوان الصفا في رسالة الموسيقا . ويقابلها عندنا « مقام الجهاركاه » .

(٢) العناوين في هذه النوبة (الابيات والبطايحي والطالع ... الخ ...) هي اسماء ايقاعات معروفة .

الطالع

ونسيم الروض فاح بالحبق والياسمين
هذا زمان الانشراح قوموا بنا يانائمين

البطايحي الثاني

تذكاركم عندي من جملة الماء والطعام
احلى من الشهد الذ من شرب المدام
لاتقطعوا عهدي يا سادتي اهل النمام

الطالع

اسهرتموا جفني هذي دموعي سايلة
لاشك من عيني اصل السبب والفاصلة

البرول الاول

نقول لك زمان الازهار الدنيا مليحه
واجلس ما بين الاطيار في جلسة فسيحه
واسمع لغات الاطيار بغنه فصيحه

الطالع

يا ساقي دوّر الكاس واسق حبيبي

رجوع

على غيظ الحسود والرقيب املا يا طبيبي

البرول الثاني

بدا الربيع خرجت نتفرج
شكله بديع والزهر يتمرج
ارهن وبيع وخليها تتنسج

الطالع

وتلك الاغصان تميل وتتعانق

رجوع

الدنيا سلوى اسكر ونه واعشق

درج

يا قلبي تصبر وتثبت يقينك

كل شيء مقدر مكتوب في جبينك

بالمقصود تظفر المولى يعينك

طالع

عذبني هواهم وكوى قلبي كيا

قلبي ما سلاهم ولا هانوا عليا

خفيف

الى حبيبي نترك اوطاني عسا يراني

الختم

ليلى عن العهد القديم تغيرت والنفس من فرط النحيب تكدرت

والعين في فرط المجامع امطرت

طالع

ووفت وجفت وبكت كما الصبيب

ولفت وطفت قطعت منها نصيبي

رجوع

قلب الكئيب اليفه تذكارهُ طيب النسيمْ غنى على اطيارهْ

الباب الثالث

بعد زرياب

رأينا فيما تقدم من هذا القسم مافعله زرياب حين قدومه على الاندلس عام ٢٠٦ هـ الموافق لعام ٨٢١ م وتلمسنا فضله على الغناء الاندلسي ، حين اسس اول معهد موسيقي في تاريخ الموسيقا الاندلسية ـ اذا لم نقل في تاريخ الموسيقا العربية عامة ـ وقد درّس في هذا المعهد تطبيق الايقاع الغنائي على الايقاع الشعري ، ونقل الى الاندلس طريقة الغناء على اصول النوبة فشغف الاندلسيون بهذه الطريقة الغنائية .

والآن تعال معي ايها القارئ الكريم ننظر بعين الخيال مافعله تلاميذ زرياب بعد خمسين سنة من وفاته (١) ؟

لقد اخترع شاعر الامير عبد الله بن محمد عام ٢٧٥ هـ الموافق ٨٨٨ م طريقة نظم الموشحات واخذها عنه الوزير ابن عبد ربه ؛ ولكن طريقتهما لم يكتب لها النجاح والانتشار في عهدها . فكيف توصل مقدم بن معافر الفريري الى اختراع هذا اللون من الشعر ؟

لقد شغف الاندلسيون بطريقة النوبة الغنائية ، وقد رأينا ان هذه الطريقة هي ان يجتمع عدد من المغنين فيغني كل منهم في نوبته عدداً من الابيات مختلفة الايقاع والقافية وغناؤهم كله من لحن واحد ـ اي من مقام واحد ـ ورأيناهم يبتدئون بالنشيد المرسل بدون نقر ـ اي بدون ضبط الايقاع ـ ثم يأخذون بالاوزان الثقيلة فالبسيطة ويختمون بالحركات والاهزاج تبعاً لمراسيم زرياب (٢) .

فلم لا يُقدِم مقدّم بن معافر الفريري او محمد بن حمّود القبري او غيرهما ، على اختراع طريقة لنظم الشعر تتضمن المقطوعة منها عده الوان من البحور والقوافي شأن النوبة الغنائية فيستريح بذلك المغني من عناء انتقاء الاشعار وتكون المقطوعة شبيهة بالنوبة ولكنها من شاعر واحد ومن روح واحدة ؟

لا بأس في ذلك .

اذن فليقدم ! وقد اقدم . ولكن المجتمع الاندلسي لم يقبل هذه الفكرة لأول وهلة ، وقد عارضها

---

(١) توفي زرياب عام ٢٣٠ هـ.

(٢) نفح الطيب الجزء الثاني ص ١١٢

المسؤولون من الامراء والخلفاء الامويين في الاندلس . اما المغنون فقد راقت لهم الفكرة ولكنهم لم يجسروا على الجهر بها خوف سطوة المسؤولين .

ولكن بعد ذلك بخمسين سنة اخرى ـ في اوائل القرن الخامس الهجري ايام ملوك الطوائف ـ عادت الفكرة الى الظهور وكانت شوكة المسؤولين عن الثقافة العربية ، قد ضعفت واستولى على زمام الامور رجال من البربر لا يهتمون كثيراً بالحفاظ على القواعد القديمة فتشجع الشعراء والمغنون ومشوا في هذه الطريق الى الغاية فأبدعوا ما شاء لهم الابداع .ونظموا المقطوعات الغنائية اسماطاً اسماطاً واغصاناً اغصاناً ودعوها بالموشح واشتهر منهم عبادة بن القزاز وغيره .

ولم يكتفوا في مستقبل الايام بهذا القدر من اختراعهم ، بل ساروا في الطريق الى النهاية ، فلم يروا مايمنع من جعل القفل الواحد مؤلفاً من عدة شطيرات كل شطيرة من بحر وان يكون البيت مؤلفاً من عدة ابيات يرجح تغيير قافية كل مجموعة منها . وساعدهم ، الايقاع الغنائي ، والرغبة في التلوين على الخروج على الايقاع الشعري القديم الرتيب ، فكان من نتيجة ذلك ان ضل الادباء حين ارادوا الاسترشاد بهذه المقطوعات لاكتشاف ابحر عروضية جديدة فعجزوا ، وهؤلاء الادباء امثال ابن سناء الملك والمستشرق الالماني هارتمان الذي يعترف بعجزه عن متابعة الطريق بعد ان خيل اليه انه اكتشف مأة وستة واربعين ايقاعاً شعرياًوماذلك الا لأن الايقاع الغنائي المتلون الذي فسره لنا اخوان الصفا ونقله زرياب الى الاندلس هو الذي ساعد الشعراء على ايجاد هذه الطريقة فنظموا عليها هذه الموشحات .



الكتاب الثالث

طريقة نظم الموشحات على الايقاع الغنائي

لا بد لنا ، قبل البدء في شرح هذه الطريقة ، من :

١ - استعراض موجز عن معلوماتنا السابقة عن الايقاع الغنائي .

٢ - إيراد امثلة من الموشحات وشرح طريقة تقطيعها على الايقاع الغنائي .

فيتضح امامنا الطريق الذي سلكه الملحنون - ولا يشترط فيهم ان يكونوا شعراء - في نظم الموشحات .

١ - رأينا فيما تقدم ، الجاحظ يقول : العرب يمتاز غناؤها بأنها تقطع الالحان الموزونة على الاشعار الموزونة .

ورأينا ابن خلكان والهاشمي صاحب ميزان الذهب يتفقان على : «ان معرفة الخليل بالايقاع الغنائي هي التي احدثت له علم العروض .

ورأينا اخوان الصفا في رسالتهم الموسيقية يجزمون : ان قوانين الموسيقا مماثلة لقوانين العروض . ومعنى هذه المماثلة انه يصح تطبيق الايقاع الشعري على الايقاع الغنائي كما يصح العكس .

ورأينا ان الايقاع الغنائي مرجعه الوزن وان الوزن عبارة عن مُدد زمنية تعينها النقرات . وان الايقاع الغنائي منه الموصل ومنه المفصل ، وان الايقاع الشعري ليس فيه موصل ابداً .

وان الاصل في الايقاع هو تساوي الازمنة في الادوار اي اعادة هذه الازمنة في كل دور بلا تشويش في ترتيب الازمنة بلا زيادة ولا نقصان في مُددها .

كما رأينا اشتراطهم افهام السامع اين ينتهي الدور الاول ويبدأ الدور الثاني ، وبينا ان ذلك يكون بتلفظ المقطع — الذي يقع عليه بداية الدور الثاني — بقوة واطلقنا على ذلك لفظة « النبرة » التي يسميها الفرنج **Accent métrique**

ورأينا ان الدور عبارة عن جُمل وان الجمل تتألف من اسباب واوتاد وفواصل .

ورأينا اخوان الصفا يركبون الجُمل من هذه الاصول الثلاثة ويوضحون الجُمل الثنائية والثلاثية في مختلف اطوارها .

ورأينا فوق ذلك امكان تحويل او ابدال التفاعيل بنوع آخر اذا تساوت ازمنتها .فيخرج بذلك الايقاع من نوع الى آخر .

ورأينا ان المقاطع المتحركة اسرع في التلفظ من الساكنة وفسرنا ذلك بأن المقاطع الساكنة تتمتع بعدة زمنين وان الزمن الساكن خفي يوضحه تلفظه .

ولا بد لنا الآن من ايراد ملاحظة لها قيمتها هي ان المقاطع المتحركة نوعان سريعةواسرع كما انالمقاطع الساكنة بطيئة فابطأ . وان هذه « الابطأ » هي التي يعقب فقراتها وقف . فلا بأس اذا اعتبرنا هذه المقاطع التي يعقب نقراتها وقف تتمتع بعدة ثلاثة ازمنة مثل قولك مستفعلانْ او فعلانْ فان مقطع « لانْ » يستغرق مدة اللام المتحرك والالف الساكنة والنون الساكنة . وعلى ذلك فاننا نعتبر (لانْ) تقوم مقام وتد .

وقد افسح لنا الفارابي المجال لفهم ذلك بعد قوله في الايقاعات الموصولة :

« اما الموصولات التي لاتعقب نقراتها وقفات فهي صنفان : احدهما هو الذي يعقب نقراتها اسرعُ نقلةٍ بين نقرتين . والثاني هو الذي يعقب نقراتها حركات ابطأ من اسرع نقلة تمكن بينهما ، واسرع من نقلة تتمدد منها وقفة بعد نقرة . »

ومن هذا الايضاح نفهم لماذا يستبيح المغنون اهمال مدة (تَ) من تنن نظراً لسرعة تلفظها فيضعون تنن في محل تن في كثير من الحانهم .

وان استنادنا على نظرية الفارابي هذه لايمنعنا من الاعتقاد بانه « اي الفارابي » قد اوضح النوع الثاني من الايقاع وهو « المفصولات » ولا بد انه بحث في احوال المقاطع الساكنة، وان هذا القسمقد يكون مفقوداً .

٢ ـ امثلة من الموشحات نوضح فيها كيفية تقطيع الاشعار على الايقاع الثنائي :

ا ـ لنأخذ موشحاً لأبي بكر محمد بن زُهر الاشبيلي (١) وهو من النوع التام لانه يبدأ بالقفل ، واقفاله مثل ابياته :

قفل	ما للمُوَّلهْ	من سكرهِ لا يفيقْ	يا لهُ سكرانْ
	من غير خمرِ (٢)	ما للكئيبِ المشوقْ	يندبُ الاوطانْ

(١) ويكنى بالحفيد بن زهر . كان طبيباً . توفي عام ٥٩٥ هـ . قيل له يوماً : لو قيل لك ما ابدع ماوقع لك في التوشيح؟ فقال كنت اقول : (ما للموله)

(٢) كنا نرجح ان يكون هذا الجزء متمماً للسمط الاول فترى القفل ذا اربعة اجزاء ايفاء للمعنى .

بيت	هل تستعادُ (١)	ايامنا بالخليج	وليـاليـنـا
	او يستفادُ	من النسيم الاريج	مسك دارينا (٢)
	او هل يكادُ	حسن المكان البهيج	ان يحيينـا
قفل	روضٌ أظلـّهْ	دوحٌ عليه انيقْ	مورق الافنانْ
	والماء يجري	وعائمٌ وغريقْ	مِنْ جَنى الريحان

فتقطيع هذا الموشح يجري هكذا :

ما لِلْـ مُولْـ له من مُسكْـ رِهِ لا يفيقْ يا لَهُ سَكْـ رانْ

تن . تن . تنن . تن .. تن . تن . تنن . تن . تنانْ . تن .. تنن . تن . تانْ .

مستفعلن فا مستفعلن فا عـلان فاعلن فعْـ لان

والجملة الموسيقية هنا تتألف من : (سببين ووتد وسبب ، ثم سببين ووتد وسبب وفاصلة ، ثم سبب ووتد وسبب وفاصل) وللمغنى كما رأينا ان يستغنى عن الاوتاد والفواصل في تلحينه ويجعل الجملة الموسيقية مؤلفة من ١٣ سبباً . وتسمى بالطريقة الموسيقية الحديثة ١٣ نواراً ويسمى هذا الايقاع الغنائي «المربع»

وتتكرر هذه الجملة مرتين في القفل وثلاث مرات في البيت .

ب ـ مثال آخر وهو موشح من نظم سلطان العارفين الشيخ الاكبر محي الدين بن العربي (٣) وهو موشح تام لانه يبدأ بالقفل واقفاله تخالف ابياته :

قفل	سرائرُ الأعيان	لاحتْ على الأكوانْ	للناظرين
	والعاشقُ الغيرانْ	من ذاك في حرّانْ (٤)	يبدي الانين

---

(١) رأينا دال « تستعاد » مسكنة في جميع المصادر التي طالعناها ولكننا رجحنا ان نثبتها بالضم وحجتنا في ذلك : اولاً ان الاقفال مساوية للابيات في الايقاع . ثانياً ان البيت الثالث في هذا الموشح يبدأ باجزاء « يا صاحبيا ، قد مت حيا جنى عليا » . وبما ان اجزاء الابيات لابد ان تكون متساوية في سائر الموشح لذلك فلا بد ان تكون اجزاء البيت الاول « هل تستعادُ ، او يستفادُ ، او هل يكادُ »

(٢) دارين اسم بلد بالبحرين يستورد المسك عن طريقه فيقال مسك دارين (الدكتور الركابي) .

(٣) الشيخ الاكبر اندلسي الاصل قدم الى المشرق عام ٥٩٨ هـ . واستوطن دمشق واقام فيها حتى توفي عام ٦٣٨ هـ ودفن بسفح قاسيون .

(٤) حران بلد بالقرب من حلب . ونستدل من هذه الفقرة ان الشيخ الاكبر قد زار حلب وحران واقام فيها مدة نظم خلالها هذا الموشح .

بيت	يقول والوجدُ	اضناه والبعدُ	قد حيّرهْ
	لما دنى البعد	لم ادرِ مَنْ بعد	قد غيَّرهْ
	وهيم العبد	والواحد الفرد	قد خيره

قفل	في البوح والكتمانْ	والسر والاعلانْ	في العالمين
	اما هو الديانْ	يا عابد الاوثانْ	انت الضنين

اما تقطيعه فهكذا في القفل :

سـ را ئرُالـْ اعْ يانْ لا حت على الـْ أكْ وانْ لِلنْ نا ظرينْ

تن . تن . تنن . تن . تانْ . تن . تن . تنن . تن . تان . تن . تن . تنان .

مستفعلن فعـلانْ مستفعـلن فعـلانْ مستفعلانْ

فالجملة الموسيقية هنا تتألف من : (سببين ووتد وسبب ووتد ، ثم سببين ووتد وسبب ووتد ، ثم سببين وفاصلة) وقد تكون ١٣ سبباً غنائياً . وتكرر هذه الجملة مرتين في كل قفل .

اما في البيت فهكذا :

يـَ قو لُوالـ وجـ يدُ لم أدْ رِمَنْ بَعْ دُ قد غَيْ يَرَهْ

تن . تن . تنن . تن . تن . تن . تن . تنن . تن . تن . تن . تن . تنن .

مستفعـلن فعلن مستفعـلن فعـلن مستفعـلن

والجملة الموسيقية هنا تتألف من (سببين ووتد وسببين ، ثم سببين ووتد وسببين ، ثم سببين ووتد) وقد يكون مجموعها ١٣ سبباً غنائياً فتكون مساوية لجملة القفل . وتكرر هذه الجملة ثلاث مرات في كل بيت .

جـ ـ مثال آخر وهو موشح لابن سناء الملك وهو اقرع لانه يبدأ بالبيت وابياته مخالفة لاقفاله :

بيت	غزال فر	من جنات عدن	وابدى بدر	تم فوق غصن
	وولىّ آخذاً للعقل مني		فقل للبدر	بدر الافق عني

قفل : ان بدري غايب فكن لطرفي عنه نايب

ولاجل تقطيعه نبدأ بالبيت اولاً فنجده هكذا :

غزا لُ فرْ رَمِنْ جَنْ نا تعد نِ

تنن . تن . تن . تنن . تن . تن . تنن . تن .

مفـاعيلـن مفـاعيـلـن فعــولن

فالجملة الموسيقية تتألف من (وتد وسببين ثم وتد وسببين ثم وتد وسبب) وقد تكون ثمانية اسباب فقط(١) .

ثم تكرر هذه الجملة اربع مرات مقابل اربع اجزاء البيت . فاذا جئنا الى القفل وجدنا تقطيعه هكذا :

إنْ نَ بد ري غا يب	فكن لطر في عن هُ غا يب
تن . تنن . تن . تن . تن .	تنن . تنن . تن . تن . تنن . تن .
فا علا تن مفـعو	فعو مفا عيـلن فعـو لن

وبالتدقيق وبالاستناد الى معلوماتنا السابقة يمكننا ابدال فاعلاتن بمفاعيلن فلا يتغير معنا زمن الايقاع الغنائي وكذلك اذا ضمنا آخر الفقرة الاولى الى اول الفقرة الثانية اي مفعو + فعو لنتج معنا ما يقابل مستفعلن وهذه يمكن ايضاً ابدالها بمفاعيلن بدون ان يتغير زمن الايقاع الغنائي . وبذلك يكون ايقاع القفل هكذا :

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن فعولن

والجملة الموسيقية تتألف هنا من (وتد وسببين « ثلاث مرات » ثم وتد وسبب) . وبذلك نرى ان ايقاع القفل شديد الشبه بايقاع البيت ولنا ان نعتبره مجزوءه .

وعلى الرغم من اننا قد دمجنا جزئي القفل ثم قسمناها هكذا :

ان بدري غايب فكن لطرفي عنه نايب

فان كل هذا مقبول في الايقاع الغنائي .

اما اذا اعتبرنا الجملة الموسيقية للقفل مؤلفة من ١١ سبباً(٢) فحينئذ يظهر لنا اختلاف ايقاع البيت عن ايقاع القفل واضحاً فيظهر لنا صدق ان سناء الملك حين قال ان هذا الموشح (اقفاله مخالفة لابياته) .

د — مثال رابع وهو موشح لابي بكر التُطَيْلي المعروف بالأعمى وهذا الموشح تام وهو من الموشحات التي يتبادر الى الذهن ان اقفالها مخالفة لابياتها ولكننا نراها عند التقطيع متماثلة مع اغتفار بعض هنات للشاعر :

(١) ويسمى هذا الوزن في الاصطلاحات الحديثة « المصمودي »

(٢) ويسمى هذا الوزن في الاصطلاحات الحديثة « عويص » او « زرفكند »

قفل : حلو المجاني ما ضرّهُ لو اجناني كما عَناني شغلي به وعنّاني

بيت	حب الجمالِ	فرضٌ على كل حرٍ
	وفي الدلالِ	عذر لخلاّع العذر
	هل في الوصال	عونٌ على طول الهجر

قفل : او في التداني شيءٌ يفي باشجاني وفي ضماني ان ينتهي من يلحاني

وتقطيعه هكذا :

حا والـ مجا ني ما ضَرْ رُهُ لو اجـ نا ني

تن . تن . تنن . تن . تن . تن . تنن . تن . تن . تن.تن

مسـتفـعلن فا مسـتفـعلن فا عيـلا تن

وبهذه الطريقة يقطع البيت :

حبـ بـالـ جما لِ فَرْ ضٌ على كلْ لِ حرْ رِ

تن . تن . تنن . تن. تن . تن . تنن. تن . تن . تن . تن

فنرى ان القفل والبيت متماثلان وان الجملة الموسيقية تتألف من (سببين ووتد وسبب ثم سببين ووتد واربعة اسباب او ١١ سبباً) وتكرر هذه الجملة مرتين في القفل وثلاث مرات في البيت .

ونلاحظ هنا ان الشاعر المغني يشبع بعض الاحرف في التقطيع كما في «عين» فاعيلاتن ويخطف بعضها الآخر كما في مُتَفْعِلُنْ وفالاتن . وكل ذلك مغفور له لموافقته ايقاع الغناء .

ه — المثال الخامس وهو نوع من الموشح استمعنا الى ابن سناء الملك يقول عنه انه يحتاج في تلحينه الى كلمة مستعارة وان تلحينه لا يستقيم الا بان يقال «لا لا» بين الجزئين الجيميين من قفله ، وهذا هو الموشح :

قفل — من طالِبْ ثار قتلي ظَبَيات الحدوجِ فتانات الحجيجِ

بيت — ترميهم بسهامٍ حول البيت الحرام

ان من ينظر اول مرة لهذا الموشح يتراءى له انه باقفاله وابياته المتماثلة ينطبق على ايقاع مجزوء الرمل : (فالاتن فاعلاتن) ثلاثة ادوار للقفل ودورين للبيت ويستدل على ذلك من اشباع الظاء والباء في « ظبيات » والجيم في « الحدوجِ » .

ولكن الملحن اراد ان (يتفنن) فاتانا بما يثبت طول باعه في علم الايقاع فابقى دوريْ الايقاع في القفل (الاول والثالث) على حالهما « فالاتن فاعلاتن » (من طالب ثار قتلي) و(فتانات الحجيج)، وجاء الى الدور الثاني

(ظبَيات الحدوجِ) يظهر فيه براعته ، فرأى ان بالامكان الاستغناء عن اشباع الحروف المارة الذكر فيصبح الايقاع هكذا :

ظبيات ِ ال حدوجِ
فَعِلاتن . فعولُ

وفَعِلاتن هنا تقوم مقام فالاتن التي رأيناها .

ثم رأى ان (فعولُ) هذه يمكن ارجاعها غنائياً الى (فاعلاتن) للمحافظة على شكل الدور الايقاعي (فالاتن فاعلاتن) ، باضافة لفظة لا معنى لها تحقق الايقاع الذي اراده ولا تخل بالمعنى .

فوجد ان(فعولُ) تتألف من وتد (تنن) وحركة(تَ). بينما ان (فاعلاتن) تتألف من سبب ووتد وسبب.

وعلى هذا فان (فعولُ) تحتاج الى سبب وحركة (تنْ نَ) يضافان اليها لتأخذ مكان (فاعلاتن) في الايقاع .

فاضاف لفظة (لا لَ) التي تقابل (تنْ نَ) في الايقاع ولا تخل بالمعنى .

فاصبح الايقاع : تننْ تَ + تنْ نَ = تننْ تن تن = تن تنن تن اى فاعلاتن .

فعاد تقطيع ايقاع القفل هكذا :

من طالِبْ ثار قتلي ظبَيا تِ الْ حدوجِ لا لَ فتانا تِ الحجيجِ
فا لا تن . فاعلاتن . فعَ لا تن مفا علا تُ. فالاتن . فا علا تن
بوزن فا بوزن فا علا تن .

ترميهمْ بسهامِ حولَ البيْ تِ الحرامِ
فالاتن . فاعلاتن فالاتن . فا علا تن

وبذلك اصبح الايقاع الغنائي للقفل سالماً وموافقاً لايقاع البيت (فالاتن فاعلاتن) او (فَعْلاتن فاعلاتن).

وهكذا نرى الشاعر الملحن ، بعدم اشباع بعض الحروف قد اوجد لوناً جديداً لموشحه .

ولم يكتف بذلك بل فصل قسماً من الجزء الاول للقفل ، واضافه الى الجزء الثاني ، والتزم ذلك في بقية الموشح فاصبحت (من طالِبْ) وحدها تمثل الفقرة الاولى من القفل ، واصبحت الفقرة الثانية هكذا : (ثارَ قتلي ظبَيات ِ الحدوج لالَ) وابقى الفقرة الثالثة على حالها (فتانات الحجيج) ليدل بها على اصل ايقاع القفل .

واصبحت الجملة الموسيقية تتألف من (اربعة اسباب ووتد وسبب) ويقوم مقامها غنائياً ستة اسباب تكرر ثلاث مرات في القفل ومرتين في البيت ، مع وجود (لالَ)في آخر الفقرة الثانية من القفل .

وجاء ابن سناء الملك فقال عن هذا الموشح انه يحتاج في تلحينه الى كلمة مستعارة هي « لا لا » وان تلحينه لا يستقيم الا باضافة هذه الكلمة بين الجزئين الجيمين من القفل . والحقيقة ان هذه الكلمة هي (لالَ) كما بينا ذلك وليست (لا لا) كما قال ابن سناء الملك .

وجاء السيد بهجت حسان التلميذ النجيب للمرحوم الحاج عمر البطاش ولحن هذا الموشح بالذات من مقام الحسيني وعلى ايقاع المدوَّر العربي $\frac{6}{4}$ اي ست نوارات لان كل سبب يقابل نواراً واحداً في الاصطلاح الحديث فتم معه تقطيع القفل هكذا :

من طا لب ثا رقْ لي ظَبَ يا تا حدو جلا لَ فَتْ تا نا ت الا حجي جِ

تن. تن. تن. تن. تن . تن | تنَ تن . تن. | تن. تن . تَ. تن. تن. تن. تن. تن . تن

او | تنْ او | تن تن تن

وجاء ايقاع البيت مماثلاً :

ترميهم بسهامٍ حول البيت الحرام

ونعتقد ان ادخال الفاظ الترنم (لالا ، لَلّي ، يا لَلّي ... وغيرها) على الموشحات، أثناء غنائها كان على هذا الشكل، ومن هذا الطريق . اي لا كمال تطابق الايقاع الشعري على الايقاع الغنائي الذي يراد التلحين عليه .

وهكذا ، ايها المطالع الكريم ، وقد عرفت الشيء الكثير عن الايقاع الغنائي ، واكتشفت سر تطابق وزن الشعر على هذا الايقاع ، فقد اصبح بامكانك ان تتصور مغنياً عليماً بالايقاع ولا يدعي نظم الشعر ، يختار احد انواع الايقاع الغنائي (1) وينظم على مقياسه كلاماً يلتزم فيه ايقاع الاقفال وقوافيها كما يلتزم ايقاع الابيات مع ترجيح تغيير قوافيها فيأتي نظمه اسماطاً اسماطاً واغصاناً اغصاناً ويسير في تلحينه على طريقة النوبة الغنائية، بسبب تنوع ايقاعاته، ويسمي هذا النظم موشحاً اوموشحة، تشبيهاً له بالغانية المتزينة بالوشاح الملون.

لقد اجمع العلماء على ان الغناء هو الذي سبَّب ظهور الموشحات وقد عنوا بالغناء : الايقاع الغنائي وقد اثبتنا ان الفضل في اختراعها، في الاندلس، يعود لزرياب وغنائه، وفي هذا غَناء .



(1) ان الايقاعات الغنائية العربية كثيرة ومتعددة وتأخذ اعداداً مختلفة من الاسباب (اي النوارات) حتى ان منها ما يأخذ ١٧٦ سبباً (اي نوار) فتأمل ! ! .

الكتاب الرابع

زجل الموشحات[1]

قال ابن خلدون في مقدمته :

« ولما شاع فن التوشيح في اهل الاندلس واخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع ابتدائه ، نسجت العامة من اهل الامصار على منواله ونظموا طريقته بلغتهم الحضرية من غير ان يلزموا فيها اعرابا ، واستحدثوه فاسموه بالزجل . والتزموا النظم فيه على مناصبهم الى هذا العهد فجاؤا فيه بالغرائب ، واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة » .

الى ان يقول :

وقد عم فن الزجل في الأندلس ، حتى كان العامة ينظمون فيه بطريقتهم العامية في سائر البحور الخمسة عشر » .

استدراك

سهى المطبعي عن تنضيد فقرة كاملة في الصفحة ٢٤ هذا نصها :

٩ — دولة ابن هارون

A ـ رأس هذه الدولة هو ابو عثمان سعيد بن هارون استولى بعد الفتنة على (شنتمَرية) عام ٤٠٧ هـ. الموافق لعام ١٠١٦ م . وبقى في الحكم سبعاً وعشرين عاماً .

B ـ في عام ٤٣٤ هـ. الموافق ١٠٤٣ م. توفي ابو عثمان وخلفه ابنه محمد وبقي في الحكم عشر سنوات ثم ضمت شنتمرية الى اشبيلية حينما استولى عليها العباديون عام ٤٤٤ هـ. الموافق ١٠٥٢ م. فانقرضت بذلك دولة ابن هارون .

---

(١) لقد افردنا للزجل كتاباً خاصاً بحثنا فيه مفصلاً عن هذا الادب العامي ونشأته وأنواعه . والكتاب تحت الطبع فاقتضى التنويه « المؤلف » .

القسم الخامس

موشحاتنا المدونة

انتقلت موسيقا الاندلس الى المشرق ، فتعشق المشارقة موسيقا الموشحات الاندلسية ، ولكنهم لم يعنوا بطريقة نظمها بل اكتفوا باتباع طريقة غنائها . فقطعوا الايقاع الغنائي على الشعر القريض وعلى الازجال ، فجعلوا البيت الاول من المقطوعة ـ شعرية كانت او زجلية ـ بمثابة « قفل موشح » ، وأسموه دوراً . واعتبروا البيت الثاني من المقطوعة بمثابة « بيت موشح » وأسموه « خانة » . واطلقوا على البيت الاخير اسم « غطاء » او « قفلة » . هذا اذا كانت المقطوعة مؤلفة من ثلاثة ابيات . اما اذا كانت مؤلفة من عدة ابيات فقد جعلوا منها عدة ادوار وعدة خانات وسلاسل وغطاء واحد . والغطاء يقابل الخرجة في الموشحات الاندلسية .

وساروا في طريقة التلحين على نفس طريقة تلحين الموشحات الاندلسية . ولكن بتلوين المقامات « النغمات » اكثر من تلوين الايقاعات ، فجعلوا اللحن الغنائي للادوار متطابقاً ومطابقاً للحن « الغطاء » ، وجعلوا لحن الخانة مخالفاً للحن الادوار ، ورجحوا اختلاف لحن كل خانة عن لحن زميلاتها .

وهكذا لحنوا المقطوعة ، ذات الايقاع الواحد ، والقافية الموحدة ، وحتى المخمسات والمسمطات وجعلوا منها موشحاً غنائياً . وأبقوا لهذه المقطوعات الملحنة على هذه الطريقة الغنائية اسم « الموشحات الاندلسية »

اما نحن فعلى الرغم من اعتقادنا ، انه كان من الاصوب ان يطلق على هذه المقطوعات الغنائية اسم « غناء الموشحات » ، لجواز اطلاق الاسم على الصفة الغالبة في المسمى ، فانا نعترف بمسايرتنا الخطأ المشهور لانه خير من الصواب المهجور .



ايضاح

هذا كتاب قد يقال فيه انه فتح جديد ، لاننا سلكنا فيه مسلكاً واضحاً مأنوساً لتدوين الموشحات . فهو يضم بين دفتيه قواعدها وإيقاعاتها وألحانها بشكل سهل يوافق الذوق ويساعد على تنمية الثروة الفنية من اقرب طريق وأيسره .

ولا شك في ان الموشحات هي الركن الأصيل في الغناء العربي لحفاظها على قواعد تركيب الايقاعات والمقامات (النغمات) العربية التي لم يعد يُعتنى بها في الحاننا الحديثة .

ولما كانت هذه الموشحات غير مدونة الى الآن في اية مجموعة موسيقية ، فقد دونتها بـ(النوطة) الموسيقية للمحافظة عليها من الضياع والتبديل والتحوير ولتبقى خالدة أبد الدهر .

وقد أخذت قسماً من الحان والدي المرحوم الشيخ علي الدرويش والقسم الآخر من المرحوم الشيخ عمر البطش ومن الاستاذ السيد بهجت حسان .

ومما تجدر ملاحظته ان هناك موشحات تختلف عما هو مدون في هذا الكتاب أصابها تبديل وتحوير لانها لم تكن مكتوبة بـ(النوطة) الموسيقية . فنجد مثلاً موشحة (رماني بسهم هواه) تُغنى في مصر من مقام (نَوْ اثر) بينما تُغنى في سوريا وخاصة في حلب من مقام (نهاوند) ، كما ان هناك موشحات فيها خلاف في اصل تركيبها ، ولا شك ان مرد هذا الخلاف يعود الى التواتر في نقلها ولأنها لم تكن تدون بالعلامات الموسيقية فينسى الحافظ مقطعاً او مَقطعين من موشح ما وهو الذي يحفظ ويستوعب في ذاكرته مئات الموشحات فيضطر ان يوجد او يؤلف عوضاً عنها مقاطع مع المحافظة على الايقاع (الميزان) فقط فتأتي هذه المقاطع بالطبع مخالفة للاصل وتختلف الحَفَظَة في غنائها ، وعلى ذلك فقد راعينا في تدوين موشحاتنا الطور الذي تُغني عليه في سوريا وخاصة في حلب .

ويجدر بي بعد هذه المقدمة ان أعطي القارىء الكريم فكرة صحيحة عن الخطة التي اتبعتها في تدوين هذه الموشحات :

١ — اتبعت في التدوين الطريقة الحديثة (الصحيحة) اي باعتبار ان الـ (دو ـ راست) ورتبتها حسب تسلسل السلم الموسيقي العام .

٢ — قسمت ايقاع الموشحة بالنقط ثم بالحاجز عند انتهاء الايقاع . فمثلا ايقاع المربع $\frac{١٣}{٤}$ قسم على شكل يجعل المقياس الاول $\frac{٣}{٤}$ والمقياس الثاني $\frac{٤}{٤}$ والمقياس الثالث $\frac{٤}{٤}$ والمقياس الرابع $\frac{٢}{٤}$. وهذا التقسيم يساعد رئيس الفرقة الموسيقية على اعطاء الاشارات اللازمة لقيادة فرقته ، فيعتبر المقياس الاول ثلاثياً والمقياس الثاني والثالث رباعيين والرابع ثنائياً . وبانتهاء اخر مقياس ينتهي الايقاع بكامله فيعود مبتدئاً من اول دورة الايقاع وهكذا ... ان هذا التقسيم مقتبس ومأخوذ عن كتاب مؤتمر الموسيقا العربية المنعقد عام ١٩٣٢ في القاهرة . وكان من جملة مقترحات والدي المرحوم التي قدمها ووافق عليها المؤتمر .

٣ — يرى القارىء ان الموشحات دونت كوصلات ورتبت متتابعة حسب تسلسل ايقاعاتها ؛ الايقاع الكبير فالصغير فالاصغر ووضع تحت اول موشحة من الوصلة سلماً لمقامها ودليلا له « اي اشارات التحويل التي توضع عادة بعد المفتاح »

٤ — وضعت في نهاية كل موشح ايقاعه الخاص به بطريقة فنية واضحة فاذا كان ساق العلامة الموسيقية الى الاعلى دلّ على الـ (دم) اي الضرب الثقيل وإذا كان للاسفل دل على الـ (تك) اي الضرب الخفيف .

وهناك موشحات وضع لها ايقاعان كتب على الاول منهما شكل (١) وعلى الثاني شكل (٢) ومعنى هذا ان الايقاع الاول قسم عليه الموشح والايقاع الثاني شكل آخر يجوز التقسيم عليه ايضاً ولا شك ان هذا مقبول اذا لم يكن هناك فرق بين نبراتها (Accent) .

٥ — توجد في بعض الموشحات التي تمر فيها نغمة الحجاز علامة تحويل خافضة بهذا الشكل وهذه العلامة تنقص مسافة واحدة عن البيمول العادي اي انها تزيد درجة الكرد فاصلة واحدة . وتستعمل خاصة في نغمة الحجاز وقد اخذتها عن مجموعة والدي اذ انه استعملها في مجموعته الموسيقية .

وأني الفت نظر القارئ الكريم الى ان الموشحات الواردة في هذه المجموعة والتي هي من ايقاع الـ (يوروك) دونت بعضها على مقياس $\frac{6}{8}$ وبعضها الآخر على مقياس $\frac{3}{4}$ ليطلع القارئ على الشكلين المذكورين، هذا على الرغم من اني اعتقد ان المقياس الاخير $\frac{3}{4}$ هو الاصح وذلك لان تقسيم هذا الايقاع الـ (يوروك) ينسجم مع نبرات ثلاث نوارات اكثر من انسجامه مع نبرات ستة كروشات منفصلة (المقياس المركب لمقياس $\frac{2}{4}$ البسيط)

نديم علي الدرويش




الألحان : محمد التريكي
سماعي بيكاه
♪= 144
الخانة الثانية
النهاية
الخانة الثالثة

تابع سماعي بيكاه

الخانة الرابعة


الشّعر : قديم
وصلة من مقام السيكاه
الإيقاع
الألحان : المرحوم عمر البطش
موشح صاح قم للحان
فرنكچين
♩ = 72
النهاية
سلم مقام السيكاه
دليل المقام

الايقاع

$\frac{24}{4}$

دور ١ — صاح قم للحان هيا — نحتسي بنت الدنان

٢ — كاسها نجم الثريا — شربها يبري الجنان

خانه — بين منثور نضير — ومروج وغدير

عطاه — يا لها طلعة بهية — اشرقت من اصفهان

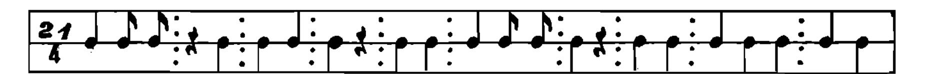




الشعر قديم
تابع وصلة السيكاه
الإيقاع
الألحان : المرحوم عمر البطش
موشح مفرد الحسن المبين
طُــرّه
♩ = 76
الخانة
النهاية
الايقاع

شكل (١)

الايقاع



١	مفرد الحسن المبين	بالبها اسبي الورى
٢	جاء بالسحر المبـين	بالمحاسـن حـيرا
خانه	صحت يا نعم الأمين	بالذي سن القرى
غطاء	ارحم الداء الـكمين	يكف بي ما قد جرى


الشعر : فخري البارودي
تابع وصلة السيكاه
الايقاع
الألحان : المرحوم عمر البطش
موشح حسنك النشوان
سماعي ثقيل
= 152
النهاية

الايقاع



دور : ١	حسنُكِ النشوان والكأسُ الرويّة جددا عهد شبابي فسكرتُ
٢	حلم ايامٍ وليـلاتٍ رضيـة خطرت بي كخيالٍ فسُررتُ
خانه	انا سكران وفي الكأس بقية اي خمرٍ من جنا الثغر رشفتُ

الشعر : قديم — تابع وصلة البياكاه — الايقاع

الألحان : المرحوم عمر البطش — موشح مبرقع الجمال — يوروك سماعي «اكرك»

الايقاع



١) مبرقع الجمال وحائز الكمال

عطفاً على المعنى بالقرب والوصال

٢) أنعم ايا حبيبي لمغرم كئيب

واطوي جوى لهيبي من ريقك الزلال

خانه) اتلفت فيك روحي ولم أطع نصوحي

في وجهك الصبوحيِ تهتكي حلال

الألحان : المرحوم الشيخ علي الدرويش   سماعي عجم عشيران

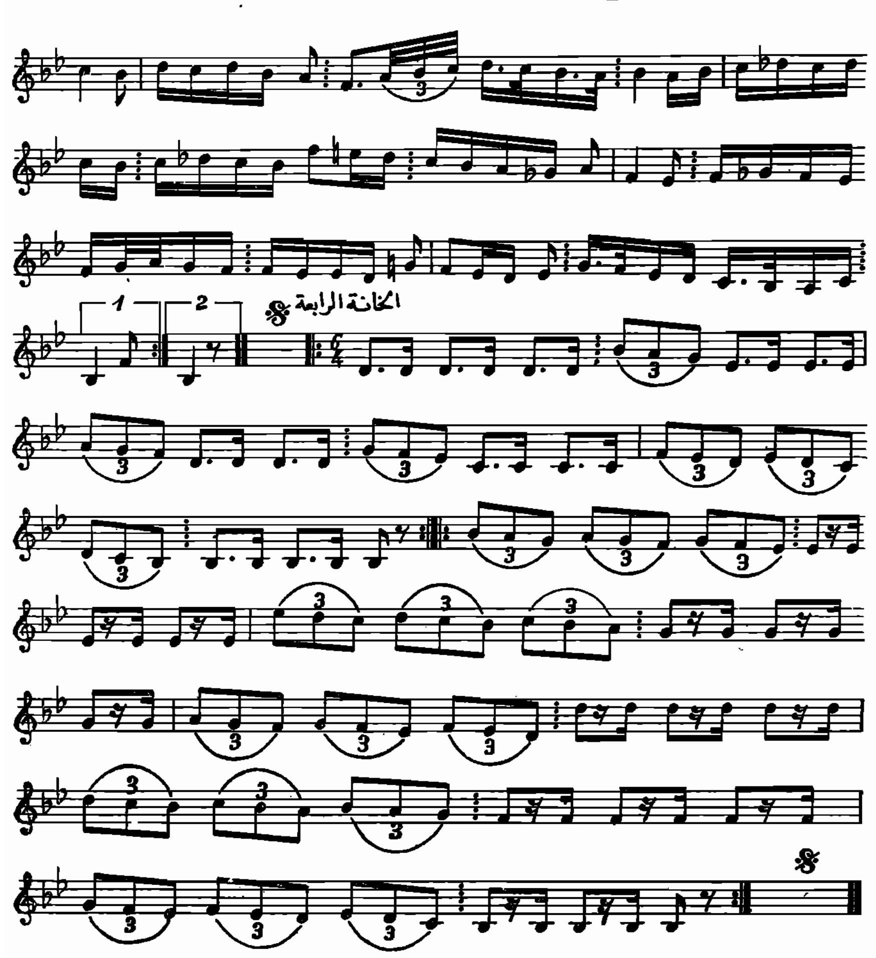
♪ = 152

الخانة الثانية

النهاية

الخانة الثالثة

تابع سماعي عجم عشيران



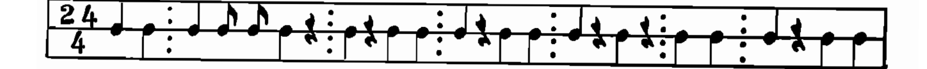

الشعر : قديم
وصلة من مقام العجم عشيران
الإيقاع
الالحان : المرحوم عمر البطش
موشح داعي الهوى قد صاح
الشنبر الحلبي
= 66
الخانة
النهاية

تابع موشح -داعي الهوى قد صاح





الايقاع



دور : داعي الهوى قد صاح　　　بألسن الاوتار

١

٢ يدعو لشرب الراح　　　من راحة الاقمار

خانه أدركناك الحال　　　في وقتنا والحال

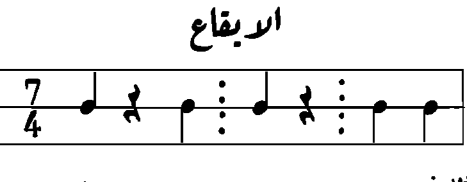
غطاء فأنت نور العين　　　يا بهجة النظار

الشعر: قديم　　　　تابع وصلة العجم عشيران　　　　الإيقاع

الألحان: المرحوم كامل الخلعي　　　　موشح من لصب　　　　نواخت

♩ = 92

الايقاع



دور :

١	من لصب في الهوى		صاده لحظ الغزال
٢	حيث غزلان اللوى		أقبلت تبغي نزال
خانه	دون ذياك الخبا		حامت القوم العزاز
غطاء	من كوته بالجوى		لم يكد يبدو هزال



الايقاع

6/8

دور ١	أيقظ الحب فؤادي	بعد أن مل الغرام
٢	وجرى رغم مرادي	في دمائي والعظام
خانه	يا حبيبي هل جهادي	بالوفا يدعو الملام
غطاء	ان موتي في بعادي	عنك يا بدر التمام



الايقاع

ما لعيني ابصرت	أرضنا قد اقفرت
وغدا الظبي بعيد	وبكائي لايفيد
طاب لي فيها الهوى	واستقرت بالنوى
عاملتني بالجفا	وهي لاتدري الوفا

الألحـان : المرحوم الشيخ علي الدرويش سماعي بسته نكار

♪ = 152

الخانة الثانية

النهاية

الخانة الثالثة

تابع سماعي بستة نكار




الشعر : قديم
وصلة من مقام الهستهنكار
الإيقاع
الألحان : قديم
موشح نري العقد
الستة عشر المصري
♩ = 84

تابع موشح نرى العقد



الايقاع

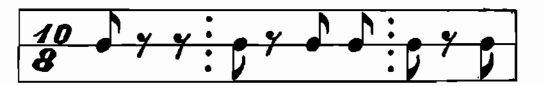
دور :

١	نرى العِقْد في ثغره ِ مُحكما	يُرينا الصحاحَ عن الجوهر
٢	وتكملةُ الحُسن ايضاحُها	رويناهُ عن وجهِ ِ الأزهر

الشعر : قديم	تابع وصلة البسته نكار	الإيقاع
الألحان : قديم	موشح نزهة الأرواح	سماعي ثقيل

♪ = 152

الايقاع



دور	نُزهةُ الارواحِ بدري	قدُّهُ بالغصنِ يُزري
١	من سنا بعينيه سحري	آهِ لو يقبلُ عُذري
	ليته بالحال يدري	

دور	جاءني اليوم صباحاً	فملا قلبي ارتياحا
٢	وبرِّ اللحظ باحا	مُبدياً منهُ انشراحا
	بابتسام مِثلِ زهرِ	


الشعر : ابراهيم طوقان
تابع وصـــلة البســـته نكار
الإيقـاع
الالحان : يحيى السعودي
موشح أنشـــدي يـاصبا
سماعي ثقيل
=144
موســـيقا الدخـــول الخانـة

تابع موشح انشدي ياصبا

ف سي لُ أضـ في ن كا

ر قَرْ غون جـ هالـ وتـ ر

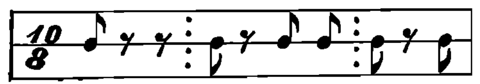
سي ف من بي

جو شـ ثي ديـ حـ ف

ن جو شـ ثي ديـ حـ ف نْ

النهاية

الايقاع



دور : ١ انشدي يا صبا — والرقصي ياغصون — واسقني ياندى — بين لحظ العيون

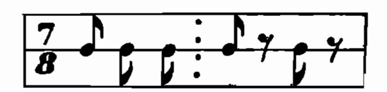
٢ فيك يا وردتي — قد حلالي الجنون — انا منى الهوى — انت منك الفتون

خانه انشري ماطوت — من غرامي السنون — كان في اضلعي — فروته الجفون

قربي من فمي — فحديثي شجون


الشعر : قديم
تابع وصلة البستة نكار
الإيقاع
الألحان : يحيى السعودي
موشح ليت من طير نومي
الدور الهندي
=152
النهاية
الخانة

الايقاع

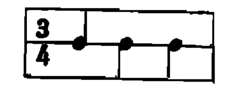


دور : ١	ليت من طـير نومي	رد في عيني المنـاما
٢	او شفا جسماً سليماً	زاده الهجر سقاماً
خانه	نظرت عيني اليهـا	نظرة هاجت غراما
غطاء	تركت قلبي حزيناً	بهواها مستهـاما

الشعر قديم　　　تابع وصلة البستة نكار　　　الإيقاع

الألحان : المرحوم احمد ابي خليل القباني　　موشح يا من جفا وما رحم　　فالس أو يورورك

الايقاع



دور		
١	يا من جفا وما رَحم	رفقاً قلبي الكليم
٢	اوقعت قلبي في شَرك	وركنُ صبري قد هُدم
٣	يا من حكى غصن الارك	اواه لو عيني تراك
٤	يا من حكا غُصن النقا	قد زالَ عن قلبي الشقا

الألحان : يوسف باشا   سماعي عراق



تابع سماعي عراق

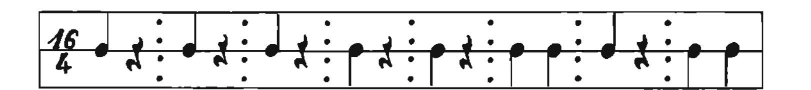






الشعر قديم
الألحان قديم
وصلة من مقام الأوج عراق
موشح هيّا وانديم
الإيقاع
المخمس
♩ = 76
سلم مقام العراق أو الأوج عراق
دليل المقام

الايقاع



دور ١
هيـا وانديم نديم القـديم
بين الندامى والمحبوب مقيم

دور ٢
شاغني واهيم بدار النعـيم
مرج الخزامى معتل النسيم

خانه :
شوقي لك عظيم لا اسمع مليم
مهـلاً إلى ما تجفو يا رحيم




الشعر : قديم
تابع وصلة الأوج عراق
الإيقاع
الألحان قديم
موشح جل من أنشا جمالك «مقام عراق»
المربع
♩ = 86

تابع موشح جل من انشا جمالك



دور : ١ جل من انشا جمالك فتنة للناظرين

دور : ٢ لم تكثر دلالك في قلوب العاشقين

خانه : يا عبيد الله يا من منظرك يشفي العليل

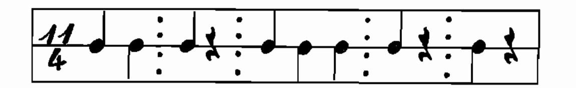
غطاء : حارساك من غزالك من عيون الحاسدين

الشعر : قديم — تابع وصلة الأوج عراق — الإيقاع

الألحان : قديم — موشح ذات الوشاح — ايون هواسي

♩ = 72

الايقاع



دور : ١

ذات الوشاح لطفاً ادارت

بين الملاح شمساً انارت

قم بالصباح فالروض احدق

دور : ٢

حيَّت فأحيت أختُ الهلالِ

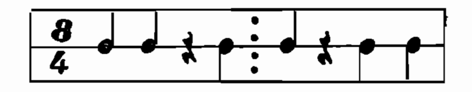
حلَّت وحلَّت عقد اللآلي

لما تجلَّت فالبدر أطرق


الشعر : محمد حربلي
الألحان : بهجت حسان
تابع وصلة الأوج عراق
موشح ياصبا الأسحار مقام « راحة الأرواح »
الإيقاع
المصمودي
♩ = 76
الخانة



الايقاع



دور ١

يا صبا الاسحار عني — بلغي قلبي السلام
انه قد ضاع مني — بين هاتيك الخيام

دور ٢

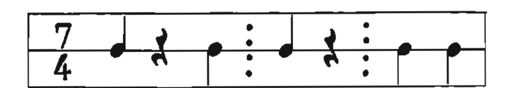
يا نوى قدعيل صبري — ونما وجدي ببدري
في هواه حار فكري — ودموعي كالغمام

خانه :

في حجاز او عراق — علّلوني يا رفاقي
كم وكم قلبي يلاقي — من تباريح الغرام


الشعر قديم
تابع وصلة الأوج عــراق
الإيقاع
الألحان قديم
موشح يانسيمات الصبا « مقام راحة الأرواح »
نواخت
♩ = 92
النهاية

الايقاع



دور : ١	يا نسيمات الصبا	روّحي ارضَ الحجاز
٢	غني في لحن الصبا	أو نغيمات الحجاز
خانه :	وانشديَ صبّاً صبا	وأنعشي أهل الحجاز
غطاء :	هام من عهدِ الصبى	راغب يرجو النجاز

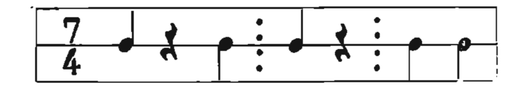


الشعر : قديم　　　تابع وصلة الاوج عراق　　　الإيقاع

الألحان : قديم　　　موشح لاح في طالع سعيد" مقام راحة الأرواح "　　　نواخت



الايقاع



دور	لاح في طالع سعيد	يثني عطفاً وجيد
١	قلت واصل يا فريد	قال هذا شيء بعيد
دور	قلت يا سيد الظبا	فك لي بند القبا
٢	قال لي يا مرحباً	ابغ مني ما تريد
دور	كل من يهوى الملاح	ينفق الصفر الصحاح
٣	قلت واصلني صباح	ثم خـذ مهما تريد



الإيقـاع	تابع وصـلة الأوج عـراق	الشعـر : قديـم
اقصاق فرنجي	موشح بأبي باهي الجمال	الألحـان : قديـم

♪ = 168

الاعادة الدور الثاني

النهاية

الايقاع



دور : بأبي باهي الجمال	مائس القد	دور : يا أخا البدر افدى	يا قوام البان
١ قده فاق العوالي	آه لو يجدي	٢ من لهجرانك تصدى	مات في الهجران
خانه : صحت يا راخي الدلال	يا منى القصد	خانه : يا هلالاً اذ تبدى	نور الاكوان

جد لي بالاقا ـ يا غصن النقا ـ يا من قد رقى ـ رتبة المجد   كاس المرقا ـ يزهو رونقا ـ منه يستقى ـ أعذب الشهد

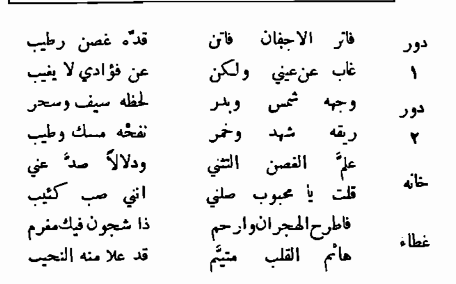
الشعـــر : محمد حربلي — تابع وصلة الأوج عـــراق — الإيقاع

الألحان : بهجت حسان — موشح فاتر الأجفان فاتن مقام «راحة الأرواح» — يوروك

♪ = 168



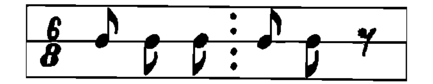
الايقاع



دور ١	فاتر الاجفان فاتن	قدّه غصن رطيب
	غاب عن عيني ولكن	عن فؤادي لا يغيب
دور ٢	وجهه شمس وبدر	لحظه سيف وسحر
	ريقه شهد وخمر	نفحه مسك وطيب
خانه	علمّ الغصن التثني	ودلالاً صدّ عني
	قلت يا محبوب صلني	انني صب كئيب
غطاء	فاطرح الهجران وارحم	ذا شجون فيك مغرم
	هائم القلب متيَّم	قد علا منه النحيب

الشعر : قديم	تابع وصلة الأوج عراق	الايقاع
الألحان : قديم	موشح ياسميري ضاع صبري «مقام راحة الأرواح»	فالس أو يوروك

الايقاع



دور :	يا سميري ضاع صبري	في هوى خشف الغزال
١	من يلمني ليس يدري	طيب اوقات الوصال
دور :	يا عزولي لا تلمني	في هواك دمعي سال
٢	الهوى العذري فتني	صرت فيه كالخيال
خانه :	منيتي رفقاً بهجري	قد كفى هذا الدلال
١	لو تقضى فيك دهري	لست اصغي للمقال
خانه :	يوم وصالك يا حبيبي	يا ترى متى أنال
٢	يكفي يا بدر نحيبي	جد وأنعم بالوصال

الألحـان   المرحوم الشيخ علي الدرويش   سماعي راست كبير

♪ = 152

الخانة الثانية

النهاية

تابع سماعي راست كبير



تابع سماعي راست كبير






الشعر قديم
وصلة من مقام الراست
الإيقاع
الألحان المرحوم عبدالقادر المراغي
موشح كلما رمت ارتشافا
الشنبر الحلبي
♩ = 66
للدخول الثانية
لاعادة الدور الثاني
الخانة
النهاية

تابع موشح (كلما رمت ارتشافاً)





الايقاع



دور ١	كلما رمت ارتشافاً	من رضاب السكر
دور ٢	سل من لحظيه سيفاً	وانثنى كالسمهري
خانه	يا له من غصن بان	كلما شاهدته
غطاء	والتمست الوصل منه	فـــر مثل الجؤذر





الشعر : قديم
الألحان : قديم
تابع وصلة الراست
موشح أي بارق العلم
الإيقاع
الفاخت
♩ = 52
موسيقا لاعادة الدور الثاني
النهاية
موسيقا لدخول الخانة
الخانة

تابع موشح (اي بارق العام)



الايقاع



دور ١	اي بارقَ العلمِ	من حيٍّ ذي سَلَم
	هل منك لي خبرٌ	عن جيرة الحرم
دور ٢	من حركوا سكني	من حرموا وسني
	لي فيهم وطرٌ	أرجوه في حلمي
خانه	عقلي بهم سلبا	من خيموا بقبا
	لو اتخذوا جسدي	قلبي لهم ذهبا
غطاء	قولوا لمن عدلوا	في حب من جهلوا
	ان الهوى قدر	من سالف القدم



الشعر : قديم — تابع وصلة الراست — الإيقاع

الألحان قديم — موشح من كنت أنت حبيبه — الأوفر المصري

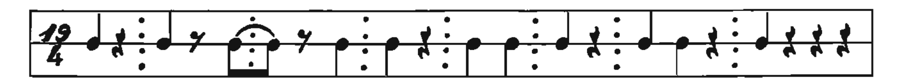
♩ = 76

الخانة

النهاية

الايقاع

شكل (١)



شكل*(٢)



دور ١	من كنت انت حبيبه	نعم النصيب نصيبه
دور ٢	مولاي ما خاب الذي	يدعو وانت تجيبه
خانه	او كيف يمرض في الحشا	جسد وانت طبيبه
غطاء	يا يوسف الحسن الذي	انا في الهوى يعقوبه



الشعر : قديم — تابع وصلة الراست — الإيقاع

الألحان : المرحوم عمر البطش — موشح منيتي من رمت قربه — عويص

الايقاع



دور ١	منيتي من رمت قربه	صادني	بالمقلتين
دور٢	واخذ عقلي وسار به	باحمرار	الوجنتين
خانه	ومليحاً قد زاد عجبه	قاتلي	بالمقلتين
عطاء	وظلمني من احبه	بالجفا ظلم	الحسين

الشعر : قديم — تابع وصلة الراست — الإيقاع

الألحان : الدور : عبدالقادر المراغي
الخانة : الشيخ حسن المملوك

موشح أحن شوقا — المصمودي

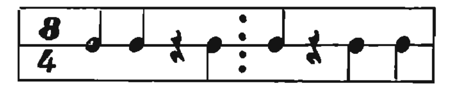
♩ = 80

النهاية

الخانة







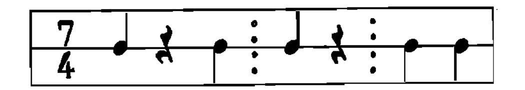
دور ١	احن شوقاً الى ديار	رأيت فيها جمال سلمى
دور ٢	شربت منها لمى عقار	من كف ساقي الشراب المى
خانه	يا ظبي مهلا فكم مرار	وانت زيان بتّ اظما
غطاه	هل من سبيل الى مزار	ينفي فؤاداً يذوب سقماً



الشعر : قديم — تابع وصلة الراست — الإيقاع

الألحان : قديم — موشح ياهلا لا — سنواخت

الايقاع



دور ١ يا هلالاً غاب عني واحتجب

٢ وهجرني لا بذنب والسبب

خانه في الهوى ما نابني غير التعب

غطاء وانقضى العمر وما نلت الارب

دور جد بقربي منك يا صنو الرشا

دور وبوصلك كن لقلبي منعشا

خانه كم كذا يا فاتني ترمي الحشا

غطاء بسهام اوقعتني في الوصب



دور ١ لي في ربا حاجر غزيل اغيد ساجي رنا دور ٢ نهده على صدرى يقد باقد اذا انثنى

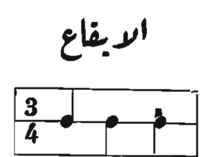
وجدي عليك وجدي يا ساكن النجد يا لابس الجـــــنه قل السلام سنة

الشعر : قديم — تابع وصلة الراست — الايقاع
الألحان : قديم — موشح يامن لعبت — ڤالس أو يوروك

♩ = 84

يا من لعـ بت بـ ه شـ مو ل ما أل طـ فَ هـ ذ
والـ شـ ما يل ما أل ط ف هـ ذ والـ شـ ما يل تَنْ نَ يا لا
لا لا يا لا لِا يا نَ تَنْ لي كَلْ لا يا لا لا يا
لا يا لا كَلْ لي يا لا لي و يا لا و لي يا لا لي و يا و لا و
يا لا و يا لا و يا لا كَلْ لي ما أل طـ ف هـ ذ الـ شـ ما يل

الايقاع

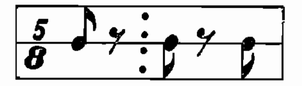


دور ١	يا من لعبت به شمول	ما الطف هذه الشمايل
٢	نشوان يهزه دلال	كالغصن مع النسيم مايل
٣	لا يمكنه الكلام لكن	قد حمل طرفه رسايل
٤	ما اطيب وقتنا وأهنا	والعاذل غائب وغافل





الايقاع



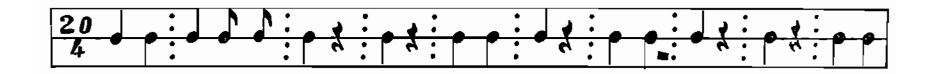
دور ١	يا قاتلي بالتهديد	أفديك فارحم تسهيدي
	ما كان ظني يا بدري	تصغي الى ذي التفنيد
٢	اذا كان اعلام ذنبي	في حبكم حسبي سلبي
	اني انا الصب المسبي	في حبكم لا في الغيد
٣	اعطاف مياس القد	في ميلها هاجت وجدي
	يا حبذا ورد الخد	يزهو بحسن التوريد

الشـــعر : قـديم　　　　وصـلة من مقـام المـاهور　　　　الإيقـاع

الألحـان : قـديم　　　　موشـح بصفـات جعـلتني　　　　الفـاخت

♩ = 56

الايقاع



دور ١　بصفات　جعلتني　هائم　القلب　عليه

٢　ومعان　صورت　لي　جنة　الدنيا　لديه

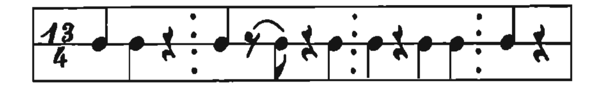

الشعر : قديم
تابع وصلة الماهور
الايقاع
الالحان : قديم
موشح حير الأفكار بدري
السماعي
♩ = 92

تابع موشح (حير الافكار)

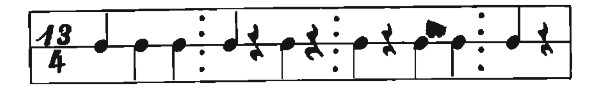


الايقاع

شكل (١)



شكل (٢)



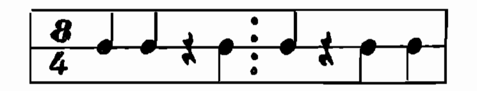
دور ١	حير الافكار بدري	في صفا خدٍ اسيل
٢	من بغصن البان يزري	بالتثني إذ يميل
خانه	سيدي لو كنت تدري	صرت في الحب عليل
غطاء	فاغتنم بالله اجري	واصطنع فعل الجميل







الايقاع



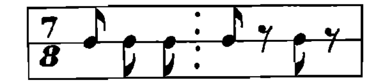
دور ١ يا شادي الالحان اسمعنا
رنات الميدان
٢ واطرب من في الحان واحبنا
من ضمن الندمان

الشعر : قديم — تابع وصلة السازكار — الإيقاع

الألحان : المرحوم الشيخ سيد درويش — موشح صحت وجدًا يا ندامى — الدور الهندي

♪ = 168

الايقاع



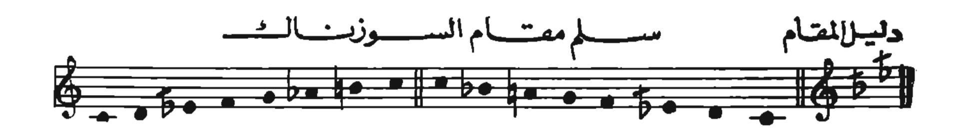
دور ١	صحت وجداً يا ندامى	واصلوني وارحموني
٢	اني صب في هواكم	سال دمعي من عيوني
خانه	ذبت من شوقي غراماً	فانصفوني وارحموني
غطاء	ان جننت اليوم فيمكم	فاعذروني في جنوني



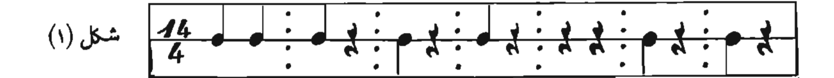
الشعر : قديم
وصلة من مقام السوزنالك
الإيقاع
الألحان قديم
موشح ياترى بعد البعاد
المجتر
♩ = 80
الخانة
النهاية

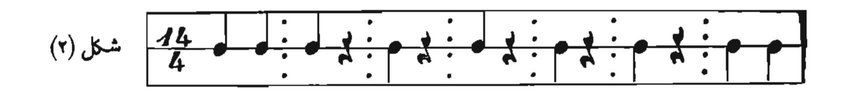
تابع موشح (يا ترى بعد البعاد)





الايقاع





دور ١	يا ترى بعد البعاد	هل بني بالوصل حبي
٢	منيتي غاية مرادي	من سلب عقلي ولبي
خانه	لو يزر بعد التمادي	وارى حبي بقربي
غطاء	قد جفا جفني رقادي	والكرى ما كان ذنبي



الشعـــر : قـديم　　　تابع وصـــلة السوزنالــــك　　　الإيقــاع

الألحــان : قـديم　　　موشح ياعــذيب المرشـــف　　　المـــربــع

♩ = 76



دور ١	يا عذيب المرشف	يا مرير المهجر
	لا تجرد مرهف	من ظبي الاجفان
دور ٢	رق وارحم مدنف	مستهام العذر
	فالهوى قد أتلف	مهجة الظمآن



دور ١ يا فريد الغزلان وشقيق الولدان تــه دلالاً يا قان ما بـــين الندمان

٢ عد وجد يا بدري وانعطف يا عمري واملا كاسي يا جان من صـافي الدنان


الشعر: قديم
تابع وصلة السوزنالك
الإيقاع
الألحان: قديم
موشح العذارى المائسات
سماعي ثقيل
= 144

الايقاع



دور ١	العذارى المائسات	غانجات الكحل
	لفؤادي صائبات	والحشى بالمقل
٢	من ثياب الفاتنات	فاح ريح الارج
	لاعبات عابثات	بالنهى والمهج





الشعر : قديم
تابع وصلة السوزنالك
الإيقاع
الألحان : عبدوقطر
موشح ياعيونًا راميات
قتاقوفتي
موسيقا للخول الخانة
النهاية
موسيقا للسلسلة

تابع موشح (يا عيوناً راميات)



الايقاع



دور ١ : يا عيوناً راميات في الحشى   نبلها الفتاك في قلبي مصيب

٢ : يا ترى يا كل سؤلي والمنى   هل بلقياك ارى لي من نصيب

خانه : كلما غنت حمامات اللوى   ذبت من فرط اشتياقي والجوى

سلسلة : انتم والله للداء دواء

غطاء : انتم للجسم روح ان زوى   من نواكم غصنه الرطب الرطيب





دور ١ العيون الكواسر سبوني
من لذيذ المنام حرموني
وجرى دمعي من عيوني
هامر
انغضابه علي قربو لي المنية
ساعدوني يا رفاقي ساعدوني

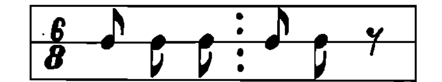
٢ اليوم انا شفت ابو خد وردي
واشتبك به غرامي ووجدي
قلت له سيدي تعال عندي
زائر
قال لي يا صب هيا اني محكوم علي
ساعدوني يا رفاقي ساعدوني

الشعر : قديم — تابع وصلة السوزناك — الإيقاع

الألحان : قديم — موشح افديه ظبياً ابتسم — يوروك « دارج »



الايقاع



دور ١   افديه ظبياً ابتسم   في خده الخال ارتسم

اهواك يا بدر قسم   ولم ازل اهوى الغزل

وصادني ساجي المقل

٢   بدر إذا ما الليل جن   وازداد بي فيه الشجن

قلب لي ظهر المجن   ثم اعتزل وقد ازل

اقدام صبري بالملل

الألحان : المرحوم الشيخ علي الدرويش   سماعي نهاوند

♪ = 138

10/8

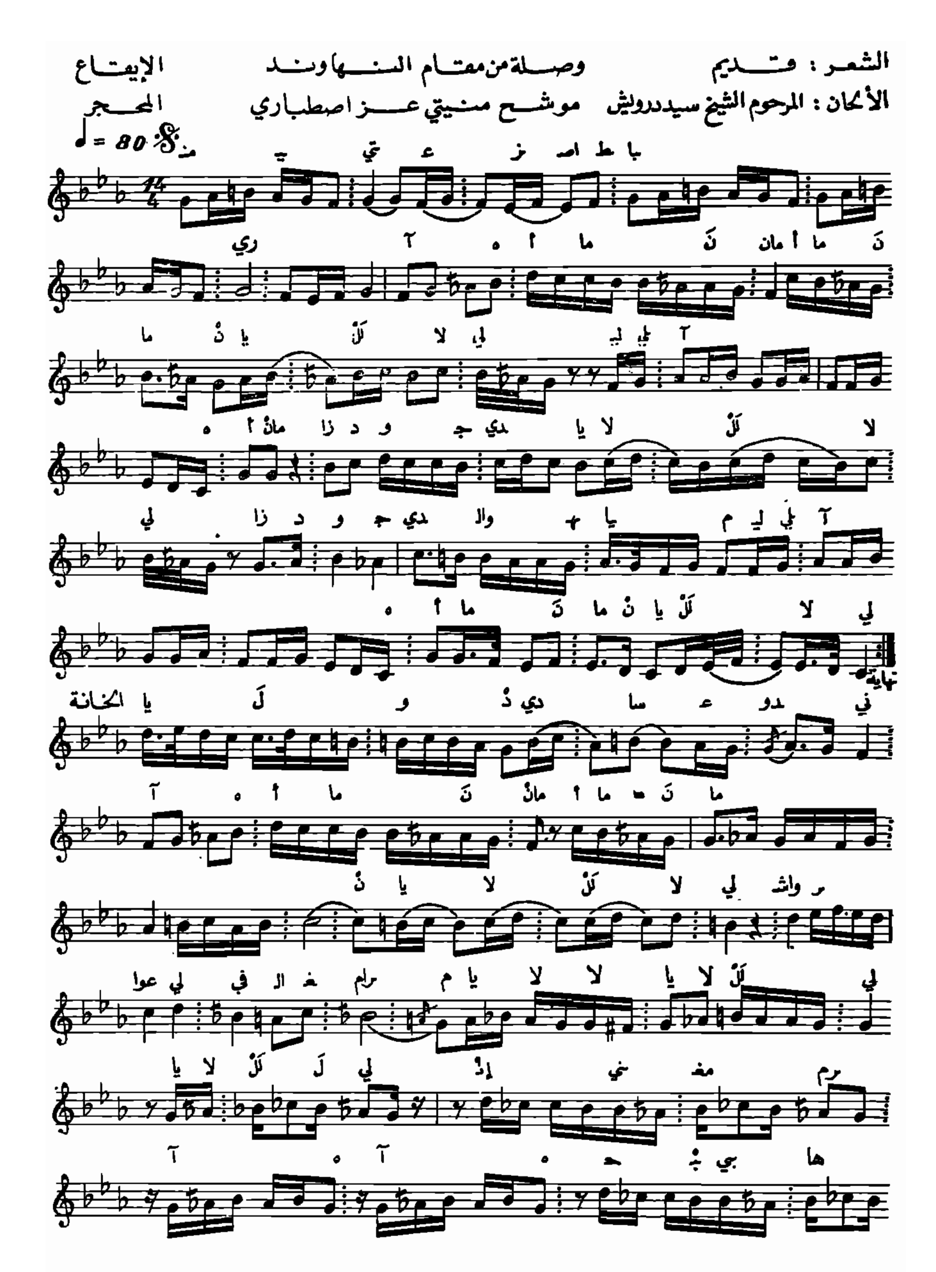
الخانة الثانية

تابع سماعي نهاوند

الخانة الثالثة

الخانة الرابعة

النهاية


الشعر : قديم
وصلة من مقام النهاوند
الإيقاع
الألحان : المرحوم الشيخ سيد درويش
موشح منيتي عز اصطباري
المحجر
♩ = 80

تابع موشح منيتي عز اصطباري







الايقاع

شكل (١)



شكل (٢)



دور ١ : منيتي عز اصطباري زاد وجدي والهيام

٢ : من لحاظك كم اداري من سيوف مع سهام

الخانه : بـآل ودي ساعدوني واشرعوا لي في الغرام

اني مغرم ـ حبي هاجر ـ ناري تضرم ـ قلبي صابر

كم بيوعد ثم يخلف لم يخالف هوه يخلف

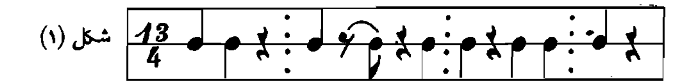
هوه يخلف وانت عارف

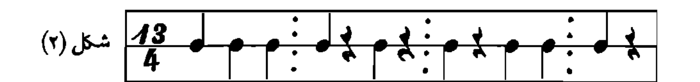
غطاء : واللا اقول لك ما علينا كن في حالك والسلام


الشـــعر : قـــديم
تابع وصـــلة النـــهاوند
الإيقـــاع
الألحان : المرحوم داود حسني
موشح رماني بســـهم هواه
المـــربـــع
♩ = 76



الايقاع



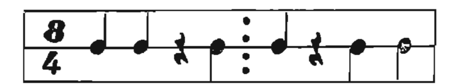


دور ١	رماني بسهم هواه رشا	تريب المزار بعيد الوصال
٢	شبيه الغزال إذا ما مشى	تميل اليه قلوب الرجال
خانه	دعوه يذب مهجتي والحشا	فأني رضيت بعشق الجمال
غطاء	لعلي انال به ما أشا	بعشق مليك البها والدلال



الشعر : محمد نعيمي
تابع وصلة النهاوند
الإيقاع
الألحان : بهجت حسان
موشح اعطني الناي وغنِّ
المصمودي
♩= 76
موسيقا لبداية الموشح
الخانة
النهاية

الايقاع



دور ١	اعطني النـاي وغني	لحن سلوى للسحر
٢	واجل بالالحان عني	كل سيماء الضجر
خانه	إن قلبي شام نورك	فضني قلـبي القـدر
غطاء	وخيـالك غاب عني	وضنـاني بالفـكـر

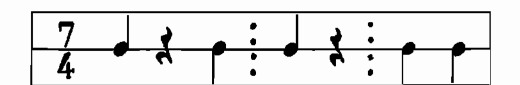


الشعر : قديم　　　تابع وصلة النهاوند　　　الإيقاع

الألحان : للمرحوم الشيخ علي الدرويش　　　موشح مائس الأعطاف أزرى　　　نواخت

♩ = 92

موسيقا لإعادة الأدوار : ن



دور ١	مائس الاعطاف أزرى	قدّه لين الغصون
	وبطول الصدّ أجرى	دمع عيني كالعيون
٢	صحت من جور التمادي	يا مليكاً لفؤادي
	إن رب البيت أدرى	بالذي فيه يكون

الشعر: قديم　　　تابع وصلة النهاوند　　　الإيقاع

الألحان: سليم المصري　　　موشح لما بدا يتثنى　　　سماعي ثقيل

♪ = 152

الايقاع



دور ١	لما بدا يتثنى	حبي جماله فتنا
٢	او ما بلحظه اسرنا	غصن انثنى حين مال
خانه	وعدي ويا حيرتي	من لي رحيم شكوتي
غطاء	في الحب من لوعتي	إلا مليك الجمال



الشعر : قديم
تابع وصلة النهاوند
الإيقاع
الألحان : المرحوم عمر البطش
موشح سبحان من صور حسنك
سماعي ثقيل
♪ = 144
الايقاع
دور ١ سبحان من صور حسنك وفي البها زادك رفعة
٢ وزان بالحسن خلقك بالنور يا باهي الطلعة
خانه يا خلّي خلّ إعراضك زور حمانا في الجمعة
غطاء بالله لا تصحب غيري الجار اولى بالشفعة


الشعر : محمد حربي
تابع وصلة النهاوند
الإيقاع
الألحان : بهجت حسان
موشح ياغزالاً قد جفاني
يورولك
= 168
النهاية

الايقاع



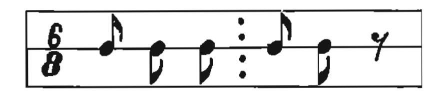
دور ١	يا غزالا قد جفاني	فجفا عيني الوسن
	هيا جد لي بالتداني	أيها الظبي الاغن
٢	ذبت شوقاً وغراماً	في هوى البدر الحسن
	وكسى جسمي سقاما	وبه عقلي افتتن
خانه	من سهادي وأنيني	رق لي الصخر وأن
	ورأى الطير حنيني	فبكى عطفاً وحن





الشعـــر : صبحي المصري
تابع وصلة النهاوند
الإيقاع
الألحان : بهجت حسان
موشح ياكحيل العين عجل
فالس أو يوروك
موسيقا لإعادة الدور الثاني
موسيقا لدخول الخانة
النهاية
الخانة
موسيقا لدور الغطاء

الايقاع



دور ١	يا كحيل العين عجل	باللقا زادت شجوني
٢	هل ترى اقضي حياتي	بالنوى حتى المنون
خانه	آه ما احلى اللقـا	وخليلي عن يميني
غطاء	يا حبيباً قد رقا	بفؤادي وعيوني



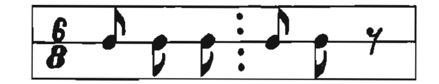

الشعر : عمرأبوريشة
تابع وصلة النهاوند
الإيقاع
الألحان : يحيى السعودي
موشح هات اسقنيها
يورولك
♩=84

تابع موشح هات اسقنيها

لك بيـ جـ حا طِب طـ ـة

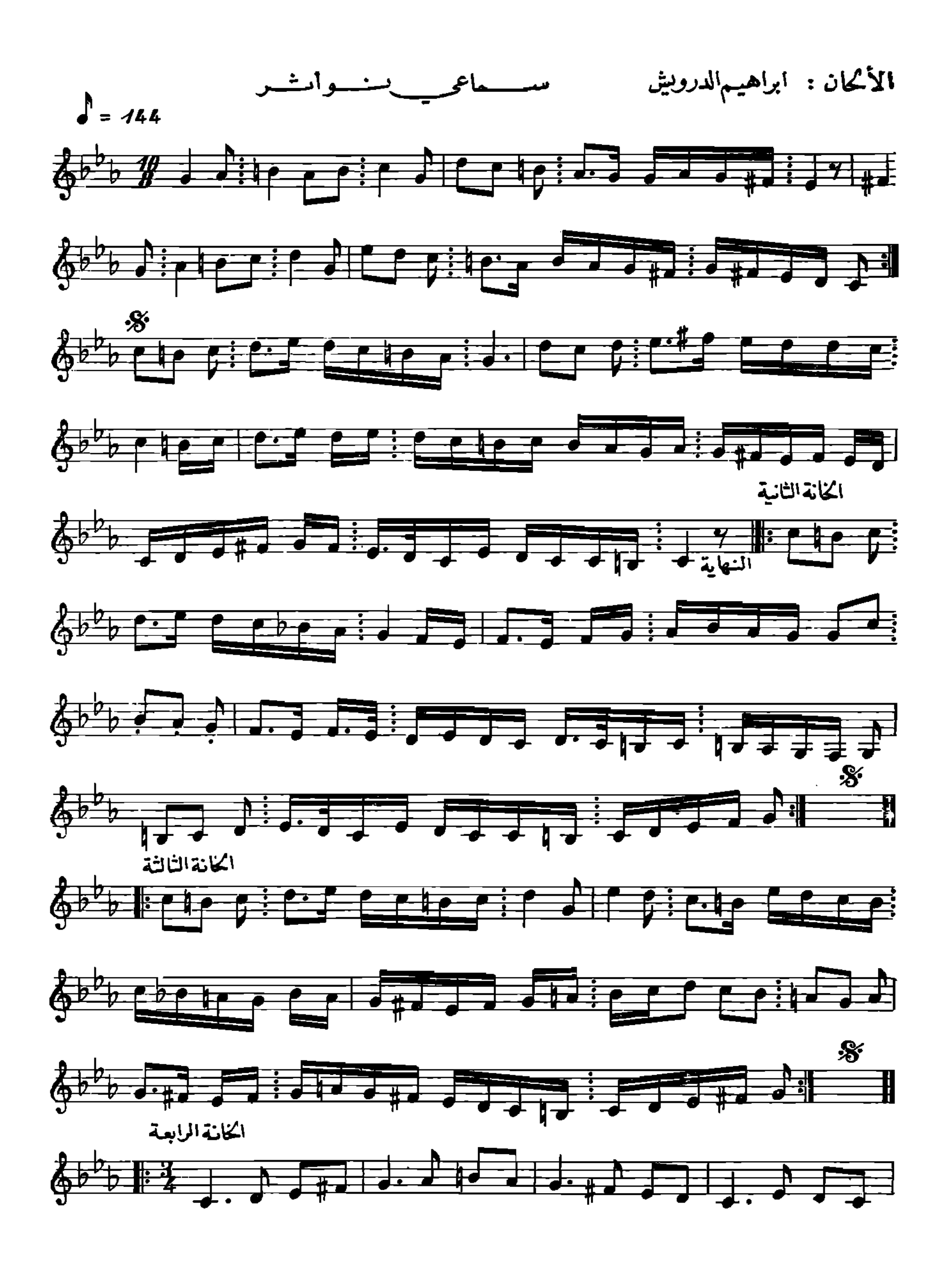
النهاية

الايقاع



دور ١	هات اسقنيها من يديك	معصورة من وجنتيك
٢	كفر بها عما جناه علي	مرهف مقلتيك
خانه	دلهتني زمناً ولم تترك	سبيلا لي اليك
غطاء	بحياة رأسك ان اتيك	لا تقطب حاجبيك




الألحان : ابراهيم الدرويش
سماعي نواثر
♪ = 144
الخانة الثانية
النهاية
الخانة الثالثة
الخانة الرابعة

تابع سماعي نوأثر




الشعر : قديم
وصلة من مقام النواثر
الإيقاع
الألحان : المرحوم داود حسني
موشح أذكر الحب
المدور المصري
♩= 84
النهاية
الخانة



الايقاع



دور ١ اذكر الحب فيبكيني الغرام . وارى الأيك فيشجيني الحمام

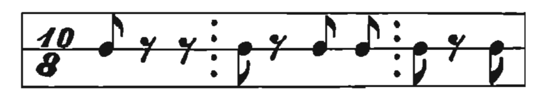
٢ ابكاء وشجون يا غرام ونواح وهديل يا حمام

خانه في الهوى يا للهوى قلبي هوى مذ على هذا النوى حبي نوى

غطاء رحمة إن اللوى عقلي لوى وعلى جمر الجوى ذبت هيام


الشعر : لسان الدين بن الخطيب
تابع وصلة النواشر
الإيقاع
الألحان : بهجت حسان
موشح رب ليل
سماعي ثقيل
= 144
النهاية

الايقاع



دور ١ رب ليل ظفرت بالبدر ونجوم السماء لم تدر

خانه حفظ الله ليلنا ورعى اي شمل من الهوى جمعا

غفل الدهر والرقيب معا

غطاء ليت نهر النهار لم يجر حكم الله لي على الفجر



الشعر : قديم — تابع وصلة النوا أثر — الإيقاع

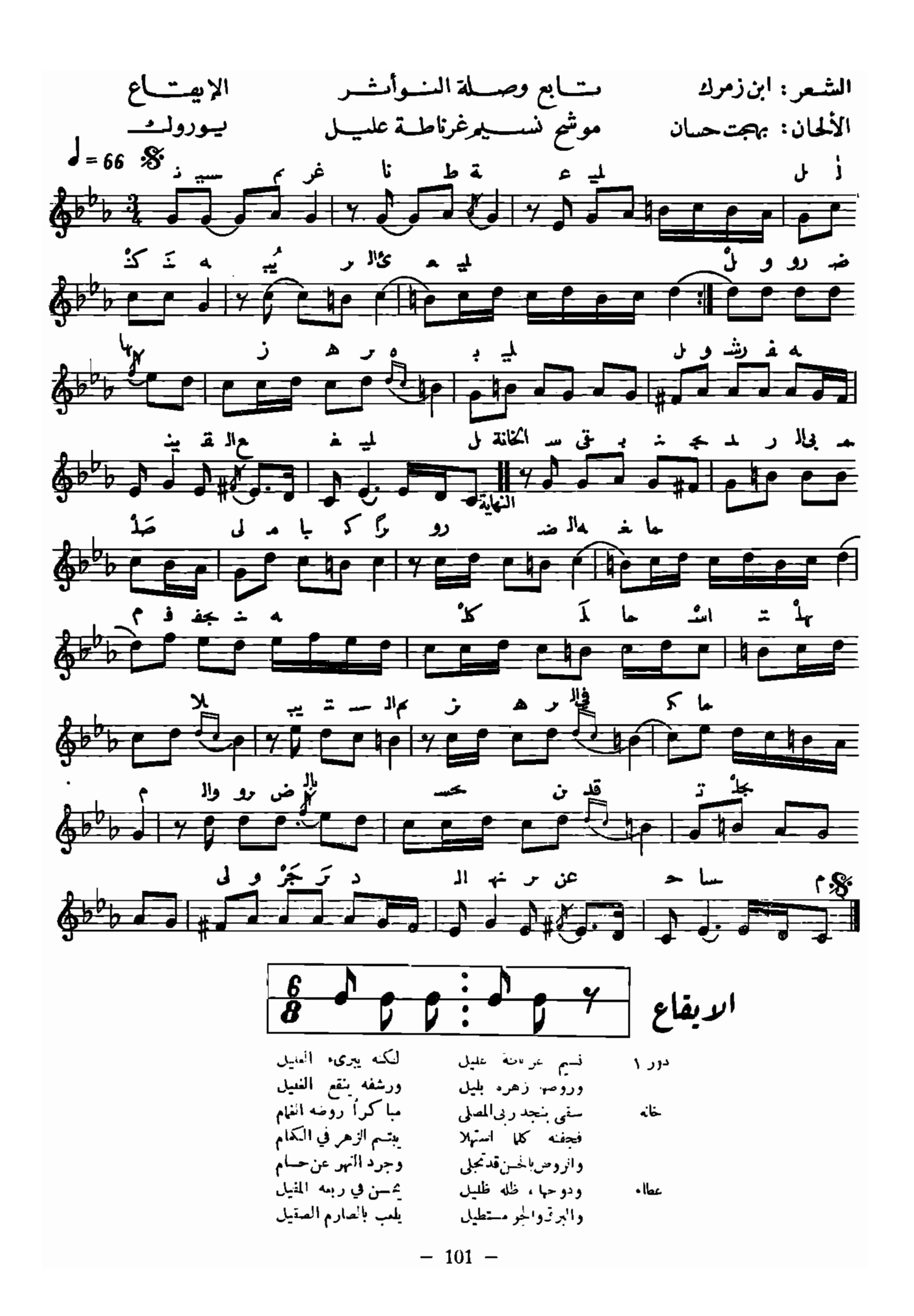
الألحان : المرحوم الشيخ علي الدرويش — موشح آه من نار جفاهم — قتاقوفتي

♪ 168

الايقاع



دور ١	آه من نار جفاهم والصدود	بعد جنات وفاهم بالعهود
	يا ترى عيش بهم يوماً يعود	بعد ما اغصانه الخضر ذووا
٢	دار من تهوى ودع في كل دار	مدعي الحب جهولاً غير دار
	فالهوى كأس على العشاق دار	فيه من فازوا وفيه من هووا
٣	للشهابيين اقمار العلا	صاح بادر إن ترم حسن الولا
	السراة القرشيين الاولى	من صفا العرفان والانس ارتووا



الشعر : ابن زمرك
تابع وصلة النوأثر
الإيقاع
الألحان : بهجت حسان
موشح نسيم غرناطة عليل
يورولك
♩ = 66
النهاية
الايقاع
دور ١
نسيم عرناطة عليل
لكنه يبرىء العليل
وروض زهره بليل
ورشفه ينقع الغليل
خانه
سقى بنجد ربى المصلى
مباكراً روضه الغمام
فجفنه كلما استهلا
يبتسم الزهر في الكمام
والروض بالحسن قد تجلى
وجرد النهر عن حسام
عطاه
ودوحها ، ظله ظليل
يحسن في ربمه المقيل
والبرق والجو مستطيل
يلعب بالصارم الصقيل


الألحان : المرحوم الشيخ علي الدرويش
سماعي نكريز
♪=120
10/8
1.
2.
PIZZ
1.
2.
النهاية
الخانة الثانية

تـــابع ســــماعي نكـــريـــز



تـــابع ســــــماعي نــــكريز




الشعر : قديم
وصلة من مقام النكريز
الإيقاع
الألحان : المرحوم عمر البطش
موشح زارني تحت الغياهب
الفاخت
♩ = 52
النهاية
الخانة
دليل المقام
سلم مقام النكريز
الايقاع
دور ١ زارني تحت الغياهب بدر تم لا يغيب
٢ واثنى بين الكواكب يخجل الغصن الرطيب
خانه قام يسقينا الحميا من لماه السكري
غطاه خده للعقل سالب في سنا الحسن العجيب

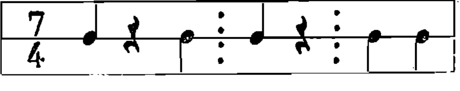
الشعر : قديم	تابع وصلة السكريز	الإيقاع
الألحان : بهجت حسان	موشح ما لألحاظك الصحاح	نواخت

♩ = 92

الخانة

النهاية





دور ١	ما لألحاظك الصحاح	اصبحت تسحر العقول
٢	اوثقت قلبي جراح	اسكرتنا بلا شمول
خانه	يا اميراً على الملاح	ومضاك الساحر يصول
عطاء	ان دمع العين باح	هكذا الهوى يجول



الشعر : قديم
تابع وصلة النكريز
الإيقاع
الألحان : المرحوم عمر البطش
موشح يا قوام البان
سماعي ثقيل
♪ = 152
موسيقا
النهاية
موسيقا لدخول الخانة
قد الخانة
موسيقا
الايقاع
10/8
دور ١ يا قوام البان عنك صبري بان
٢ لحظك المرهف للفؤاد اتلف اني مدنف فارحم الولهان
خانه قد ضناني الخال والقليب في حال وطال المطال يا سيد الغزلان
غطاء يا مدير الراح اسقني الاقداح املالي طفاح من بنت الدنان



الشعر : محمد حلواني
تابع وصلة النكريز
الإيقاع
الألحان : عبد القادر حجار
موشح يا غزالاً باللواء
سماعي ثقيل
♪ = 152
النهاية
الخانة
الايقاع
10/8
دور ١ يا غزالا باللواء متى ترضى عن صب وترحمه
٢ مقلتاه النوم حرقتا وتبدى دمعه دمه
خانه جد لعب باللقا كرماً كاد طول البعد يعدمه
غطاء انما الظلم على من ظلما يرحم الرحمن من يرحمه

الشعر : قديم　　　　تابع وصلة النكريز　　　　الإيقاع

الألحان : المرحوم الشيخ علي الدرويش　　　　موشح هل لمفتون العيون السود　　　　دور هندي

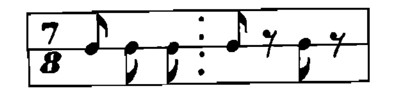
♪ = 168

موسيقا

النهاية

لبقية الأدوار

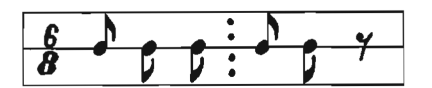
الايقاع



دور ١	هل لمفتون العيون السود	بالهوى يا منيتي راحم
	قد ترك جسمي برق بالعرد	فاتني ذو المرشف الباسم
٢	ما جرى لو تعم المقصود	وتزيل الهم يا راحم
	منيتي عمري اصبك جرد	بالتداني واترك اللايم


الشعر : فخري البارودي
تابع وصلة النكريز
الإيقاع
الألحان : المرحوم عمر البطش
موشح بين قاسيون وربوة
يورك
♩=76

الايقاع



دور ١	بين قاسيون وربوه	قد رُبي هذا الغزال
	ما لقلبي عنه سلوى	كيف اصنع يا رجال
٢	هل لوصل منه رجوه	صدقوا لي بالمقال
	قيل لا يعني لشكوى	كيف يسمح بالوصال
خانه	قلت لما ماس عطفاً	وانثنى كالخيزران
	لو تكن للصب الفاً	كان لي عزاً وشان
غطاء	قال لي هذا محال	خلي عنك ذا الكلام
	فانثنى نحوي وقال لي	مالك عندي آمال





الألحان : المرحوم الشيخ علي الدرويش   سماعي زنكلاه
= 120
الخانة الثانية
النهاية

تـــابع ســــماعي زنـــكلاه



تابع سماعي زنكلاه






الشعر : منير العمادي
الألحان : المرحوم عمر البطش
وصلة من مقام الزنكلاه
موشح إذا دعانا الصبا
الإيقاع
الفاخت
الخانة
النهاية
الايقاع
دور ١ اذا دعانا الصبا هبنا وكلنا سامع مجيب
٢ نصارع الكأس ولا نبالي . يكتم الدهر والغيوب
خانه غذاء اسماعنا غناء يكاد من لطفه يذوب
غطاء وزاد ابصادنا جمال تباح في حبه الذنوب



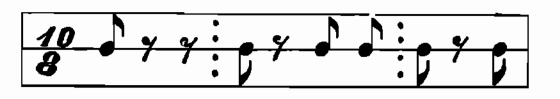
الشعر : قديم
تابع وصلة الزنكلاه
الإيقاع
الألحان : المرحوم عمر البطش
موشح طلعة البدر المنير
نيم دور
♩ = 66
النهاية
الخانة
الايقاع
دور ١ طلعة البدر المنير يا باهي الجمال
٢ انا في حبك اسير يا حاوي الكمال
خانه كم متيم في هواك هام في الغرام
غطاء وأنا أرجو رضاك جد لي بالوصال

الشعر : أبوالعلاء المعري — تابع وصلة الزنكلاه — الإيقاع

الألحان : مجدي العقيلي — موشح أيادارها بالحزن — سماعي ثقيل

♪ = 144

الإيقاع



دور ١	أيا دارها بالحزن إن مزارها	قريب ولكن دون ذلك أهوال
٢	إذا جن ليلي جن شوقي وزاده	خفوق فؤادي كلما خفق الآل
خانه	وماء بلادي كان انجع مشرباً	ألا إن ماء الكرخ صهباء جريال
عطاء	فيا وطني إن فاتني بك فائت	من الدهر فلينعم لساكنك البال



دور ١ بسم الدهر على هام الربى تاج حسن عسجدي زاهر
واكتسى السفح عبير السندس
زاهياً فيه عيون النرجس
كلما لاح لها في قبس

٢ اسدلت منه عليه الهدبا وزوت تنفر كعين الساهر
بلبل يشدو وطير يهدل
وغدير غار منه السلسل
وفؤادي معرض لا يحفل

٣ كلما مرت به نار الصبا اطفأ الشوق بدمعٍ ماطر


الألحان : نديم الدرويش
سماعي حجاز كار
♪=120
الخانة الثانية
النهاية
الخانة الثالثة

تابع سماعي حجازكار

الخانة الرابعة




الشعر : قديم
الألحان : قديم
وصلة من مقام الحجازكار
موشح نبه الندمان صاح
الإيقاع
النقش
١ - هزج
٢ - مدور تركي
٣ - مدور عربي

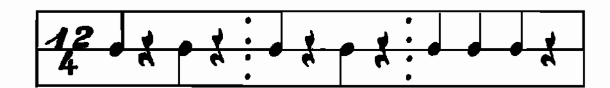
سلم مقام الحجاز كار



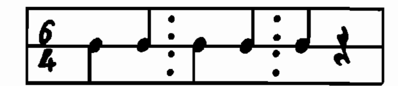
ايقاع الهزج



ايقاع المدور التركي



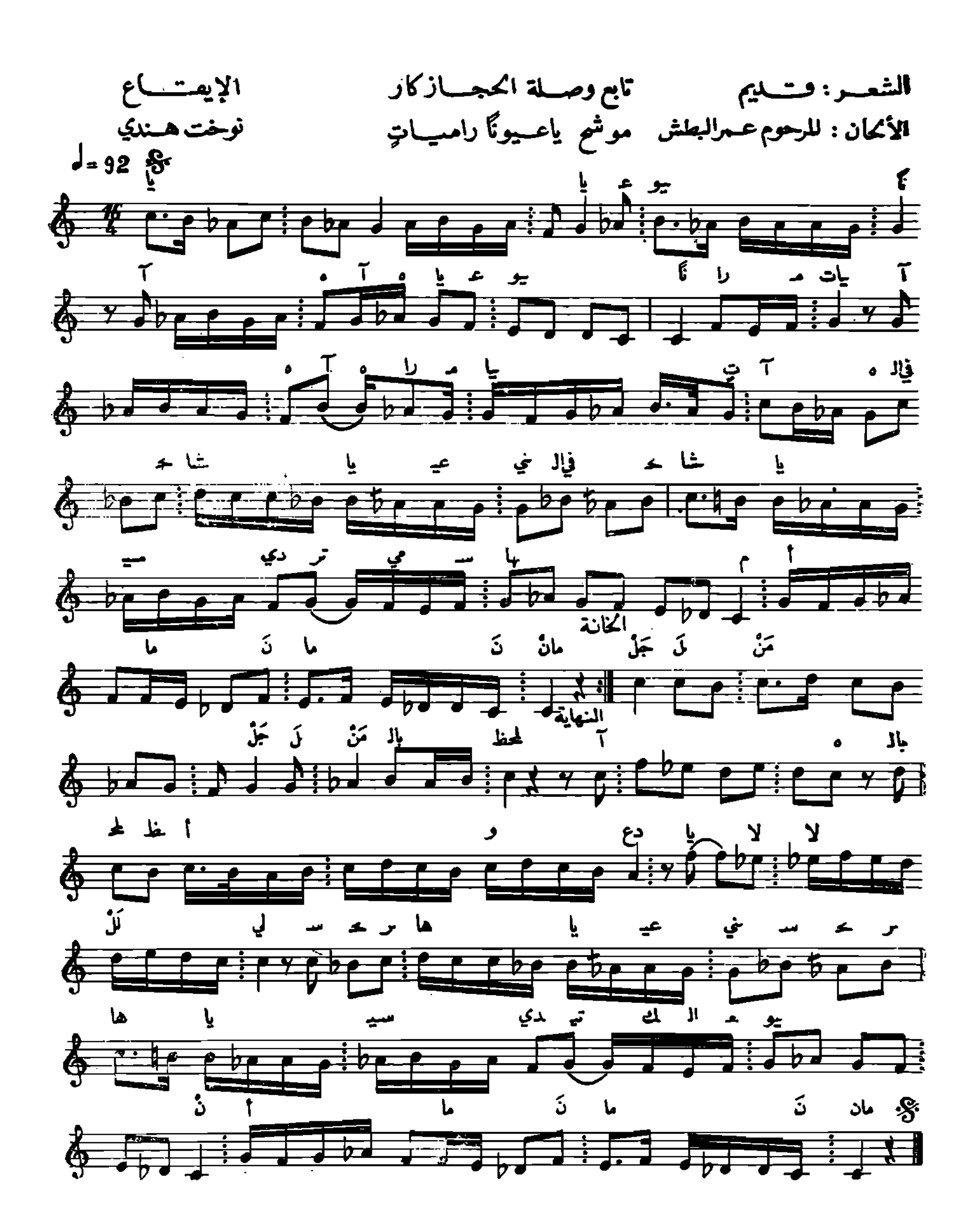
ايقاع المدور العربي



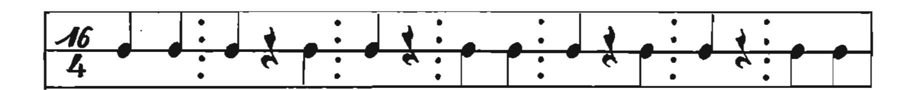
نبه الندمان صاحِ   إن داعي الانس صاح
حيث من ايدي الملاح   لاح نجم السعد لاح
وعيون الورد تسجم   دمعها فوق البطاح
وثغور الزهر تبسم   عن لآل واقاح

* * *

كوكب للحسن دارا   فحا شمس النهار
ضوء خديه أنارا   منه لي نور ونار
يا كليم العشق كلم   إن باقي العمر راح
والهوى العذريّ علّم   أهله خلع العذار


الشعر : قديم
تابع وصلة الحجاز كار
الإيقاع
الألحان : للمرحوم عمر البطش
موشح ياعيوناً راميات
نوخت هندي
♩= 92
الخانة
النهاية

الايقاع

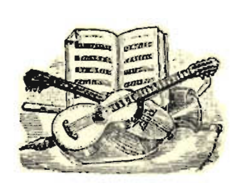


دور ١   يا عيوناً راميات   في الحشا ترمي سهام

٢   وخصوراً ناحلات   زانها حسن القوام

خانه   جل من باللحظ اودع   سحر هاتيك العيون

غطاء   وجفوني ساهرات   لم تذق طعم المنام



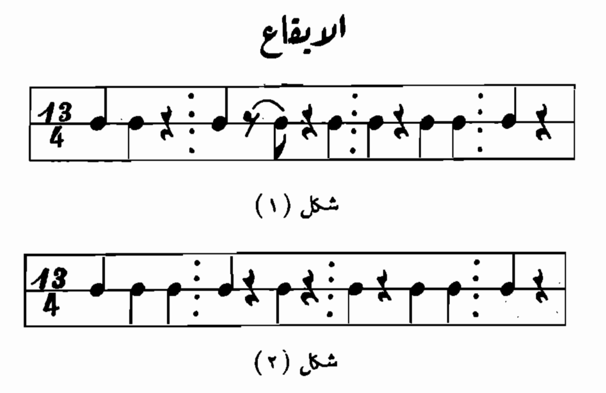


الشعر : قديم
تابع وصلة الحجازكار
الإيقاع
الألحان : المرحوم محمد عثمان
موشح اسقني من الراح
المربع
♩= 76
الخانة
النهاية

بقية موشح اسقني من الراح



الايقاع



شكل (١)

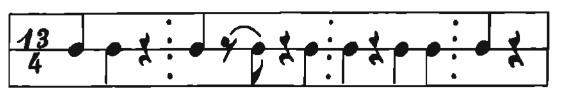
شكل (٢)

دور ١	اسقني من الراح	وافرح الارواح
٢	نور جبينك لاح	حسنه الفضاح
خانه	زادني اشجان	تيه غصن البان
	حين بدا بالراح	
غطاء	ينشي يا صاح	في حلى الأفراح



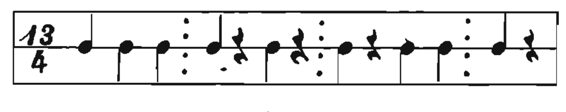
الشعر : ابراهيم حسني
تابع وصلة الحجازكار
الإيقاع
الألحان : صفر علي .
موشح ياقلبي من قال لك تعشق
المربع
♩= 84
الخانة
النهاية

الايقاع



شكل (١)

الايقاع



شكل (٢)

دور ١	يا قلبي مين قال لك تمشق	غزال جميل احلى من البدر
٢	اخاف ليوم من دول تفرق	في الدمع لما يقل الصبر
خانه	يا ليل فؤادي انا مايته	من حب محبوبي الفتان
غطاء	يا ريت حبيبي يا ريته	يرحم ويرضى عن الولهان

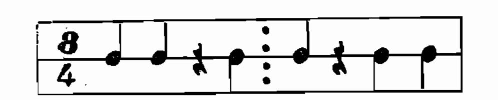


الشعـر : قـديم — تابع وصـلة الحجـازكار — الإيقـاع

الألحان : قـديم — موشح زارني المحـبوب — المصـمودي

♩= 76

الايقاع



دور ۱	زارني	المحـبوب	في رياض	الآس
	روّق	المشروب	وملالي	الكاس
۲	ثغره	المرغـوب	عـاطر	الانفـاس
	فـاز	بالمطـلوب	من له	قد باس
۳	قلت له يا	زين	يا	رشيق القد
	يا كحيل	العين	يـا	نديّ الخد



(١) ايقاع فكرة ليس بايقاع فكرتي المعروف والذي هو ١٥/٤ وانما هو اقرب الى ايقاع الرقصان لما الذي ايقاعه ١٥/٨

الايقاع



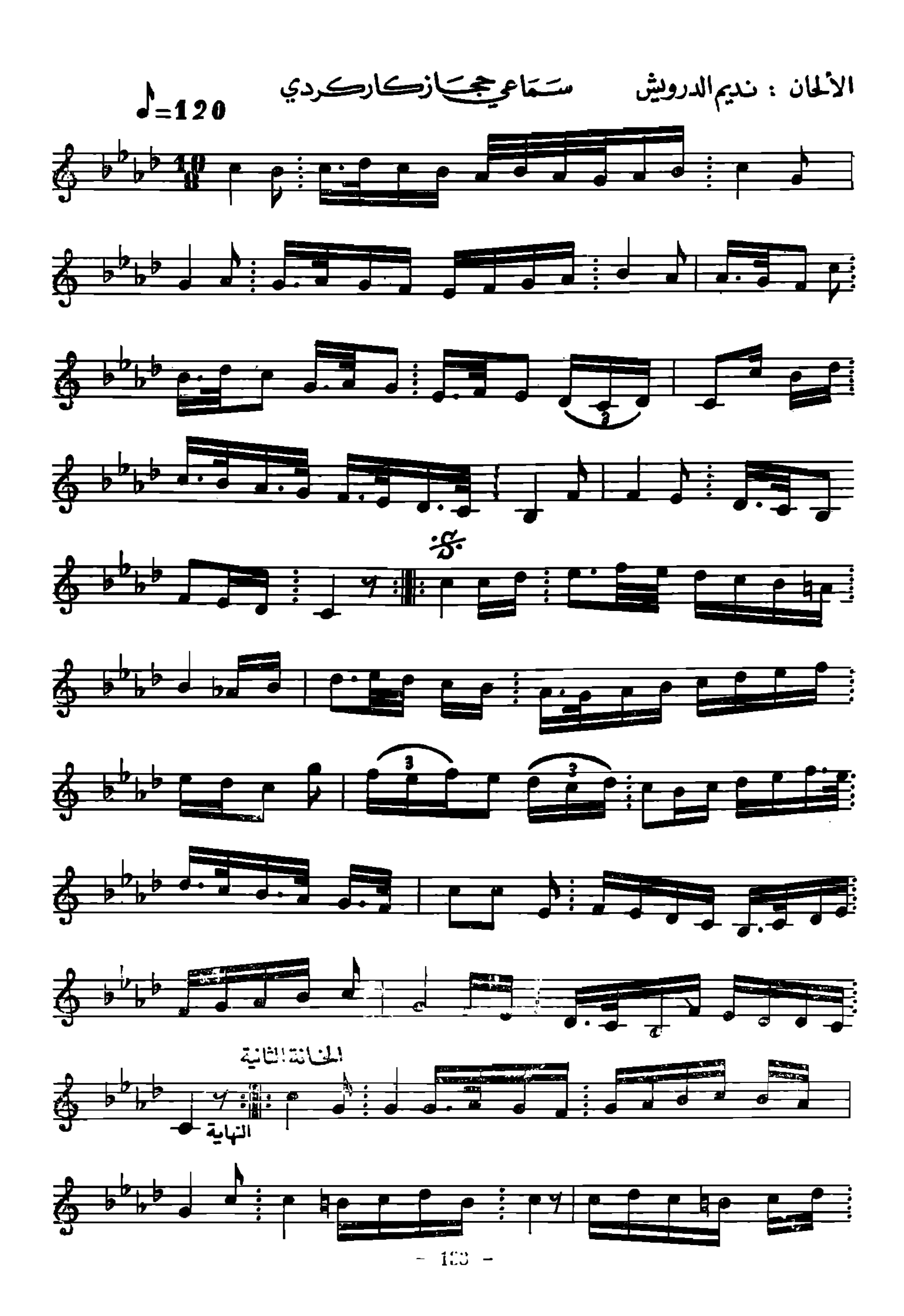
دور ١   يا صاحب السحر الحلال   الى متى هــذا الدلال

٢   يكفي جمالك فتنة   للنـاس يا باهي الجمال

خانه   يا للغرابة إن طلبت الوصل   قلتَ انـا محـال




الشعــر : قـديم
الألحـان : قـديم
تابع وصـلة الحجـازكار
موشح مُـرالتجـني
الإيقـاع
سـماعي ثقـيل
♪ = 152
الخانة
النهاية
الايقاع
10/8
دور ١ مُرُّ التجني بديعُ الحيـا حلو التثني ادر لي الحيا
٢ لا تنأ عني دلالا وعيـا العشق في وأنى الثريا
خانه حـبي غرامي ونيران وجدي والدمع هامي ولست أبدي
غطاء انت مرامي وقل هاك خدي واشرب وغني وفي الكاس هيا



الألحان : نديم الدرويش
سماعي حجازكاركردي
=120
الخانة الثانية
النهاية


تابع سماعي حجاز كار كردي
الخانة الثالثة
الخانة الرابعة


تابع سماعي حجازكار كردي



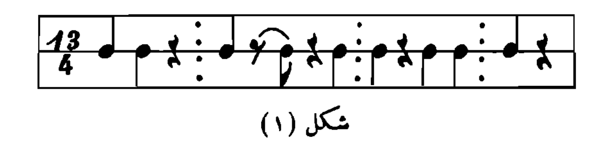
الشعر : قديم
وصلة من مقام الحجاز كاركردي
الإيقاع
الألحان : المرحوم عمر البطش
موشح يمر عجبًا
المخمس التركي
♩ = 80
موسيقا
النهاية
الخانة
دليل المقام
سلم مقام الحجاز كاركردي
الإيقاع
32/4
دور ١ يمر عجباً ويمضي ولا يؤدي السلام
٢ أليس هذا عجيبا أليس هذا حرام
خانه العشق يا ناس يقضي بشرب كاس الحمام
غطاء إذا الحبيب تجنى على أسير الغرام


الشعر: قديم
الألحان: صفر علي
تابع وصلة الحجاز كاركردي
موشح الا في سبيل الله
الإيقاع
المربع
♩ = 72

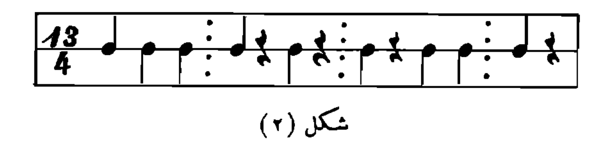
تابع موشح الا في سبيل الله



الايقاع



شكل (١)



شكل (٢)

دور ١ — الا في سبيل الله صبري على البعد
وهل جلد تلقاء ذي التيه والصد
رجوتك يا هند الوصـال ولـت لي
بـمحى فآن الموت من لي بالمندي

خانه — وقد كنت من عذب الوريد على صفـا
روياً ومن خديك اجني جنى الورد

غطاء — فأصبحت لا ألقى سوى الهجر منتهى
فيارب عوضنيه بالقرب والود

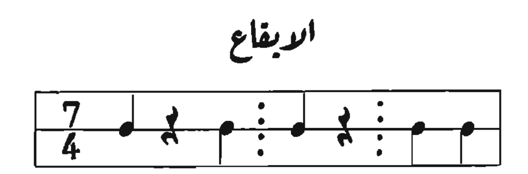


الشعر: قديم
تابع وصلة الحجازكاركردي
الإيقاع
الألحان: الشيخ درويش الحريري
موشح حبي زرني ما تيسر
نواخت
♩=68
موسيقا
النهاية
موسيقا لدخول الخانة

تابع موشح حبي زرني ماتيسر



الايقاع



دور ١	حبي زرني ما تيسر	واسقني من فيك سكر
٢	إن ذلي ليس ينكر	واعف عني يا ذا الاسمر
خانه	حبي حبي نيك ناري	فيك قد عز اصطباري
غطاء	صرت اشكو لا اداري	في هواك الله اكبر



الشعر : فخري البارودي — تابع وصلة الحجاز كار كردي — الإيقاع

الألحان : المرحوم عمر البطش — موشح طال عمر الليل عندي — نواخت

♩ = 92

النهاية

الخانة

يقاع



طال عمر الليل عندي　　مذ عشقت يال ودي

يا غزالاً نقض العهـ　　ولم يوفي بوعدي

دور

أنسيت العهد إذ　　بتنا على مفرش وردي

والتففنا بوشاحٍ　　وانتظمنا نظم عقد

خانه

ونسيم الليل يرمي　　خصلة الشعر بخدي

ونجوم الليل تروي　　ذهباً بلا ذِ وردي


الشعر: قديم
تابع وصلة الحجاز كار كردي
الإيقاع
الألحان الدور: قديم الخانة: المرحوم عمر البطش
موشح طف يادري
الظرافات
♪ = 176

تابع موشح طف يادري



الايقاع



طف يا دري بالتداني   واملالي راحاً وراح
واسقنيها بالتداني   في كؤوسٍ للصباح

قف وغني في الليالي   واطرب الندمان صاح
انت روحي وحياتي   انت لي سيد الملاح

خانه

قم يا خلي ولا تبالي   من رقيبٍ او ملام
وتعطف يا غزالي   دون عذرٍ او كلام




الشعر: قديم
تابع وصلة الحجاز كاركردي
الإيقاع
الألحان: يحيى السعودي
موشح ياظالمي حقا
سماعي ثقيل
=144
النهاية
الخانة

تابع موشح ياظالمي حقا

ك سا خنْ ةالـ ـنـ

مانْ أ ك وا هـ لا إلْ

الايقاع



دور ١

يا ظالمي حقا بكفيك ما القى

فتنتي عشقا بمرهفي عيناك

أما كفاك

٢

يا شمس يا بدر يا شهد يا خمر

يا مسك يا عطر المسك من رياك

ومن لماك

خانه

اضرمت بالسقم ناراً على جسمي

تالله ما جرى يافتنة النساك

الا هوك

غطاء

لو لاك يا أغيد لم تلقني اسهد

أراقب الفرقد كأن من يهواك

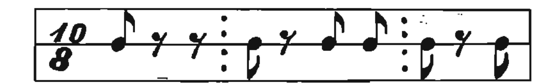
فيه براك


الشعر : الدكتور علي الناصر
تابع وصلة الحجاز كار كردي
الإيقاع
الألحان : بهجت حسان
موشح يا ثورة الحسن
سماعي ثقيل
♪ = 144
موسيقا
الخانة
النهاية

تابع موشح ياثورة الحسن

ك سوا نجـ ه آ ه

الايقاع



دور ١ يا ثورة الحسن تعشى العين ان نظرت اليك

فاجلي دجاها في خفاياك

٢ ومنعي الوهم ان يقضي بنها ثملاً

في غفوة ملؤها احلام مرآك

خانه الحس أرهفه طول الرنين فلا ترجي

اليه سوى همسات نجواك

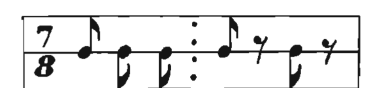
غطاه دعيه كالبلبل الغريد أنحله

لحن تقمّص وجداً في حناياك




الشعر : البهازهير
تابع وصلة الحجازكاركردي
الإيقاع
الألحان : يحيى السعودي
موشح سلم الله
دور هندي
=152
النهاية

الايقاع



دور ١	سلم الله على من	جاءنا منه السلام
	وسقى عهد حبيب	لا اسميه الغمام
٢	عاذلي ان حبيبي	حسنٌ فيه الغرام
	سمه ان لمتني فيه	يطب ذاك الملام
خانه	لاتسل في الحب غيري	انا في الحب امام
	لي فيه مذهب	يتبعني فيه الانام
غطاء	اغرام ما بقلبي	ام حريق ام ضرام
	كل نار غير نار	العشق برد وسلام



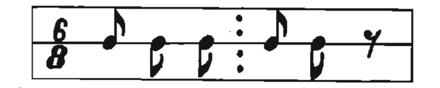


الشعر : صبحي المصري
تابع وصلة الحجازكاركردي
الإيقاع
الألحان : بهجت حسان
موشح صاح هات الزقَّ
ثالس
♩ = 176
النهاية
DC
الايقاع
3/4
صاح هات الزقّ وارکن للشراب
واطرف الخلان من مزّ المدام دور
واهجر الشكوى واترع كأسنا
يا نديم الراح قد طال السقام خانه
إنما العمر كجفن ناعس
إنما الدهر كضرب الطاس دور
هكذا الايام تغدو كالسحاب
قد دهى الماضي الِيلا ما من مقام
- 150 -

الشعر : مصطفى خلقي	تابع وصلة الحجازكاركردي	الايقاع
الألحان : يحيى السعودي	موشح لو كنت تدري	يوروك

♩=84

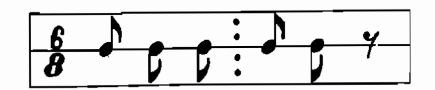
الايقاع



دور ١	لو كنت تدري	ما الحب يفعل	بالوصل يوماً	ما كنت تبخل
	ظبي كحيل	حلو المحيا	الغصن منه	إن ماس يخجل
٢	يا من هواه	اضنى فؤادي	كالبدر انت	بل انت اجمل
	شرب الحميا	منكم حلالي	قم يا نديمي	نشرب ونثمل
٣	مالي سواكم	روحي فداكم	دوماً رضاكم	والله أسأل
	ان كان حبي	يقضي بقتلي	سلمت امري	لله فافعل



الايقاع



يا بهجة الروح جد لي بالوصال   الفؤاد مجروح ولا له احتمال

دور

إزاي يهجرني وانا قلبي يهواك   بعدك جنني اسمح بالوصال

خانه

هات كأس الراح واسقيني الاقداح

وجهك الوضاح ما له من مثال

دور

جد لي يا بدري بلثم الثغر   لو كنت تدري ان حالي حال

الألحان : الحاج عبداللطيف النبكي سماعي بياتي

♪=144

الخانة الثانية

النهاية

الخانة الثالثة

الخانة الرابعة

تـــابع ســــماعي بيـــاتي

1

2


الشعر : قديم
وصلة من مقام البياتي
الإيقاع
الألحان : قديم
موشح بدت من الخدر
♩=82
النهاية
الخانة
♩=80


تابع موشح بدت من الخدر
♩=92
دليل المقام
سلم مقام البياتي
ايقاع المحجر
14/4

شكل (١)

شكل (٢)

ايقاع الستة عشر المصري

$\frac{32}{4}$

ايقاع اليوروك

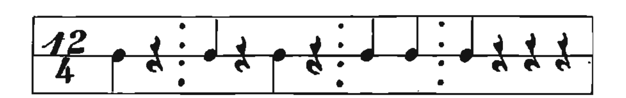
$\frac{6}{8}$

دور ١	بدت من الخدر	في هيكل الاقمار
٢	تزهو على البدر	وتخجل الاقمار
٣	من ريقها خمري	وثغرُها الخمار
خانه	قم يا ساقي الراح	نستجلِ الاقداح
	واملالي ـ جريالي ـ تجلى لي ـ يا صاح	
	لقد تهيأ	سكري مع الملاح
غطاء	سحّت وما شحّت	من عالم السرِ




الشعر : قديم
تابع وصلة البياتي
الإيقاع
الألحان : قديم
موشح فيك كل ما أرى حسن
المدور المصري
♩= 66

الايقاع



دور ١	فيك كلما أرى حسن...	مذ رأيت شكك الحسن	جلّ من به عليك منّ
٢	ايها الذي الصدود سن	من لسيف أدعجيك سن	لِمْ حرمت مقلتي الوسن
خانه	مدمعي دما نما عندما هما	روّ با للمى ظلما من تألما	
غطاء	إن صبّك النحيل أنّ	جنّ كلما الظلام جنّ	بالشجى ينوح والشجن



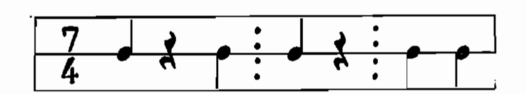

الشعر : قديم
تابع وصلة البياتي
الايقاع
الألحان : قديم
موشح حي دعاني للوصال مقام" قارجغار "
عويص
♩ = 120
دليل المقام
سلم مقام القارجغار " شوري "
الايقاع
11/4
دور ١ حي دعاني للوصال من بعد ذلي والهوان
٢ الوصل يحلو لا كلام والحر يأبى ان يهان

الشعر : قديم — تابع وصلة البياتي — الايقاع

الألحان : قديم — موشح اجمعوا بالقرب شملي — نواخت

♩ = 92

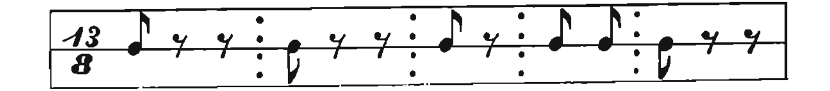
الايقاع



دور ١	اجمعوا بالقرب شملي	واسمحوا لي بالتلاق
٢	واصلوا بالود حبلي	فالنوى مرّ المزاق
٣	نال اهل العشق قبلي	في الهوى ما لا يطاق
٤	من رأى في الناس مثلي	من تباريح الفراق



الايقاع



دور ١ والذي ولاك يا قلبي تحتكم فيه مرادك

٢ ما سكن غيرك فؤادي لا ولا انسى ودادك

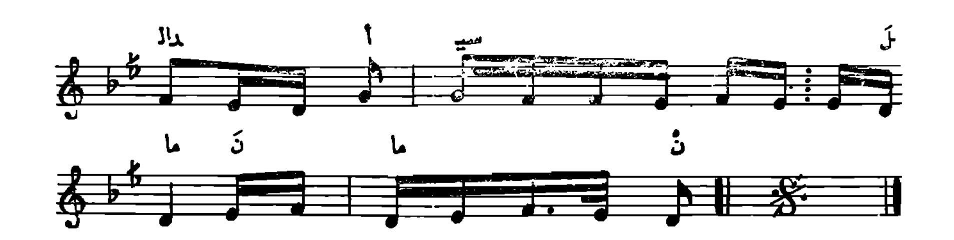
٣ ياجميل اجلس قبالي وانظر ايش خليت بحالي

٤ ما بقى الا خيالي رق وارحم يا غزالي




الشعر: قديم
تابع وصلة البياتي
الإيقاع
الألحان: قديم
موشح أيا مرادي
سماعي ثقيل
♪=152

تـابع موشـح أيـامرادي



دور ١   أيا مرادي الى كم   هذا الجفا والدلال

اما لوصلك دليل

٢   عامل محبك بلطفك   يا من حويت الجمال

فالهجر ما هو جميل

خانه   كيف العمل ما ضيمي   دمعي على الخد سال

راعي الخديد الاسيل

غطاء   واكفف سهام اللواحظ

ولا تروم النزال

اني بحبك نزيل

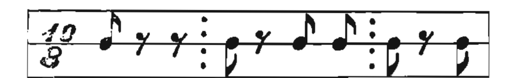


الشعر: قديم
تابع وصلة البياتي
الإيقاع
سماعي ثقيل
الألحان : قديم
موشح املا لي الأقداح صرفا



تابع موشح املالي الأقداح صرفا
ها
ح با صـ للصّـ ها
من آ موسيقا لدخول الخانة
مدي قو ر خمْ
لي يا حه
ها شر موسيقا لْ
حا قيـ سـ وي السّ يب
عي لِ طا موسيقا
في
ذّ عيـ سـ ها

الايقاع



دور ١ املالي الاقداح صرفاً واسقنيها للصباح

٢ شربها تيهاً وعجباً نورها كالفجر لاح

خانه آه من خمرٍ قديمه شربها يبري السقيما

طالعي فيها سعيد

غطاء كل من قد هام تيهاً هو نديمي للصباح

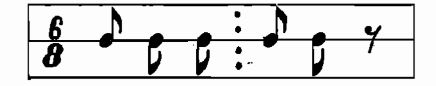


الشعر: قديم — تابع وصلة البياتي — الايقاع

الألحان: قديم — موشح بالذي اسكر — يوروك

النهاية

الايقاع



دور١: بالذي اسكر من عرف اللمى	كل كاس تحتسيه وحبب
٢ والذي كحل جفنيك بما	سجد السحر لديه واقترب
خانه: والذي أجرى دموعي عندما	عندما اعرضت من غير سبب
غطاء: ضع على صدري يمناك فما	أجدر الماء باطفاء اللهب

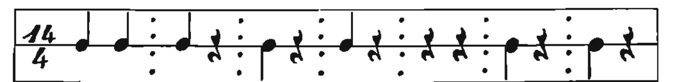


الشعر : قديم
وصلة من مقام الحسيني
الإيقاع
الألحان : قديم
موشح هل على الأستار
المحجر
=72

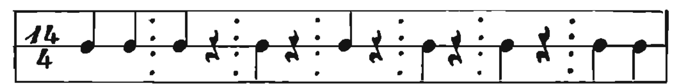

تابع موشح هل على الأسنار
النهاية
دليل المقام
سلم مقام الحسيني

الايقاع

شكل (١)



شكل (٢)



دور١ : هل على الأسْتار هتك   يا أهيْلَ الحي

َحقّ لي والله اشكو   مذ براني العي

٢ : والهوى ذَوْبٌ وفتك   والتجافي كي

فارحموا العشاقَ وابكو   قدجفتني مي

خانه : هل لكم علم بحالي   معشرَ العشاق

زاد شوقي وُهزالي   زادني اشواق



الشعر: قديم | تابع وصلة الحسيني | الإيقاع

الألحان: قديم | موشح خلا العذار | نواخت

الايقاع



دور١: خلا العذار من وجنتيك	اسمر ياناري عليك
٢ : ماعدت انا طيق الجفا	يامنيتي داحل عليك
خانه : علمتني نوح الحمام	واسقيتني صافي المدام
غطاء: زرني ولو كان في المنام	ياراية بيضا عليك

الشعر : ابن بقّي　　　　تابع وصلة الحسيني　　　　الإيقاع

الألحان : بهجت حسان　　　　موشح من طالب　　　　المدور العربي

♩ = 66

ر ثا : مـــوســـيقا : لب طا من

ج دو ى تيال يا ظب لي قتـ

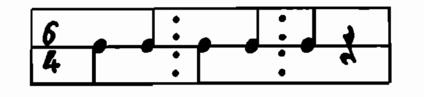
تا فتْ : مـــوســـيقا : لا لا

بٍ ب هم مي تر لخانة ج بجي ى تيال نا

النهاية

م را ى تيال بي كال حو م يا

الايقاع



دور　من طـالب　ثار قتلي ظبيات الحدوج　فتانات الحجيج
خانه　ترميهم بسهام　حول البيت الحرام

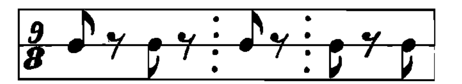
دور　فالشــاحب　يشهي قطف شقيق الاريج　قالت ياعشقي جي
خانه　مرّتْ بي فاصفررتُ قالت حببتَ قلت

دور　فالراغــب　ثم في فصل التق والمجيج　خلف الشوق الوهيج
خانه　قد طال الشوق طالا　وحظي منك لالا

الشعر: قديم — تابع وصلة الحسيني — الإيقاع

الألحان: قديم — موشح آه ما أحلى المدامة — 152 = ♪ اقصاق

الايقاع



دور١:	آه ما احلى المدامه	بين ارباب الغراما
	شربها يبري السقاما	إملالي صافي القناني
٢	عتقوها بالكؤوس	وهي تجلى كالعروس
	شربها يحي النفوس	إملالي صافي القناني


سماعي حجاز
الألحان محمد عبده
♪ = 152
1
2
الخانة الثانية
النهاية
الخانة الثالثة

تابع سماعي حجاز

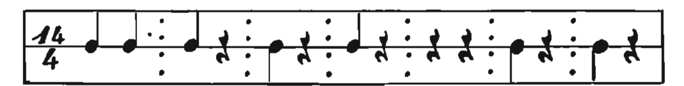
الخانة الرابعة



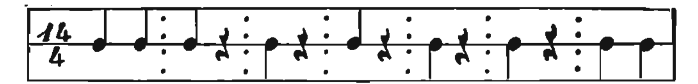

الشعر : قديم
الألحان : قديم
وصلة من مقام الحجاز
موشح يا قوام البان
الإيقاع
المخمس المصري
♩ = 80
النهاية
لازمة
دليل المقام
سلم مقام الحجاز

الايقاع

شكل (١)



شكل (٢)



دور ١ يا قوام البان يا زين الملاح

٢ يا اخا الغزلان يا فجر الصباح

خانه جد لمضناك الذي امسى رهين

غطاء واغنم الاحسان ما لي من نجاح





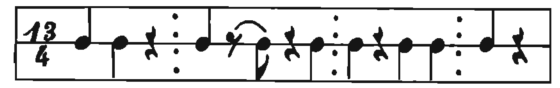
الشعر: قديم
تــابع وصـــلة الحجـــاز
الإيقـــاع
الألحان : قـديم
موشـــح لـيـــالي الوصـــل
المـــربع
=66
النهاية

تابع موشح ليالي الوصل

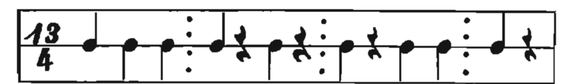


الايقاع

شكل (١)



شكل (٢)



دور ١	ليالي الوصل عندي عيد	وأوقات اللقا مغنم
	وقربي من مايك الغيد	لأمراض الحشا مرهم
خانه	وجوبي للفيافي البيد	وخوضي في الدجى واليم
غطاء	وأشجاني مع التسهيد	دواعي شوقي المحكم

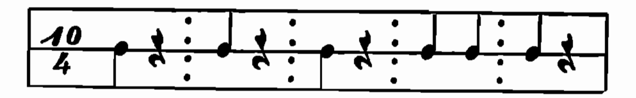


الشعر: قديم
الألحان: قديم

تابع وصلة الحجاز
موشح فيك كل ما أرى حسن

الإيقاع
المدور الشامي
♩ = 84

الايقاع



دور ١	فيك كل ما أرى حسن	مذ رأيت شكلك الحسن	جل من به عليك من
٢	ايها الذي الصدود سن	من اسيف أدعجيك سن	لِم حرمت مقلتي الوسن

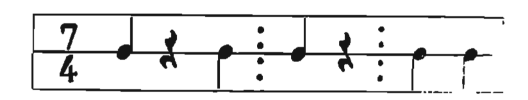

الشعر: قديم
تابع وصلة الحجاز
الإيقاع
الألحان: قديم
موشح املالي يادرّي
نواخت
♩ = 72
موسيقا للدور الثاني
موسيقا لدخول الخانة
الخانة

تابع موشح إملالي يا درّي





الايقاع

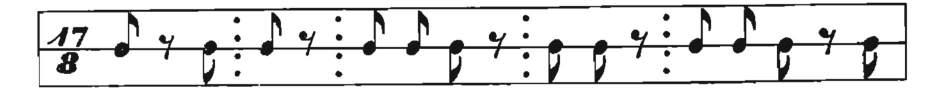


دور١	املالي يا دري	من صافي الدنان
٢	واجلها يا بدري	يا حور الحسان
خانه	املالي يا صاح راحي	واجلُ لي الاقداح
	من مدامه تبري	فؤادي الظمآن





الايقاع



دور ١	سلّ فينا اللحظ هنديا	وأرانا القد خطيا
٢	بان غصن البان مذ غنى	حاملا في الروض قُمريا
٣	واللما ممزوج بالكاس	قد دعا ميت الهوى حيا
خانه	حسنه قد فاق يوسفه	خده قد فاح مسكيا
غطاء	والعيون سهم به ترمي	كل قلب فيه حسيا

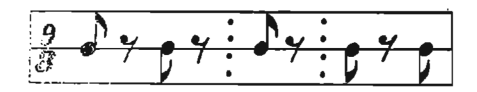



الشعر : قديم
تابع وصلة الحجاز
الإيقاع
الألحان : قديم
موشح ما احتيالي يا رفاقي
أقصاق
♪ = 132

تابع موشح ما احتيالي يا رفاقي



الايقاع



دور ١ : ما احتيالي يا رفاقي   في غزال

٢   علم الغصن التثني   حين مال

خانه : ذبت شوقاً وهو عني   معرض

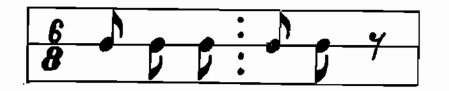
لست ادري اهو بخل   ام دلال



الإيقاع	تابع وصلة الحجاز	الشعر : قديم
يورولك	موشح يا راعي الظبا	الألحان : المرحوم كامل الخلعي

♩ = 84

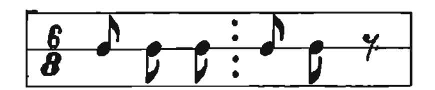
الايقاع



دور ١	يا راعي الظبا		في حيِّك غزال
	خلته في قبا		مذ رنا وصال
٢	قال خذ هبا		واشربها حلال
	ناديت مرحبا		يا بدر الكمال
خانه	قل لي يا معسون		ما هذا الدلال
	يا حلو المجون		ما آن الوصال
	زادت بي شجون		سلوايَ محال
	وحالي	أبى	عن غيرك ومال


الشعر : الدكتور فؤاد رجائي
تابع وصلة الحجاز
الإيقاع
الألحان : عبدالقادر حجار
موشح سل ما بدا لك
يورولك
♩= 84
النهاية

الايقاع



دور ١ سل ما بدا لك يا سمير سهادي

انت المحكم في النُهى وفؤادي

٢ واحسن بذي الانات ظناً إنني

حاسبت قلبي فاحتُسِبت ودادي

خانه سحَّت جفوني يا جميل فرحمةً

بالصيّب المدرار من اكبادي

غطاء : نلتُ المنى يوم التقينا إنه

كلّ المراد وإن اضاع رشادي




الشعر : صبحي المصري
تابع وصلة الحجاز
الإيقاع
الألحان : بهجت حسان
موشح روعتني ظبية
يورولك
♩= 66
موسيقا لإعادة الدور الثاني
النهاية
موسيقا لدخول الخانة
الخانة



الايقاع



دور ١ : روّعتني ظبية تجني النقا في الروابي بين قطرات الندى

٢ قلت من قالت انا من أسعرت في الحشا ناراً ولم تمدد يدا

خانه قد رويت الارض من دمع المقل

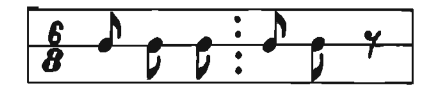
واعتصرت الروح من قلب نحل

غطاء : قلت مه قالت أماناً صائدي ليت شعري من مغيثي بالفدا





الايقاع



دور ١	نمّ دمعي من عيوني ونما	في فؤاد قلق
٢	لم أكن اعهده يجري دَما	قبل عهد الأرق
٣	من رشا حلو التثني واللمى	راعي الخد النقي
خانه	كم أناديه وناري أضرما	وحشاني قد وقد
غطاء	يا رشا الحيف وذياك الحمى	مددَ اللهِ ، مَددْ



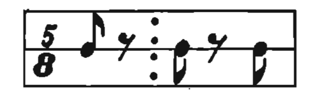


الشعر : الدكتور فؤاد رجائي
تابع وصلة الحجاز
الإيقاع
الألحان : المرحوم عمر البطش
موشح فتاكة اللحظ
أقصاق تركي
♪ = 168
موسيقا لإعادة الدور الثاني
موسيقا لدخول الخانة
النهاية
الخانة
موسيقا

تابع موشح فتاكة اللحظ



الايقاع



دور ١ فتاكة اللحظ ممشوقة القد
فتانة اللفظ وثابة النهد

٢ فاقت ببهجتها ازهار احلامي
فاتت بطلعتها اسرار ايامي

خانه يا زهرة الاحلام هذي بقاياك
ألعوبة الارياح

غذيتني الاوهام والقلب غذاك
من سلسل الارواح

٣ العين ترعاك والقلب مثواك
صوني ضحاياك من سحرك الفضاج
يا مقلة الصب في البعد والقرب
قد لذ لي شربي من حبك الاقداح





الألحان : عبدالفتاح سكر
سماعي صبا
♪=120
10/8
الخانة الثانية
النهاية
الخانة الثالثة

تـــابع ســـماعي صبـــا

الخانة الرابعة





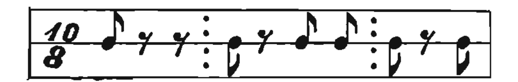
الشعر : قديم
الألحان : قديم
وصلة من مقام الصَّبا
موشح غضي جفونك
الإيقاع
الأوفر المصري
♩=72
النهاية
الخانة



تابع موشح غضي جفونك
دليل المقام
سلم مقام الصبا
الايقاع
شكل (١)
19/4
شكل (٢)
19/4
دور ١	غضي جفونك يا عيون النرجس
دور ٢	منك استحيت بأن اقبل مؤني
خانه	نام الحبيب ودبلت أجفانه
غطاء	وعيونكن شواخص لم تنعس


الشعر : قديم
تابع وصلة الصَبا
الإيقاع
الألحان : قديم
موشح أهوى قمرًا
سماعي ثقيل
=132
موسيقا
الخانة
النهاية

الايقاع



دور ١ اهوى قمراً سهامه عيناه باللحظ يصيب قلب العشاق
ولا سببا

دور ٢ يهوى تلفي ومهجتي تهواه دا أمر عجيب عاشق مشتاق
فانظر عجبا

خانه أقسمت اليه بالذي سواه حاضر وبحيب قيوم خلاق
قد احتجبا

غطاء لم أعشق غيره ولم اسلاه لو عشت غريب في وادي عراق
بين الغربا



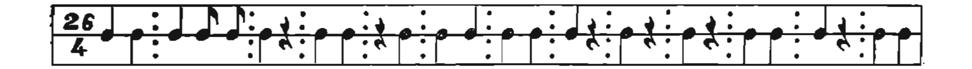


الشعر : قديم
تابع وصلة الصبا
الألحان : قديم
موشح العنايا صدف
الإيقاع
يورك
♩=92
النهاية
الايقاع
دور ١ العنايا صدف في خبايا الايام
والمطايا تحف لا بسعي الاقدام
٢ قدعرف من قدعزف وجهل من قد لام
لا تعول على غير أهل الصدق
خانه قد عطا رب ساهر وحرم رب قاهر
هكذا العقل حائر
غطاه لست ترقى العلا في البها والحذق
يسعد الله من شاه ومن شاه يشقي


الشعر: قديم
وصلة من مقام السيكاه
الإيقاع
الألحان: المرحوم الشيخ علي الدرويش
موشح ياساكنا بفؤادي
وَرَش
♪=66
موسيقا



الايقاع



دور ١ يا ساكناً بفؤادي ما آن ترعى ودادي
اتلفتني ببعادي حرمت جفني رقادي
بالله يكفي تمادي

٢ ما حيلتي بالتجني مذ غبت يا حلو عني
لو جدت لي بالتمني بلغت منك مرادي
بالله يكفي تمادي

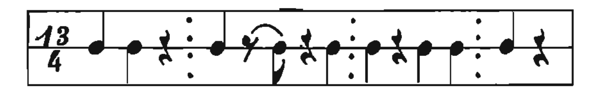



الشعر : قديم
تابع وصلة السيكاه
الإيقاع المربع
الألحان : المرحوم عمر البطش
موشح يامعير الغصن
♩= 76

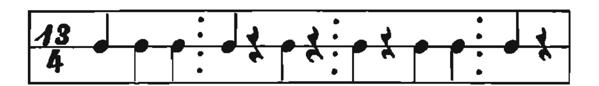

تابع موشح يامعير الغصن
آ بي قل بـ ما بي
بي حبْ لك منـ ه
كلْ لا يا لا يا خي عيـ يا
آ لي
لا لا يا ه آ ه
ضـ مَوْ لْ ليـ يا
لا لا يا لا لا يا ح
يا لا يا ه آ
آ لا لا يا لا
خا هـ ذ والْ ه
لْ لي يا لْ ليـ يا آه لْ

الايقاع

شكل (١)



شكل (٢)



دور ١ يا ممير الغصن لين القد عندما بالقد مال

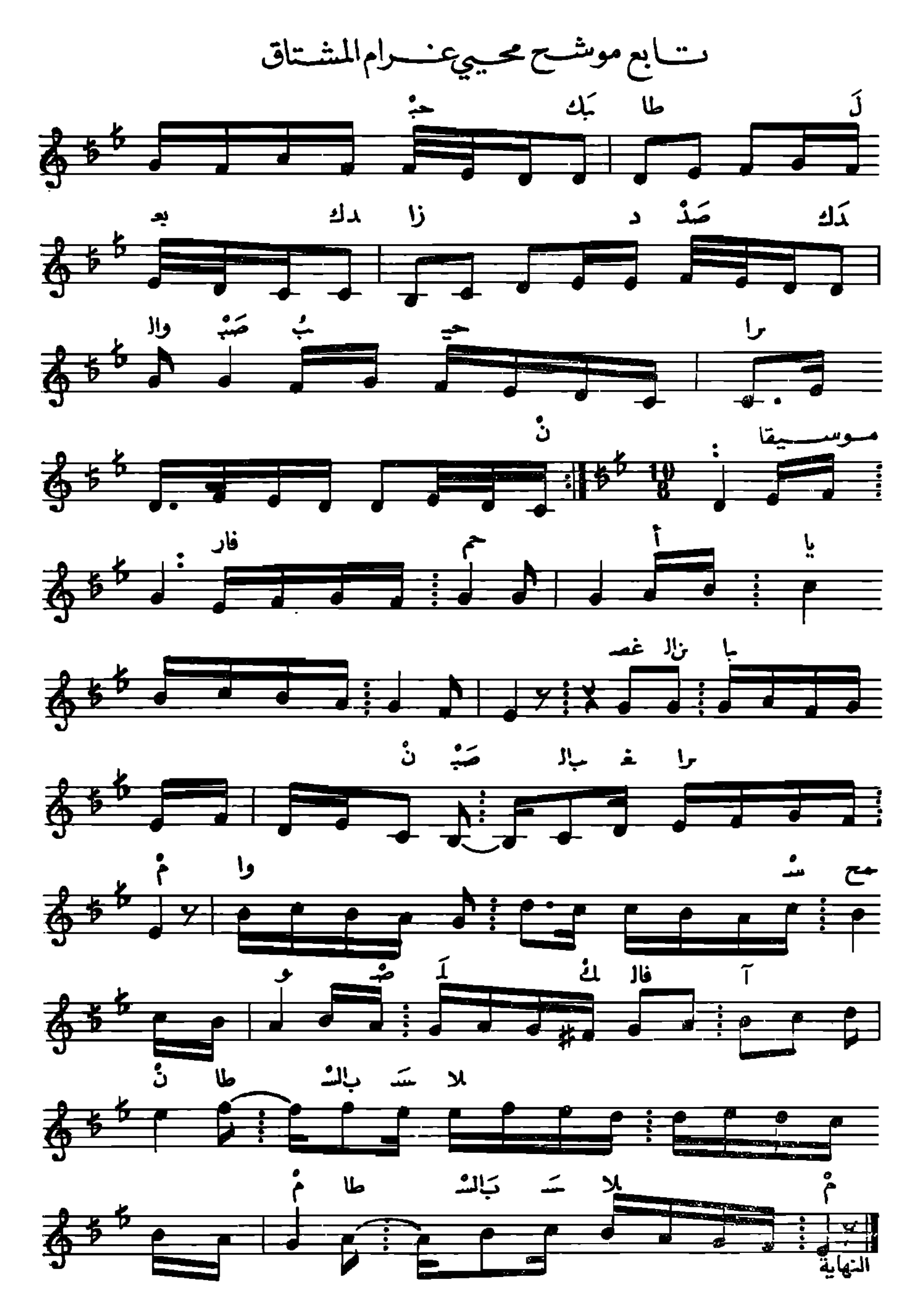
دور ٢ قدحلا بالحسن ورد الخد وبعسك الخال خال

خانه ما بقلبي منك حي موضع والله خال




الشعر: الشيخ حسين نظيف
تابع وصلة السيكاه
الايقاع
الألحان: صفر علي
موشح محيي غرام المشتاق
سماعي ثقيل
♪=144
موسيقا للدور الثاني 1
موسيقا لدخول الخانة 2

تابع موشح محيي غرام المشتاق


تابع موشح محيي غــرام المشتاق
النهاية

الايقاع

10/8

دور ١ محبي غرام المشتاق باهي المحيا

سابي النهى بالاحداق قد ضاع ريّا

خانه فتن بحسنه الوضاح قلب المعنى

في الروض هزاري قد صاح لما تثنى

سلسلة اولى طـال الدلال أم ذا ملال

يا ذا الهلال زاهي الجمال

والقلب ولهان

سلسلة ثانية ذاب صبك ـ في حبك ـ طال بعدك ـ زاد صدك

والصب حيران

غطـاء فارحم أيا غصن البان صب الغرام

واسمح بوصلك فالآن طـاب السلام




الألحان : انطوان زابيطا
سماعي هزام
♪=144
النهاية
الخانة الثانية

تابع سماعي هزام

الخانة الثالثة

1

2

الخانة الرابعة

تابع سماعي هزام




الشعر: شهاب الدين الفرازي
وصلة من مقام الهزام
الإيقاع
الألحان: يحيي السعودي
موشح ياليلة الوصل
المحجر
= 72
الخانة
النهاية



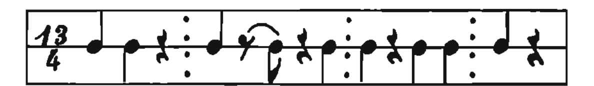
دور ١ يا ليلة الوصل وكاس العقار دون استتار
علمتماني كيف خلع العذار
٢ يا ليلة انعم فيها وزاد شمس انهار
حيت من دون الليالي القصار
خانه فاغتنم اللذات قبل الذهاب وجر اذيال الصبا والشباب
واشرب فقد طابت كؤوس الشراب
غطاء على خدود تنبت الجلنار ذات احمرار
طرزها الحسن بآس العذار


الشعر: قديم
تابع وصلة الهزام
الإيقاع
الألحان: المرحوم عمر البطش
موشح رمى قلبي
المربع
♩ = 72
النهاية

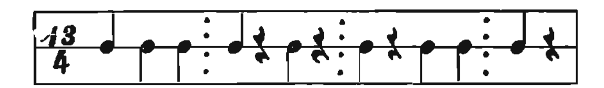

تابع موشح رمى قلبي

الايقاع

شكل (١)



شكل (٢)



دور ١ — رمى قلبي رشا أحور — بأهداب العيون السود

٢ — وممسول اللمى كوثر — ولكن ليس بالمورود

خانه — وقدٍ مال كالاسمر — ولكن بنده معقود

غطاء — ووجهٍ بالبها أقمر — تعالى الخالق المعبود

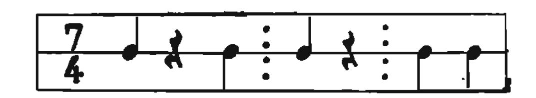



الشعر : قديم
الألحان : قديم
تابع وصلة الهزام
موشح قد حركت أيدي النسيم
الإيقاع
نواخت
♩=92

تابع موشح قد حركت أيدي النسيم



الايقاع

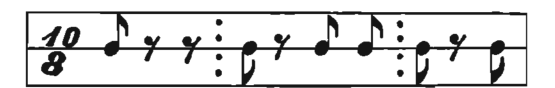


دور ١	قد حركت ايدي النسيم	تلك الغصون الميّس
	فانهض وبادر يا نديم	الى رياض السندس
خانه	قم واسقنا الخمر القديم	بكراً حياة الانفس
غطاء	والشوق في قلبي مقيم	يحكي شهاب القبس




الشعر: قديم
تابع وصلة الهزام
الإيقاع
الألحان: نديم الدرويش
موشح بدت لنا
سماعي ثقيل
= 144
موسيقا

الايقاع



دور ١	بدت لنا في طالع الاسعاد	يمحو سناها الليل
	شمس على غصن رطيب نادي	تزهو بجر الزيــل
٢	ريح الصبا من حي ذاك الوادي	تهفو له الابصــار
	بنت الخبا ذات الجمال البادي	فضاحــة الاقمــار

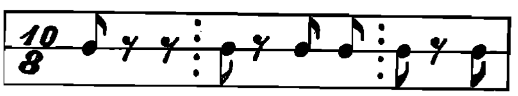


الشعر : قديم — تابع وصلة الهزام — الإيقاع

الألحان : قديم — موشح يانحيف القوام — سماعي ثقيل

♪=144

الايقاع



دور ١ يا نحيف القوام ـ التجافي حرام ـ إملا كاس المدام

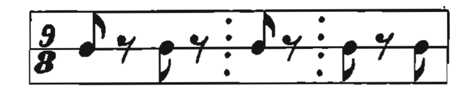
واسقيني بايدك من ايدك لايدي

كل روح وراح ـ في جمالك مباح ـ انت سيد الملاح

واسقيني بايدك من ايدك لايدي


الشعر: ابن زُهُر
تابع وصلة الهزام
الإيقاع
الألحان: مجدي العقيلي
موشح أيها الساقي
أقصاق
♩=168
النهاية

الايقاع



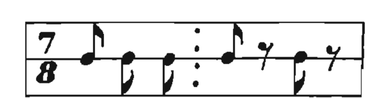
دور ١	أيها الساقي اليك المشتكى	قد دعوناك وإن لم تسمع
	ونديم همت في غرته	وبشرب الراح من راحته
	كلما استيقظ من سكرته	
٢	جذب الذق اليه واتكى	وسقاني اربعاً في اربع
	ما لعيني غشيت بالنظر	انكرت بعدك ضوء القمر
	فاذا ما شئت فاسمع خبري	
٣	عشيت عيناي من طول البكا	وبكى بعضي على بعضي معي





الشعر: لسان الدين بن الخطيب
تابع وصلة الهزام
الإيقاع
الألحان: مجدي العقيلي
موشح جادلك الغيث
الدور الهندي
= 168
النهاية

الايقاع



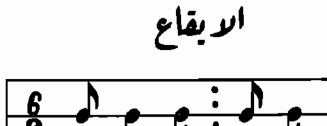
دور ١	جادك الغيث اذا الغيث همى	يا زمان الوصل بالأندلس
	لم يكن وصلك الا حلما	في الكرى اوخلسة المختلس
خانه	حين لذ الانس مع حلو اللمى	هجم الصبح هجوم الحرس
غطاء	غارت الشهب بنا او ربما	اثرت فينا عيون النرجس



الشعر : مصطفى خلقي — تابع وصلة الهزام — الإيقاع

الألحان : مجدي العقيلي — موشح لو كنت تدري — يورولك

الايقاع



دور ١	لو كنت تدري	ما الحب يفعل	بالوصل يوماً	ما كنت تبخل
٢	ظبي كحيل	حلو المحيا	الغصن منه	إن ماس يخجل
٣	يا من هواه	أضنى فؤادي	كالبدر انت	بل انت أجمل
٤	شرب الحيا	منكم حلا لي	قم يا نديمي	نشرب ونثمل
٥	ما لي سواكم	روحي فداكم	دوماً رضاكم	والله اسأل
٦	إن كان حي	يقضي بقتلي	سلمت أمري	لله فافصل


الشعر: صبحي المصري
تابع وصلة الهزام
الإيقاع
الألحان: بهجت حسان
موشح نسمة الفردوس
يوروك
♪ = 168
موسيقا لدخول الخانة
موسيقا لإعادة الدور
الخانة

تابع موشح نسمة الفردوس

يَـ خَيْـ آ

لي لـيـ ليل يا لي ليـ ها وا هـ نَ ظَنْ بـال

ليل يا لي ليـ لي ليـ ليل يا لي ليـ ليل يا لي ليـ

بَ يَـ خَيْـ بَ يَـ خَيْـ

ها وا هـ نَ ظَنْ بـال يَـ خَيْـ

الايقاع



دور ١	نسمة الفردوس عودي	وابعثيني من جديد
٢	ظبية الوادي تهادي	ذكريني بالعهود
خانه	هدهد الجفن بكاها	خيب الظن هواها
غطاء	أخلفت كل العهود	ويح عمري بالصدود



سماعي چهاركاه

الألحان : محمد رجب

♪ = 144

الخانة الثانية

النهاية

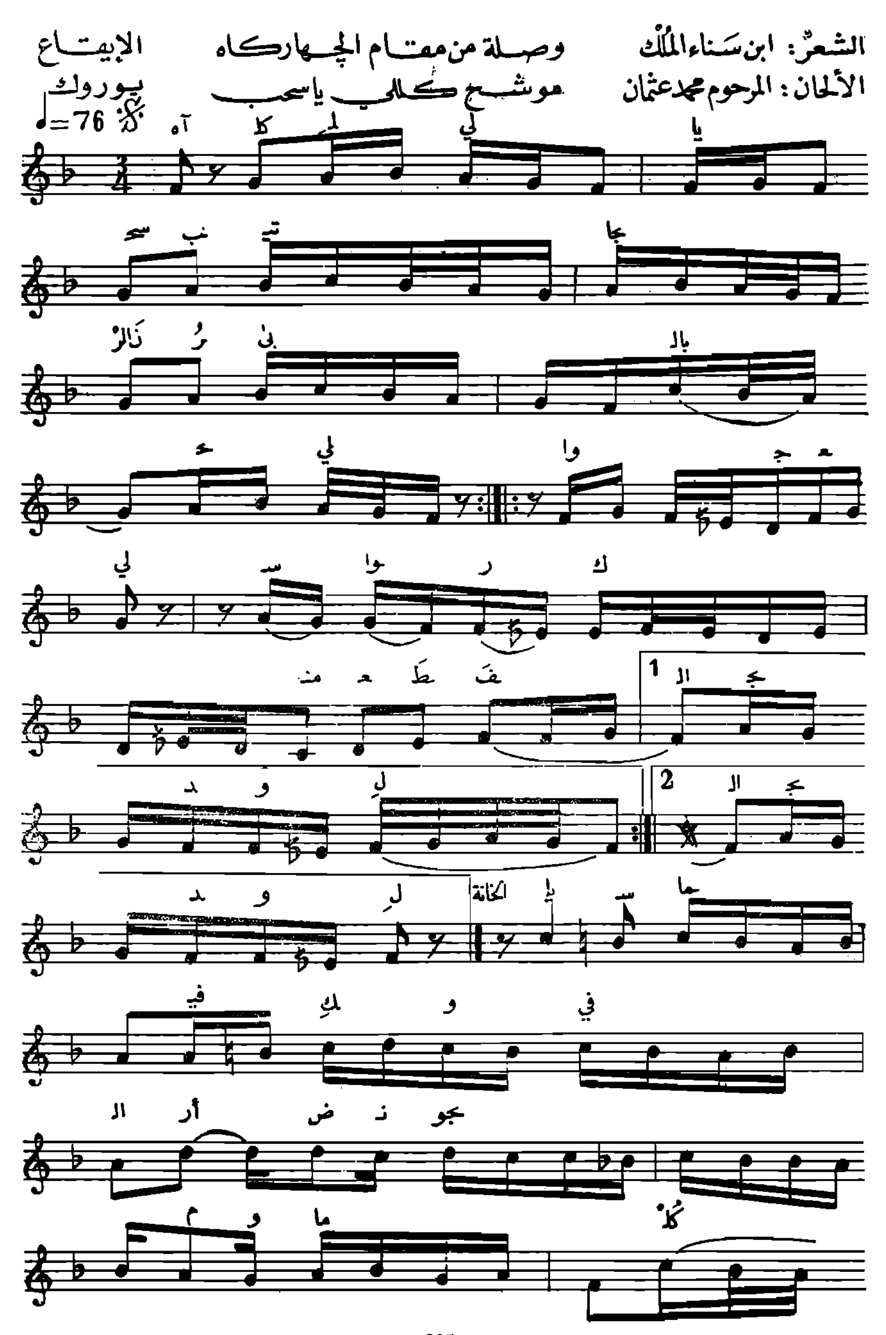
تابع سماعي چهاركاه

الخانة الثالثة

الخانة الرابعة

تابع سماعي چهاركاه




الشعرّ: ابن سَناء المُلْك
وصلة من مقام الجهاركاه
الإيقاع
الألحان: المرحوم محمد عثمان
موشح كُللي ياسحب
يوروك
♩=76
الخانة



دور ١ كللي ـ يا سحب تيجان الربى بالحلي
واجعلي ـ سوارك منعطف الجدول

خانه يا سما ـ فيك وفي الارض نجوم وما
كلما ـ اغربت نجماً أشرقت أنجماً
وهي لا ـ تهطل الا بالطلا والدمى

غطاء فاهطلي ـ على قطوف الكرم كي تمتلي
وانقلي ـ للدنّ طعم الشهد والقرنفل



الايقاع

6/8

دور ١	انت سلطان الملاح	يامليك انت ملك
	زدت هتكي يا غزال	والهوى ياما هتك
٢	في ذوى الحسن البديع	كم وكم مثلي انشبك
	جدّ بي داع الهوى	والجمال يا ما فتك
٣	لو تراني يا حبيبي	بعدك لقلبي هلك
	يبتغي طيب الوصال	ويرتوي من منهلك

الفهرس

الخطـــأ والصواب

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر بالنسبة لأبيات الموشحات
يحوز	يجوز	2	١٨
جنا	جنى	11	٣
الصبوحي	الصبوح	12	٦
فيمكم	فيكم	65	٤
قربو	قرب	74	٥
فضني	فضنى	84	٣
جمالة	جماله	86	١
الأنك	الأيك	97	١
القهر	الزهر	118	١
الاقار	الأنوار	158	١
كلا	كل ما	160	١
شكاك	شكاك	160	١
هما	همى	160	٣
المزاق	المذاق	162	٢
مؤني	مؤنسي	199	٢
الزيل	الذيل	223	٢



صورة الغلاف مأخوذة عن صورتين لقطعتين محفورتين على العاج
من العصر الاندلسي « متحف فلورنسا »
وجملة « ولا غالب الا الله » هي الطُغْرة التي كان يستعملها الاندلسيون

حلب ١٣٧٤ / ١٩٥٥

مطبعة الشرق انطوان فيلوح وشركاه (الخندق) حلب